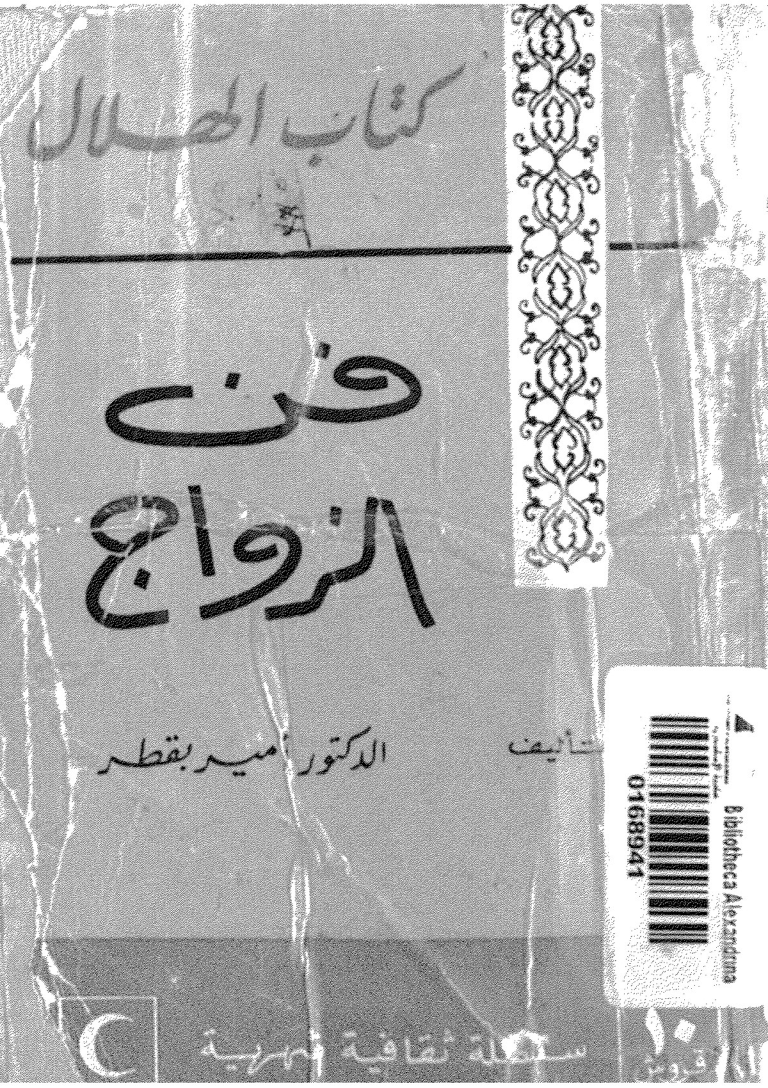

كتاب الهلال
فن الزواج
تأليف
الدكتور أمير بقطر
سلسلة ثقافية شهرية
١٠ قروش
Bibliotheca Alexandrina
01168941

فن الزواج

تأليف

الدكتور أمير بقطر



مقدمة

عرف الناس منذ اقدم العصور أن أهم أحداث الحياة ثلاثة : مولد المرء ، وزواجه ، ووفاته . ولعل أهم هذه الاحداث الثلاثة الزواج ، لان المولود لا يعرف مصيره ، فالسنوات الاولى أخطر أيام حياته ، وما بعدها محفوفة بالمصاعب والعقبات التي قد تحول دون نجاحه وسعادته ، ولان الموت نهاية دنيوية ــ على الاقل ــ يغلق باب الحديث عن صاحبها فى أكثر الاحيان . أما الزواج فنقطة تحول فى حياة المرء ، فهو يقدم عليه فى مرحلة من العمر تبلغ فيها نسبة الوفيات نهايتها الصغرى ، وفيها يبلغ المرء أشده ، ويكمل نضوجه ، وتستقر عواطفه ، وفيها يستطيع أن يدرك ما يكنه له المستقبل من منزلة اجتماعية وحالة اقتصادية ، ويرسم خطته لآماله وأمانيه

وكما ان ولادة المرء ووفاته مقدران محتومان على كل انسان ، فكذلك الزواج ، باب تطرقه أكبر نسبة من الناس ، لاسيما الذكور منهم . فقد قدر الاحصائيون أن عدد المراهقين والمراهقات الذين لابد أنهم سيتزوجون فى خلال حياتهم ، ان لم يكن عاجلا فآجلا فى امريكا الشمالية ٩٨ فى المائة من مجموعهم

ويستنتج من هذا ان الوقوف على المعلومات والمشاكل التى تمت للزواج من قريب أو بعيد بصلة ، لزام على كل فتى وفتاة ، لان السواد الاعظم منهم سيقف يوما ما وجها

الى وجه أمام عقد ومضاعفات وعقبـات لن يستطيـع التغلب عليها ، ما لم يكن على المام بشيء من علم الزواج وفنه .. فالزواج علم وفن

وسيتبين قارىء هـذا الـكتاب انه علم لان فصـوله مستمدة من طائفة من العلوم الحديثة ، منها : الطب العام ، والقانون ، وطب الامراض العقلية ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، والتدبير المنزلي ، وعلم الاقتصاد ، والمفـاهيم الاخلاقية ، والشرائع الدينية .. وانه أسوة بسائر العلوم له أخصائيون ، وان كان يختلف عن سائر العلوم في ان الاخصائيين فيه من شتى المهن الراقية ، اذ منهم الاطباء ، والقضاة ، والمحامون ، وعلماء النفس ، والمعلمون ، ورجال الدين ، والباحثون الاجتماعيون

أما كونه فنا ، فلأنه كسائر الفنون يتوقف النجاح فيه على شخصية صاحبه ، كما يتوقف نجاح الطبيب لا على علمه فحسب ، وانما على حذقه تنظيم العلاقة بينه وبين المريض تنظيما انسانيا يوحي اليه الثقة والارتياح وأمل الشفاء

وليس طريق الزواج مفروشا بالورود ، وانما هوعملية تزاحمت فيها المسائل وتشابكت ، وامتدت أطرافها الى مشاكل مستحكمة الحلقات ، من قانونية ، واقتصادية ، وبيولوجية ، وسيكولوجية ، الى أخلاقية ، وروحيـة . وليس الزواج مجرد رباط بين رجل وزوجته فحسب ، ولكنه يشمل كذلك عدة دوائر ، منها : الاسرة ، والبيت ، والجيران ، والمهنة ، ومكان العمل ، والبيئـة الاجتماعية بأسرها

وقد كان للحضارة الحديثة وتعدد مطالبها أثر واضح في تعقيد الحياة الزوجية .. فقد تطورت الحيـاة بتطور

الحضارة ، وتطور معها الفكر الاجتماعى . واهم مظاهر هذا التطور :

١ ــ تحرير المرأة اجتماعيا واقتصاديا الى حد ما فى كثير من بلدان العالم

٢ ــ ثورة الشباب على سلطة الوالدين وأولياء أمورهم ومطالبتهم ضمنا أو تصريحا بالاستقلال فى الرأى

٣ ــ التغيرات الصارخة فى القيم الاخلاقية وفلسفة الحياة التى سببتها الحروب والتقدم الصناعى ، والتكنولوجى ، والعلمى فى القرن العشرين ، مما أدى الى ارتفاع نسبة الطلاق والفرقة بين الازواج ارتفاعا لم يسبق له مثيل

فلا غرابة اذا أنشئت فى أوربا وامريكا مكاتب للزواج يقوم الاخصائيون فيها بتوجيه الالوف من الرجال والنساء الذين يترددون عليها ، تمهيدا للزواج . وفى مدينة واحدة كلوس انجلوس مثلا ، تجد عدد هذه المكاتب فى دليل التليفون يشغل صفحتين كبيرتين منه ، فى كل منها ثلاث اعمدة بالخط الدقيق . ولا بد ان هذا العدد يتضاعف مثنى وثلاث ورباع فى مدن كنيويورك ، وشيكاغو ، وفلادلفيا . هذا عدا المؤسسات الاجتماعية العديدة ، والفصول الدراسية المنتشرة فى كل صوب ، لتنوير الاذهان ونشر المعلومات الخاصة بهذا الحادث الهام من حوادث الحياة . وفى كثير من الجامعات ، يقام مهرجان خاص كل عام يطلق عليه اسم « أسبوع الزواج » ، يخطب فيه العلماء ، والاطباء ، ورجال الدين ، والنساء البارزات فى المجتمع ، لبحث موضوع الزواج كل من وجهة نظره

وقد اعتمدت فى ابحاث هذا الكتاب على عدد لايستهان

به من المراجع العلمية ، ذكرت منها فى آخر الكتاب ١٤ مرجعا ، اعتمد كل من مؤلفيها بدوره على عشرات المراجع. وبذلك تشعبت الموضوعات التى طرقناها ، ولكن جميعها يتصل اتصالا وثيقا بعنوان الكتاب . وسيجد القارىء فى فصل ، أو فصلين ، حديثا عن عادات قد تكون غير مألوفة فى عالمنا العربى ، اللهم الا فى حدود ضيقة فى بعض عواصمه الكبرى . على اننى آثرت اثباتها للوقوف على بعض العادات والتقاليد فى بلاد نقرأ عنهـا فى الكتب ، ونشاهدها مصورة فى المجلات ، وعلى الشاشة البيضاء

رجل ما يأمله واضع هذا الكتاب أن يجد كل فتى وفتاة ، وأعزب وعزباء ، ما ينير أمامه هذه الطريق التى لابد له أن يسلكها يوما من الايام ، وما يلقى على كل ما يتعلق به من المسائل ضوءا يهتدى به ويسترشد ... وسيجد القارىء فى هذه الصفحات أن الزواج شركة ، وعهد ، وذمة ، وميثاق . فاما أن تتأكد فيها عقدة الاخلاص فيجتمع الزوجان على النعماء والبأساء ، أو أن تنقطع الاسباب بينهما فتنفصم عرى الشركة وتندك قواعدها . ويتضح من قراءة ما بين سطور الكتاب أن نجاح الحيـاة الزوجية رهين بتفاعل العناصر التى تتكون منها كل من شخصية الزوجين والبيئة التى يعيشان فيها ، وقدرتهما على التوفيق بين شخصيتيهما وما تعودا عليه من أخـلاق وعادات

أمير بقطر

الجزء الأول



الفصل الأول

الاستعداد للحياة الزوجية



الحياة الزوجية

قبل أن تضع قدمك اليمني على عتبة الزواج ، لا بد أن يكون لديك ما تتزود به فى هذه الحياة الجديدة التى تتوقف عليها سعادتك أو شقاؤك فى المستقبل المجهول.. فما الذى تحمله فى حقيبتك ؟

هل تحمل خزانة تزدحم بالثيــاب ؟.. أو رصيدا فى البنك ؟.. أو تحفا ؟.. أو أثاثات منزلية ورثتها عن آبائك واجدادك ؟.. هل لك قريبة أو قريب او أكثر لابد لك من أن تعولهم ؟.. هل تشغل وظيفة تغدق عليك مرتبا حسنا ، وتنبىء بمستقبل باهر ؟.. لعلك «تحمل» معك بعض هذه الاشياء أو كلها .. وقد يكون بينها ما لك وما عليك ، الا ان أهم من هذه جميعا شيء واحد لا مناص من الا تخلو منه حقيبتك : انه أنت .. شخصيتك ..

شخصيتك اولا ..

ان الحياة الزوجية التى تتأهب لها ، رهينــة هــذه الشخصية قبل كل شيء آخر ، فاذا كنت سعيدا ، موفقا ، متجاوبا مع البيئة التي تعيش فيها ، كانت حيــاتك الزوجية فى غالب الاحوال سعيدة موفقة . أما اذا لم تكن راضيا عن نفسك ، وكنت تشكو من غشاوة على عينيك ، ومرارة تحت لسانك ، كان هذا نذيرا بحياة زوجية تفتقر الى السعادة والتوفيق

قد يقال لك ان مصدر التعاسة الزوجية ، ســوء

اختيار الشريك : الزوج ، أو الزوجة ، أو الارتباكات والمشاكل المالية ، أو عدم التوافق فى العلاقات الجنسية ، أو اختلاف الاديان أو المذاهب ، أو عدم التكافؤ الاجتماعى أو الثقافى ، وغير هذا وذاك من الاسباب .. حقيقة ان اختيار الشريك من الاهمية بمكان ، وان المسائل المالية من العناصر التى لا يستهان بها ، وان التوافق الجنسى فى مقدمة ما يصبو اليه الازواج ، وان الانسجام فى الاوضاع الاجتماعية والمذاهب العقائدية من مقومات الوفاق فى الحياة الزوجية . كل هذه حقائق لا تنكر ، بيد أن أهمها جميعا ، ذلك العنصر الرئيسى الفعال الذى نسميه « الشخصية »

ما هى الشخصية ؟..

فما هى الشخصية ؟.. وما سرها الخفى ؟..

الشخصية ليست مجرد هبة من هبات الطبيعة ، يحظى بها البعض ويحرم منها البعض الآخر ، وليس جوهرها الذى يميزك عن غيرك من الناس مجرد صدفة أو نعمة حبتك بها الآلهة ، وان العناصر التى تتألف منها لم تهبط اليك من السماء كما اتفق ، وانما لها أسباب ، وفى كثير من الاحايين يكون لها تاريخ طويل مترابط الحلقات . وهى تشمل الجسم الذى به ولدت ، والبيت الذى نشأت فيه وترعرعت ، والناس الذين خالطت وعاشرت ـ على اختلاف الوانهم وميولهم ونزعاتهم ـ والتربية التى من لبانها رضعت ، والعلوم والمعارف التى من حياضها ارتويت ، وأهم من هذا وذاك الاحاسيس ، والعواطف ، والوجدانات والانفعالات التى لها استجبت ، فى مراحل الطفولة ، والصبا ، والمراهقة ، واكتمال الرجولة

كونك ذكرا أو انثى ليس مجرد اعتبار بيولوجى ، وانما

هو أبعد مدى وأعمق مغزى . قد يكون هناك فرق شاسع بين أن تولد ذكرا أو أنثى ، أو تشب زوجا أو زوجة ، أبا أو أما . . . بيد أن أهم من هذا او ذاك ، أن تسلم بذلك قانعا ، وترضى بمصيرك ونصيبك عن ارتياح وطيب خاطر ، وان كنت ولدت رغم ارادة أمك ، وشببت وأبوك منك على مضض . وماذا كانت علاقتـــــك بوالديك ، واخوتك ، واخواتك ؟.. هل كنت الابن الاكبر رائد الاخوة الصغار، المتعالى على من اتى بعده ، الغيور منه ، الحاقد عليه ؟.. أم كنت الابن الاصغر المدلل ؟.. أم كنت بين زمرة من الـكبار والصغار ، قلما أعارك أحد التفاتة أو شــــعر بوجودك ؟.. هل كان مولدك بعد زواج والديك بزمن طويل ، استقرت فيه حياة الاسرة مع اتصافها بجمــود التقاليد وصرامة العادات ، أو ولدت فى مستهل حيــاة والديك الزوجية ، حينما كانت العلاقة بينهما بين كفتى القدر ؟

اختبار فى طبيعة الشخصية

تدل بعض العبارات التالية على فهم معنى الشخصية فهمـــــا صحيحا ، ويدل البعض الآخر على العكس .. فليختبر القارىء نفسه :

١ ـ الشخصية صفة من الصفات الموروثة ولا دخل لها بالبيئة

٢ ـ فى وسع كل امرىء أن يكون ذا شخصية قوية ساحرة

٣ ـ يولد المرء وتولد شخصيته معه

٤ ـ الشخصية مجموعة صفات معينة من سـلوك الشخص وانفعالاته ووجدانه واســـــتجاباته

للمؤثرات ، وتفاعل هذه بعضها مع بعض

٥ – متى توافرت فرص التربية البيتية والمدرسية والبيئية عامة لشخصين، تشابها فى شخصيتهما فى نهاية الامر

٦ – الاخوة والاخوات ، طالما نشأوا فى بيت واحد ، لا تختلف شخصية أحدهم عن شخصية الآخر

٧ – لو أنك ولدت أنثى بدلا من أن تولد ذكرا (أو العكس فى حالة الانثى) ، لما اختلفت شخصيتك عما هى عليه الآن

٨ – الشخصية من صنع صاحبها

٩ – الشخصية ثمرة الحياة الاسرية والتفاعل الاجتماعى خارج الاسرة

١٠ – كل ما تتطلبه تقوية الشخصية دراسة عميقة مستفيضة فى سيكولوجيا الشخصية (١)

مقاييس الحب الصادق

اقرأ العبارات الآتية ، وبين ما يتفق منها ورايك فى الحب وما لا يتفق ، ثم راجع بعد ذلك آراء المؤلف فيها (٢) :

١ – فتى أصابه سهم « كيوبيد » فلن يكون هناك ما يشك فى شعورك به

٢ – قد تكره شخصا فى زمن وتحبه فى زمن آخر

٣ – حب الصغار ، أو «حب الجراء» كما يسمونه (٣) ليس حبا بالمعنى الصحيح

– عندما يحب الانسان شخصا لا يخطر بباله أن يحب سواه

---

(١) العبارتان الصحيحتان هما رقم ٤ و ٩ فقط

(٢) المرجع رقم ١

(٣) Epididymis

٥ ـ عندما « يغرق شخص لاذنيه » فى حب ، كان هذا دليلا على الحب الصحيح الصادق

٦ ـ لايوجد سوى نوع واحد من الحب

٧ ـ حب الانسان لاكثر من شخص واحد فى وقت واحد ، أمر طبيعى لا شذوذ فيه

٨ ـ لا يمكن أن يحب أحد اثنين ، بحيث تتساوى درجة الحب بينهما

٩ ـ الحب الذى يتدرج فيه صاحبه فينمو بمرور الزمن ، لا تبلغ فيه اللذة ما يبلغه الحب ، الذى ينقض على صاحبه كالصاعقة

١٠ ـ الحب ـ فى الواقع ـ احساس عديم المعنى

١١ ـ متى شعر أحد الجنسين بحبه للآخر ، وتبادل هذا الآخر معه هذا الحب ، ينبغى أن يتزوجا فورا ، رغم كل عقبة

١٢ ـ الحب بغير زواج مأساة خطيرة ، تنتهى على الارجح بالقضاء على سعادة صاحبها قضاء مبرما

١٣ ـ اذا أحب أحد الزوجين شخصا آخر ، فلا يتحتم أن يؤدى هذا الحب الى هدم عش الزوجية

١٤ ـ قبل أن يبلغ الشاب مرحلة الرجولة ، أوالشابة مرحلة الانوثة لابد أن يكون قد أحب مرارا وتكرارا

١٥ ـ ليس الحب شيئا يدرس ، أو يستدعى الالمام بمعلومات معينة ، انما هو نتيجة انفعال وجدانى

آراء المؤلف
استنادا الى الحقائق العلمية

١ ـ أحاسيس الحب انواع ، وليست نوعا واحدا ،

وقلما تباغت هذه الاحاسيس صاحبها ، أو تؤكد له انه حب حقيقي

٢ ــ قد يكره المرء شخصا فى وقت ما ، ثم يحبه فى وقت آخر . وليس هذا فحسب ، بل ان الشخص الذى يحب (بفتح الحاء) فى زمن ما ، قد يكون موضعا للكراهية فى ظرف آخر ، وسبب ذلك ان طبيعة الانسان وميوله ورغباته لا تبقى على حالة واحدة بل تتغير بتغير الاحوال

٣ ــ أن حب الصغار ــ أو « حب الجراء » ــ يعوزه النضوج ، فعاطفة صاحبه فجة لم يكتمل نموها بعد ، ولكنها برغم ذلك انفعال وجدانى لا غش فيه

٤ ــ الشخص الذى يقع فى شباك الحب ، يضعف عادة أمام الجمال المادى والادبى ، ومتى كان الحب صادقا ، زاد تعلق صاحبه بمعارفه وأصحابه ، واشتدت عنايته بهم ؛ ولو أن المحب قطع علاقته بسائر أحبابه ، أصبح حبه يجرى على وتيرة واحدة ويدعو للسآمة والملل ، والمثل السائد يقول : «العالم بأسره يحب الحبيب» والعكس كذلك صحيح أى ان « الحبيب يحب العالم بأسره »

٥ ــ كثيرا ما يدل « غرق المرء لاذنيه فى الحب » على اثارة الوجدان واشتعال نار العاطفة اشتعالا يعمى عينى صاحبها ، فيبدو له الوضع على غير حقيقته ، وبذلك يكون الشعور بعيدا كل البعد عن الحب الصحيح

٦ ــ الحب الوان وانواع .. فهناك حب الام ، وحب الاخوة ، وحب الاقارب والمعارف والاصدقاء ، وهناك حب الوجدان ، والحنو ، والشهوة ، الى غير ذلك

٧ ــ لا تتساوى درجات حبنا للغير .. مثال ذلك : حب الاصدقاء والمعارف القدامى ، يختلف عن الحب العارم المفاجىء ، الذى ينقض على الرجل أو المراة كالصاعقة .

وقد يجتمع النوعان فى آن واحد فى شخص واحد ، وكما ان اثنين لا يمكن أن يتفقا تماما فى الصـــــفات والميول والعواطف ، فكذلك حب زيد لعمرو ، أو زيد لسلوى ، لا يمكن أن يكون كحب زيد ليوسف ، أو زيد لليلى ، وان اتفقا فى الزمن

٨ ـ من المألوف أن يحب انسان عدة أشخاص فى واحد ، والواقع ان هذا مقياس للشخصية الســـــوية السليمة ، وعكسها مقياس للشخصية الشاذة المريضة ، غير ان حب الزوج للزوجة ينزع أن يكون لها وحـــدها ، وكذلك العكس ـ أو يفترض أن يكون كذلك على الاقل ـ أما الحب بمعناه الاعم الاوسع ، فانه ينزع الى ان يشـــمل أكبر عدد من الناس

٩ ـ كلمة « لذة » كلمة خداعة .. صحيح ان اللذة قد تبلغ أشدها فى حب طارىء صارخ ، الا انه حب سريع الزوال ، وعلى النقيض من ذلك ، الحب الذى ينمو ويترعرع شيئا فشيئا .. انه الحب الباقى ، ولذته صادقة صحيحة

١٠ ـ الحب بوجه عام احساس ذو معني ومغزى ، وهو يخضع للقوانين الطبيعية التى ترسم طرق الحياة وتقرر خططها ، وللحب تاريخ طويل ضارب فى أغوار الزمن ، وله أثر كبير فى حاضر المرء ومستقبله . فالشاب الذى يفتتن بحسناء ويقع فريسة الغرام بها ، لا يدرى سبب ذلك ، ومثله فى ذلك مثل رجل يحب لونا معينا من الطعام ، ويفرط فى ذلك الحب بغير أن يعرف لذلك سببا ، كما لا يعرف ما يسببه له ذلك الطعام من بدانة او علة . بيد ان العلماء الذين هتكوا أستـــار الـــكواكب والنجوم ، لم يفتهم أن يدرسوا قوانين الحب ، ويسبروا أغوارها ، وتبين لهم من هذه الدراسة انها معقولة منطقية قابلة للفهم ، وان الحب ذو معنى ومغزى

١١ ـ يعتقد كثيرون انه ينبغى المبادرة بالزواج عند الاحساس بالحب لشخص من الجنس الآخر ، يستجيب لهذا الحب . والواقع انه يعزى الى هذا الاعتقاد الكثير من التعاسة الزوجية ، وما يقع بين الشريكين من النزاع والخلافات ، وكثيرا ما يؤدى الى تعدد الزواج وتعدد الطلاق بلا حساب

١٢ ـ من الخطأ الفاحش ان يزعم البعض ان كل علاقة خارج الحياة الزوجية تفتقر الى الدفء والاخلاص ، ويعوزها الحب البرىء

١٣ ـ ان الحياة الزوجية قلما تتعرض للتصدع والهدم بسبب الحب ، وانما بسبب الافتقار اليه ، كذلك الحب بمعناه الاوسع ـ سواء فى الاطار الزوجى أو خارجه ـ يملأ الحياة بهجة ونورا وسعادة

١٤ ـ من ذا الذى ينكر ان الشاب ـ أو الشابة ـ يحب مرارا وتكرارا قبل أن يبلغ مرحلة النضوج ؟.. ان الطفل الوليد يعرف الحب وهو صبى فى المهد .. يحب أصابع يديه وقدميه ، يحب أمه وأباه ومربيته ، يحب اخوته واخواته ، وأبناء الجيران وبناته ، وبعد سنوات تتسع رقعة علاقاته فيحب معلمته فى روضة الاطفال والمدرسة الابتدائية ، ثم بعد ذلك يحب مدرب الكشافة ، ومعلم التربية البدنية ، والفتاة الجالسة بجانبه فى حجرة الدراسة ، ويحب أعمامه وعماته وخالاته وأصدقاء أسرته الذين يساهمون فى هدايا العيد ، وصفوة القول اننا لا نبلغ أشدنا وتكتمل رجولتنا حتى نكون قد قطعنا أشواطا بعيدة فى ميادين الحب

١٥ ـ لقد تعددت الدراسات والابحاث فى موضوع الحب ، وأسفرت نتائجها عن معلومات وحقائق بالغة

الاهمية ، وهذا ماسنراه فى الفصول التالية . ومن ذا الذى قال ان الانفعالات والوجدانات والعواطف أسرار غامضة ، يعجز العقل البشرى عن ادراك معانيهـا ؟.. أليس ثمة مبادىء وقوانين خاصة بالسلوك الانسانى ، اسوة بالمبادىء والقوانين الخاصة بالكهرباء ؟.. فدعونا اذن نتصفح معا بعض ما نعرفه عن هذه العاطفة أو الصفة التى نسميهـا الحب ..

ما هو الحب ؟..

لعل أقرب الاشياء الينا ، وأكثرها تداولا ، وأشـدها اتصالا بجوارحنا ، أصعبها تعريفا . الحب كلمة شاملة ، تتسع لشتى العواطف والانفعالات ، انها فى الواقع ليست مجرد كلمة ، انما هى فصل فى كتاب الحياة وسفر من أسفار الطبيعة البشرية ، فقد تتعدد المشاعر بسبب الحب ، فنحس طورا بالسعادة وطورا بالشقاء ، طورا نفرح ونتهلل وطورا نعبس ونكتئب ، طورا نحبو الحبيب برعايتنا ، ونظلله بأجنحتنا ، وندفع عنه كل شر ، وطورا نعـامله بالعنف والقسوة ، وسرعان ما نزنه بميزان العقل والمنطق يوما ، حتى نستسلم للعاطفة وأحلام اليقظة فى اليوم التالى .. باسم الحب نركع فى محرابه ونتعبد ، وباسمه تكفر بنعمته وندوسه بالمناسم .. باسمه نعطى حينا ونضحى ، وحينا نستغل ونأخذ

وكثيرا ما يكون الحب أقرب الى الـكراهية ، وأشـبه بضده ، ويحدث هذا عندما يشوبه الغرور ، وحب التملك ، والغيرة ، وما شاكلها من الصفات التى تصيبه بالالتواء والاعوجاج والتسمم وتقطع الاوصال ، والفرق الشـاسع بين الحب والـكراهية ، ان الحب نوع من الاشعاع الذى يلقى على الحبيب وشاحا من الدفء والضوء ، أما الكراهية

فعبء ثقيل يجثم على صدر المكروه ، فيحرمه نعمة التنفس

وليس ثمة من أنواع الحب ما يبلغ درجة الكمال ، كما ان المرء الكامل لا وجود له الا فى الاساطير والخرافات ، وليس المهم فى نوع الحب درجته ـ قوة أو ضعفا ـ وانما المهم اتجاهه ، فالحب الذى يتجه من صاحبه الى الخارج (الى الغير) ينمو ويزهو ويترعرع ، أما الذى يتجه الى الداخل (الى الذات) ، أو يتركز بعنف فى شخص واحد أو شىء واحد ، فمآله الركود والذبول والزوال

الحب الانانى ... والحب العذرى

كلمة « حب » أو « محبة » العربية وما يقابلها فى اللغات المعروفة الحية (كالانجليزية ، والفرنسية ، والايطالية ، والاسبانية ، والالمانية) يقابلها فى اللغة الاغريقية القديمة كلمتان : وهما ، « اجابيه » Agape و « ايروس » Eros أى الحب الانانى ، والحب العذرى ، ولا يزال هذا الاستعمال باقيا فى اللغة اليونانية الحديثة ، وتنصب كلمة « ايروس » غالبا على الحب الذى يمت بصلة الى العلاقات الجنسية ، وقد فسر أحد العلماء هذا الحب بمثل الرجل الذى يقول انه يحب البرتقال ، ان ما يقصده هنا حب العصير ، أى ارواء شهيته من هذا الشراب ، وبعد ذلك لا يهمه أمر البرتقالة شيئا وكذلك الحال فى الحب الانانى « ايروس » يريد المرء ثمنا من المحبوب ويسعى اليه بكل جهده ، فاذا ما فشل فى الحصول عليه ، انقلب الحب كراهية ، وخاب الامل

أما النوع الثانى « اجابيه » ـ أو ما سميناه الحب العذرى ـ فان صاحبه لايريد من المحبوب ثمنا ، ولا يسعى الى اشباع شهوة أو رغبة ، ولذلك لا يمكن أن ينقلب الى

كراهية ، لانه عاطفة منزهة عن الغرض ، متجهــة نحو المحبوب ، فى حين ان الحب الانانى يتجه الى داخل صاحبه : الى شهوته . اللذة فىالحب العذرى العطاء ، وفى الحب الانانى أو الشهوانى الاخذ ، الحب العــذرى يطلق حرية التعاون بين الناس من معاقلها ، فيفــكرون ويشــعرون ويعملون معا

ويتضح من هذا ان الزواج الذى يهدف أحد الشريكين فيه (أو كلاهما) قضاء حاجة أو حاجات ، أو الحصــول على منفعة أو منافع وحسب .. مثل هذا الزواج مقضى عليه بالفشل ، لانه سرعان ما يبدو فى الافق شريك آخر أكثر استجابة لقضاء الحاجة وتقديم المنفعة ، حتى تتجه اليه الانظار ، ويسيل لرؤيته اللعاب

الحب الذى يدوم يتضمن عناية خاصة بالغير ، بغض النظر عما ينال منهم من المنفعة ، وتزداد هذه العناية شدة على مر السنين ، فنفرح لافراحهم ونحزن لآلامهم ونتألم لآلامهم ، ولاننا نحبهم حبا منزها عن الغرض ، نفقد الكثير من الانانية التى لا يخلو منها الانسان بطبيعته

أسس الجاذبية

قل من الناس من يعرف الاسس التى عليها تتوقف جاذبيته لشخص معين ، وذلك لان ما نحب أو ما نكره ، لا يتحتم أن يتفق والعقل أو المنطق ، ولا يتحتم أن يستجيب الشخص الذى نحب ـ سواء أكان مجرد صديق أم شريك الحياة ـ للمقاييس العلمية الاجتماعية ، والدليل على ذلك ان الرجل الذى يولع بامرأة ويعقد النية على الزواج منها ، قلما يعدل عن رأيه اذا نهاه عالم من علماء الاجتماع أو حكيم من رجال الفلسفة او الدين عن ذلك ، ومع ذلك فهذه الاسس أو العوامل التى نجهلها ، لها اثر بالغ الاهمية

فى حب امرىء لآخر ، رغم كل اعتبار سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى أو وطنى

والواقع ان الكثير من الاسباب التى نؤثر لاجلها شخصا على آخر ، ينبع من العقل الباطن ، وهذه بعضها :

١ ــ اننا نميل بطبيعتنا ان نحب من يعيد الى اذهاننا ذكريات سارة ترتاح اليها نفوسنا كلما جالت بخواطرنا ، وان كان يرجع عهدها الى الطفولة المبكرة ، ولهذا يعزى قول أحدنا : « لقد شغف فؤادى بهذه الفتاة من أول نظرة»

٢ ــ اننا نكره بطبيعتنا من يرتبط منظره أو شخصيته بوجه عام ، بذكريات قديمة منسية أليمة ، أو على الاقل لا ترتاح اليها نفوسنا كل الارتياح ويبدو هذا واضحا فى قول أحدهم لآخر :

ــ لا تسألنى لماذا ، ولكنى لا أحب هذا الرجل « أو تلك المرأة » والسلام ..

٣ ــ اننا نميل بطبيعتنـــــــا الى حب أولئك الذين يشاركوننا وجداننا ، بمعنى انهم لايشعروننا بنقائصنـــا وعيوبنا ، أو يفهموننا اننا أقل جدارة مما نعتقد فى نفوسنا ، أو يغلب عليهم الاختلاف معنا فى أكثر آرائنا وأفعالنا ، مثال ذلك أن يقول أحدهم : « اننى لا أطيق التحدث الى هــذا الرجل أو معاشرته ، لانه متشامخ ، يدعى الذكاء والالمام بكل شىء » . وقول آخر : « اننى أحب تلك المراة لانها تعجب بأقوالى ، وترفع من شأنى أمام الغير »

٤ ــ اننا نميل بطبيعتنا الى أن نحب المرأة (أوالرجل) التى تجذب اليها الآخرين ، وقلمـــا يخطر ببالنا حب المرأة ، اذا كانت خاملة الذكر من هذه الناحية

٥ ــ اننا نميل بطبيعتنا الى المراة (أو الرجل) التى تمس نقطة ضعف ، أو تسد نقصا فينا ، أو تروى غليلا ،

مثال ذلك الشاب الذى يولع بغرام فتاة ، لان فيها خصالا بدنية ونفسية ، تذكره بأمه ، لاسيما اذا كان لم يفز بنصيب يذكر من الحنان الاموى

٦ ـ اننا نميل بطبيعتنا الى تكرار أو تجنب علاقة سابقة فى حياتنا ، مثال ذلك ان يحب شاب فتاة تذكره علاقته بها ، علاقته السابقة بأمه ، أو تكره فتاة شابا تذكرها العلاقة به ، علاقتها السابقة بوالد تكرهه

اطوار الحب

دل الاستفتاء الذى قام به « البرت الس » بين عدة آلاف من فتيات أمريكيات على أن بدء افتتانهن بشاب أو رجل ، وولعهن به ، كان فى الثانية عشرة من أعمارهن ، وان عدد الذين أحببنهن بين الثانية عشرة والثامنة عشرة من أعمارهن ، بلغ فى المتوسط ستة شبان أو رجال ، وان هذا الافتتان أو الحب ، فيما يختص بالاناث ، يكثر طيلة العقد الثانى من العمر

ودلت عدة دراسات أخرى على ان عاطفة الحب بين طلبة الكليات والجامعات ، تتناول أربع مراحل : حب ، افتتان ، عدم اكتراث ، كراهية ، واذا رسمنا خطا بيانيا بتدرج هذه الانفعالات الاربعة ، كانت عند الاكثرية كالآتى :

عدم اكتراث ، ثم الصعود تدريجا الى مرحلة الافتتان ، ثم الهبوط الى عدم الاكتراث فالكراهية ، أو الحب

على أن هذه المراحل تختلف باختلاف الاطراد

هل نتعلم الحب ؟..

القدرة على حب الآخرين تولد مع الطفل ، ولكنها لا تنمو الا بتوفير الفرص لها ، أى الاتصال بالغير ، ولتفهم ذلك ينبغى لنا أن نعود بالقارىء الى الطفولة المبكرة

يتلقى الطفل دروس الحب الاولى بين ذراعى أمه ، حينما تضمه الى صدرها فيحس بالدفء ، والامان ، والراحة ، والطمأنينة ، والشبع ، والارتواء ، فضلا عن اللذة التى يستمتع بها من عملية الرضاعة ، وبعد زمن يركز بصره فى وجهها فتبتسم اليه ، وبعد شيء من الجهد والمحاولة يرد الابتسامة بمثلها ، ومتى أخذت تتحدث اليه وتغنى ، يحاول أن يستجيب بطريقته الخاصة ، فيناغى ، وسرعان ما يدرك ان اللذة التى يشعر بها مصدرها الصوت الذى ينبعث من الام ، والشذى الذى يفوح منها ، والدفء الذى يشع من صدرها وذراعيها ، وتصبح هذه بدء استجاباته لغير أمه من أخوة واخوات وأقارب ومعارف. فاذا ماخابت آمال الطفل فى هذه المرحلة المبكرة من العمر ، شب كارها للعالم الذى يعيش فيه ، وخيل اليه أن كل من فيه يضمر له العداء ، وعندما يكبر ، يغلب على الظن أنه يحاول التعويض عن الحرمان وسوء المعاملة بالتطرف فى سلوكه نحو الآخرين ، فاما أن يتجنب الناس ويعمد الى الانطواء ، أو يعاملهم بالعنف والقسوة ، فاذا تزوج عامل الزوجة بمثل ما عومل به فى صغره ، وقسا على ذريته ، وما يقال عن علاقة الطفل بالام ، يقال مثله عن علاقته بالاب ، والاخوة والاخوات ، والمعلمين فى المدرسة ، وكل من يتصل بهم

الحب والافتتان

الافتتان أو الشغف أو الولع شيء ، والحب شيء آخر ، ولو ان الصلة بينهما قريبة ، وقد يتحول الافتتان فى النهاية حبا

وسنحاول فى الفقرات الآتية أن نبين بعض الفوارق بينهما :

١ ــ يكون الحب عادة فى نهاية مرحلة المراهقة ومستهل

مرحلة الرجولة أى السنوات الاولى بعد العشرين . أما الافتتان فيغلب أن يكون فى بدء مرحلة المراهقة وما دونها

٢ — فى حالة الحب قلمـــا يتعلق الشـــخص بأكثر من اثنين فى وقت واحد ، بينما فى حالة الافتتان يميـــل الشخص أن يتعلق بأكثر من ذلك

٣ — تمتد فترة الحب زمنا طويلا عادة ، ولكن يغلب على الافتتان ان يكون قصير الاجل

٤ — اذا وضع الحبيب حدا للحب ، فيغلب أن يستأنفه تدريجيا ، أما اذا وضع أحدهم حدا للافتتان بشخص ، فيغلب أن يستأنفه بعد فترة وجيزة

٥ — فى الحب يكون الحبيب عادة ملائما لصاحبه ، أما فى الافتتان لا يكون فى الغالب صالحا له

٦ — فى حالة الحب يرضى الوالدون عادة عن الحبيبين ، ولا يرضون فى حالة الافتتان فى أكثر الاحايين

٧ — الحب يشـــمل عادة الاعجاب بشخصية الحبيب جملة ، ولـــكن الافتتان يقتصر الاعجاب فيه على ســـمات معينة ، وهى فى الغالب جسدية

٨ — الحب يصحبه عادة تجدد فى النشاط ، وطموح ، ولذة فى الحياة . أما الافتتان فقلما يصحبه طموح أو تغير يذكر فى نظرة الشخص للحياة

٩ — يقترن الحب فى أكثـــر الاحايين بالثقـــة بالنفس والطمأنينة والوثوق من نيات الحبيب ، ويكثر فى حالة الافتتان الشعور بالاثم وعدم الطمأنينة والخيبة

١٠ — يقترن الحب عادة بالواقعية ومواجهة الحقائق ، ولكن فى الافتتان لايهتم المرء بالواقع

١١ — فى الحب لا يتطرق الملل للحبيبين ، لتعدد الميول وأنواع النشاط المشتركة ، أما فى الافتتان فان الملل يتطرق

اليهما طالما توقفت الاثارة الجنسية أو غيرها من الوان اللهو والتسلية

١٢ ــ فى الحب تتغير العلاقات وتنمو وتزيد العواطف عمقا ، ولكن فى الافتتان تبقى العلاقات كما هى أو لاتتغير الا قليلا

الحب الاصيل

قد يكون الحب عاطفة سطحية ، طارئة ، تافهة ، وقد تكون أصيلة عميقة الغور ، وقد تشتد هذه العاطفة ، فيظن صاحبها انه حب لا غش فيه ، والواقع ان هذه العاطفة النافرة العارمة ، قد تكون انذارا بالخطر . ومن الخطأ الفادح أن يقدم الشاب على الزواج قبل أن يتحقق من أن الحب ليس مجرد افتتان أو هو ثورة عاطفية وقتية ولعل القارىء قد وجد فى الفروق بين الحب والافتتان ما يعينه على تمييز الحب الخالص من الحب المزيف ، ومع ذلك نضع أمامه المقاييس الآتية :

يتميز الحب الدائم بالخصائص الآتية :

١ ــ انه متعدد الصفات ، لين العريكة ، حارالعاطفة ، أخوى ، شديد التركز فى مصدر من مصادر القوة ، ظهير للحبيب فى كل زمان ومكان ، يتضوع شذاه فى كثير من النواحى

٢ ــ يخرج عن نطاق الحبيبين الى الغير فى شتى القيم الانسانية ، فيهمه سعادتهم وراحتهم

٣ ــ حفاز ، أى يدفع صاحبه الى العمل والابتكار ، ويطلق الطاقة الكامنة فيه ، فتسمو غاياته ومثله العليا

٤ ــ نزاع للمشاركة المادية والوجدانية قولا ، وعملا، وفكرا ، وخطة ، وهواية ، ومطامح وأمالا

٥ — شعاره « نحن » لا « أنا » فيقول صاحبه لشريكه « هذا ما نريد ، وهذا ما نحس ، وهذا ما ينبغي أن نعمل» لا بصيغة الفرد

٦ — واقعي ، أي يحدو بالحبيبين أن يواجها الاخطاء ، والعيوب ، والمشاكل ، والمآسي عمليا ، والعمل على حلها على هذا الاساس

٧ — ميال للتغيير والنمو بمضي الزمن ، ومعنى هـذا أن تنمو العواطف ، وتتسع رقعـة العـلاقات وتتنوع ، وتتشعب المصالح المشتركة ، ويتعمق الوجدان ويقوى ، ولعل هذا من أهم المقاييس التي يعتمد عليها



الفصل الثانى

موعد فلقاء



تقاليد التعارف

فى بعض البلدان يتزوج الناس من أشخاص لم تسبق لهم معرفة بهم ، تقول البعض ، والواقع ان هذا هو الشائع فى أكثر بلدان الشرق الاقصى ، كما كان الشائع سابقا فى أكثر بلدان العالم ، والحال على النقيض من هذا فى القارتين الامريكية ، والاوربية ، وأفراد قلائل من كل أمة من الامم المتأثرة بحضارة هاتين القارتين

والفرق بين التقليدين ، فرق فى فلسفة الزواج ، أو نظرة الجنسين الى الحياة الزوجية ، فالمتمسكون بالتقاليد القديمة ، كما فى الصين مثلا ، يتبعون المبدأ القائل : ان الرجل أو (المرأة) يتزوج أولا ، ثم يحب بعد ذلك ، أما المتمسكون بالتقاليد الحديثة فى أمريكا وأوربا ، فيتبعون المبدأ القائل بأن الزواج لابد أن يسبقه الحب ، أى أن يكون الحب أساس الزواج

ولما ارتفعت نسبة الطلاق فى أمريكا منذ العقد الثالث من هذا القرن ، نادت فئة قليلة من سيداتها البارزات فى الاوساط الاجتماعية ، بوجوب العودة الى الماضى البعيد ، وترك اختيار الزوجة للأمهات والعمات والخالات ، وتعويد الشبان الرضا بهذا الاختيار ، والتعود على حب من وقع عليها الاختيار ، بعد الاستسلام للأمر الواقع ، والقناعة بما كتب لهم القدر ، والقسمة والنصيب ، على ان الاستجابة الى هذا النداء ، لم تخرج عن نطاق المقالات القليلة التى نشرتها بعض الصحف والمجلات

وبين هذين التقليدين توجد درجات متفاوتة ، منهـا ما يقرب من التعارف التام بين الشاب والشابة أو المرأة والرجل كما هو الحال فى المعسكر الغربى ، ومنها ما يقرب من العادات المعمول بها فى المعسكر الشرقى ، أو ما يوشك أن يكون كذلك

ضرب المواعيـــد

وسنرسم فى الفقرات التالية صـورة موجزة لتقليـد الزواج المعمول به فى البلدان الغربية ، عن طريق المواعيد التى يتفق عليها الذكور والاناث ، لمجرد التعارف أو تمضية فترات اجتماعية بريئة ، قد تطول أو تقصر ، وقد تنتهى بالزواج وتمهد له ، أو يوضع لها حد وتنقطع العلاقة . ويطلق عـلى هــذا التقليد فى أمـريكا كلمــة dating (أى أخذ موعد) بالمعنى الحرفى ، ونذكر أمريكا بالذات ، لان هذا التقليد اكثر شيوعا منــه فى أى بلد آخر ، ولان الوالدين والمربين وولاة الامور فى أمريكا يعنون به عنـاية خاصة ، حتى ان المدارس الثانوية هناك تخصص ساعات دراسية فى عدة مواد مقررة ، للالمام بآدابه ومبادئه وآثاره الاجتماعية والاخلاقية ، والسبب فى ادراج هذه الدراسة فى مواد التعليم الثانوى ، ان طلبته وطالباته من المراهقين والمراهقات ، وان البدء فى « ضرب المواعيد » dating يبدأ فى مستهل هذه المرحلة من العمر عادة

وأغرب من هذا ان المدارس الابتدائية لا يفوتها أن تبادر فى تنظيم هذا التقليد لطلبة السنة الاخيرة فى هذه المرحلة من التعليم وطالباتها ، حتى لاينزلقوا الى تيار هذا التقليد انزلاقا أعمى ، قبل التحاقهم بالمدارس الثانوية ، وذلك ان معلمات تلك المدارس (وأحيانا بعض معلميها من الذكور) يعقدون حفلات راقصة مرة كل آخر أسـبوع ، وفى

مناسبات معينة ، للتلاميذ والتلميذات ، ويتولون الاشراف عليها ، وتكون هذه الحفلات عادة نواة للتعارف و « ضرب المواعيد »

وقد كان كاتب هذه السطور يعجب كلما شهد حفلات هذه المدارس مساء السبت ، لزرافات الصبيان فى الثالثة عشرة او الرابعة عشرة من أعمارهم قادمين من منازلهم وفى ملابس السهرة أحيانا ، وزميلاتهن من التلميذات يتأبطن أذرعهم ، كان هذا يدعو للعجب لصغر سن أولئك التلاميذ ، واهتمام المدارس بهذا التقليد الى هذا الحد

نذكر أيضا وإقعة حال شهدناها يوما ما فى « الفيللا » المجاورة « للفيللا » التى كنا نسكنها فى مدينة أربانا الجامعية فى ولاية الينوى ، نرويها للقراء :

كانت حديقة الدار تعج بالنشاط مساء ذلك اليوم على خلاف العادة ، كان الزوج ، وهو أحد أساتذة الجامعة منهمكا فى تنظيف السيارة وتلميعها وفحص آلاتها ، وكانت الام تعود من الخارج تحمل مرة بذلة تكسيدو (وهى الكلمة الامريكية التى تقابل سموكنج) صغيرة ، وتارة تعود من محل الكواء بقميص أبيض وملابس أخرى ، وهكذا كانت هناك حركة غير عادية فى أوج شدتها ، وقادنى الفضول الى سؤال السيدة زوجة زميلنا الاستاذ عن سر هذا النشاط ، فأجابت بكل بساطة ، ان ابنها « س » البالغ من العمر الرابعة عشرة سيخرج لاول مرة مع احدى زميلاته ، مصطحبا اياها الى حفلة رقص ، وقد أشارت الى هذه الزميلة بكلمة DATE ، لان هذه الكلمة وان كان معناها موعد أو تاريخ ، فانها تطلق على الزميلة التى يضرب معها الموعد

ويتضح من واقعة الحال هذه ان الوالدين يهمهما ان

يكون هذا التقليد سليما ، تراعى فيه آداب الملبس ، والذهاب والعودة ، والحديث ، والرقص ، وغشيان أماكن اللهو ، والاكل والشرب ، وغير هذا من مبادىء «الاتيكيت»

ومن السهل فى معاهد التعليم التى يشترك فيهما الجنسان فى قاعات الدرس ، اقامة حفلات الرقص والتعارف وغيرها من الوان النشاط الاجتماعى ، وهنا يحق للقارىء أن يتساءل : ما الذى يحدث فى المدارس الابتدائية والثانوية والكليات التى يقتصر فيها الطلاب على جنس واحد ، ذكرا أو أنثى ؟.. المسألة فى غاية البساطة ، يدعو تلاميذ مدرسة البنين تلميذات احدى مدارس البنات القريبة ، للحفلة الراقصة أو غيرها من الحفلات ، أو تصدر الدعوة لمدرسة البنين من أقرب مدرسة للبنات ، مثال ذلك ما شهدناه فى كلية سارة لورنس الشهيرة — وهى كلية أرستقراطية — من دعوة طالباتها لطلبة جامعة « يل » القريبة منها ، للاشتراك فى حفلاتها فى كل مناسبة وتكون الفرصة فى هذه الحفلات سانحة « لضرب المواعيد » وما يليه من لقاء ، يكون فى كثير من الاحايين تمهيدا للزواج

موعد مع مجهول

كثيرا ما يحول الخجل أو الحياء أو عدم الخبرة — سواء أكان صاحبه شابا أم فتاة — دون التقدم الى شخص من الجنس الآخر لضرب موعد للخروج معا ، وفى هذه الحالة يقوم شخص آخر (عادة ما تكون سيدة) كوسيط للجمع بين اثنين ، كلاهما مجهول للآخر ، وقد شهدنا فى جامعة « الينوى » حالة من هذا النوع ، قيل لنا انها من الحالات غير النادرة

فى تلك الجامعة بناء خاص تشرف عليه سيدة يطلق عليها اسم عميدة الطالبات ، يعاونها عدد من الاخصائيات

الاجتماعيات ، والمشتغلات بالعلوم النفسية ، ونفر من السكرتيرات وغيرهن .. ونظرا لالوف الطالبات واقبال الكثيرات منهن على هذا البناء ، حلا لمشاكلهن الاجتماعية والنفسية ، فان العمل فيه والنشاط على قدم وساق ، والحالة التى تشير اليها هنا خاصة بفتاة دخلت مكتب العميدة وهى تجهش بالبكاء ، ويدل منظرها على انها تقاسى أزمة نفسية عنيفة

وقد اتضح ان شكواها تنحصر فى انها منذ التحقت بكليتها ، لم تتلق موعدا من أحد الطلبة الذكور أسوة بزميلاتها ، فقالت لها العميدة : لم لا تترددين على احدى حفلات الرقص (وعددها ستون حفلة أسبوعيا ، موزعة على الكليات المختلفة واقسامها) ؟..

فأجابت : لقد ترددت كثيرا ، فلم يطلب أحد يدى للرقص ، وبعد قليل أدركت العميدة السبب ، وذلك ان الفتاة أطول قامة مما يجب ، فكان طبيعيا أن يتجنبها الطلاب رغم طول قاماتهم ، وما كان من العميدة الا انها بحثت عن أطول طالب فى الجامعة ، ومهدت للفتاة بلقائه على غير معرفة ، على اننى علمت من العميدة بعد ذلك ان هذا اللقاء لم يستمر طويلا ، فما كان منها الا ان دبرت للفتاة مكانا فى جامعة منيسوتا ، وجامعة منيسوتا هذه فى ولاية منيسوتا المشهورة بطول قامة أهلها لانهم ينحدرون من أصل سويدى ، وبهذا حلت مشكلة الفتاة

الصفات المستحبة

ما هى الصفات المستحبة فى الشريك (ذكرا أو انثى) التى تجعله أفضل من سواه فيما يتعلق بضرب المواعيد ؟ دلت الدراسات التى أجريت بين طلبة الكليات الجامعية وطالباتها على ان الصفات السبع التى تقدمت على كل

ما عداها ، كالآتى مرتبة ترتيبا تنازليا حسب أهميتها ، أى من الاهم فالمهم :

١ ــ أن يكون الشخص (ذكرا أو أنثى) موفور الصحة البدنية والعقلية

٢ ــ أن يكون موضع ثقة والاعتماد عليه

٣ ــ أن يراعى العناية بمنظره الشخصى وهندامه وآدابه العامة

٤ ــ أن تكون أحاديثه وأعماله لا غبار عليها

٥ ــ أن يكون مرح الطباع ذا حساسية للمزاح النظيف

٦ ــ أن يكون مجبولا على مراعاة شعور الشريك والغير

٧ ــ أن تتفق تصرفاته وسنه ، والا يميل للأعمال الصبيانية

الصفات المستهجنة

على ان الصفات المستهجنة التى يراها الشريك فى الآخر تختلف عند الجنسين ، وهذا ما دلت عليه الدراسة السالفة :

١ ــ تستهجن الاناث فى الذكور : عدم ضبط النفس فى ابداء عواطفهم وانفعالاتهم ، واهمالهم ، وعدم تفكيرهم فى صالح الغير ، وخلوهم من الوقار ، وولعهم بالمسائل الجنسية وميلهم للظهور

٢ ــ ويستهجن الذكور فى الاناث : التكلف اى عدم الظهور بالمظهر الطبيعى ، والاغداق فى الحساسية وشدة التأثر لاسباب تافهة ، وتعليق أهمية كبرى على المسائل المالية ، وعدم الاستجابة ، والتصرفات الصبيانية ، والطيش

المواعيد وتقاليد الاسرة

تختلف نظرة الوالدين وسائر أفراد الاسرة الى

« المواعيد » باختلاف تقاليدها ، ففى أمريكا ــ وهى أكثر بلدان العالم تمسكا بعادة « المواعيد » بين الجنسين ــ لا تزال توجد أسر كثيرة ، شديدة الحذر والمحافظة على سمعة بناتها ، فلا تسمح للفتاة بأن يصحبها زميلها فى طريقهما من المدرسة أو الكلية الى البيت ، الا بعد تحقيق دقيق عن خلق ذلك الزميل وأهله وصفاته ، كما يوجد من الآباء والامهات من لايسمح بتاتا لبناته بالاستجابة لموعد ، ينفرد فيه الشريكان

المواعيد وتقاليد الاسرة

بيد أن الكثير من الآباء والامهات يعتقد أن الفتاة متى بلغت الثامنة عشرة مثلا ، لا يخشى عليها من الفتنة ، وفى مقدورها المحافظة على نفسها ، طالما كانت تربيتها البيتية منذ نعومة أظفارها سليمة ، ومن الآباء والامهات من يشجع البنين والبنات فى سن مبكرة على اتباع تقاليد « المواعيد » هذه ، لان الصداقة البريئة بين الجنسين فى هذه السن فى نظرهم ذات فوائد اجتماعية وخلقية لا تحصى ، فضلا عن انها صداقة فى كثير من الاحايين باقية دائمة ، وتمهد للزواج فى السن الملائمة

الاستقرار

يتردد الشاب عادة فى مواعيده المختلفةعلىعدة فتيات ، ويصادف ألوانا شتى من الطباع والامزجة والاخلاق ودرجات الثقافة والطبقات الاجتماعية ، ثم يستقر غالبا فى مواعيده ، فلا يضربها الا مع فتاة واحدة ، ولا يخرج مع سواها ، وهى كذلك لا تقبل موعدا الا منه ، ولا تخرج أو يفوز باللقاء بها سواه

وبهذا يشير اليهما الناس بالبنان ، فيقولون ان سلوى « فتاة يوسف » ، وان يوسف « فتى سلوى »

وفى الحفلات العامة من أصدقائهما من الشبان والشابات ، أو من الهيئات والاندية والجماعات ، ومن الحفلات التى تقام بمناسبات معينة فى بيوت الاهل والاقارب ، يدعيان معا ، لارتباطهما فى أذهان الناس بعضهما ببعض

وفى هذا التقليد مزايا لا تنكر ، منها الشعور بالطمأنينة الشخصية ، والضمان الاجتماعى ، وهو رمز لبلوغ الهدف من الصداقة والزمالة ، والتسامى بها الى ما يقربهما من مرحلة الزواج ، فضلا عن ان فى الاستقرار فرصة أوسع لتعرف الواحد على طباع الآخر ومزاجه ، ومحاسنه ، وعيوبه ، وتوطيد أواصر الحب بينهما

بيد ان الاستقرار هذا لا يخلو من مثالب ، فقد دل الاختبار على ان البعض يتسرعون فى اختيار الشريك « الدائم » تسرعا يؤول الى الحرج فالفشل ، ومن أشد الاخطاء خطرا أن تؤكل الفاكهة فى غير أوانها وهى فجة ، ومن التقاليد التى شاهدناها فى جامعات أمريكا ، أن تخصص بعضها أسبوعا كل عام يسمونه «أسبوع الزواج» تعقد فيه سلسلة اجتماعات يوميا ، يدعى الى الخطابة فيها عدد من علماء الاجتماع ، وعلماء النفس ، والاطباء ، ورجال الدين ، والبارزات فى الاوساط التسوية الاجتماعية ومحررات المجلات النسائية ، ومجلات الازياء ، ومما استرعى أنظارنا فى أقوال هؤلاء الخطباء من الجنسين اجماعهم على وجوب التردد فى المواعيد بين الشبان والفتيات على أكبر عدد ممكن ، حتى يتاح لكل منهما ، قبل الاستقرار ، العثور على من يلائم مزاجه ، وينبىء بصلاحيته للزواج

ومن الاخطار التى تنجم عن التسرع فى قصر المواعيد على فرد واحد ، والاستمرار معه زمنا طويلا قبل الشروع فى الخطبة والزواج ، ان أحد الشريكين قد يكون جادا فى

نواياه ، فى حين ان الآخر قد يمل العشرة ، ويترتب على ذلك ان فض الشركة يلاقى صعوبات جمة ، فيضطر الواحد أن يواصل الشركة خشية أن يجرح احساس الآخر ، أو يثير فضيحة بين أهله ومعارفه

« المواعيد » تمهيد للزواج

من الفوائد التى تحققها « المواعيد » ، انها تمهيد لتوثيق أواصر المودة ، وما يليها من مراحل الغرام والخطبة والزواج ، والواقع ان العادات والتصرفات والانطباعات التى تنشأ فى خلال هذه الفترة — فترة المواعيد — هى التى ينشأ عليها الشريكان غالبا ، اذا عقدا النية على الزواج . فاذا كانت الفتاة فى هذه المرحلة التمهيدية صاحبة الكلمة العليا فى علاقتها مع الشاب ، فانها ستكون صاحبة الكلمة العليا عندما تصبح له زوجة

ومن فوائدها انها وسيلة عملية فعالة لاكتشاف الطباع والعواطف والانفعالات ، وكبح جماحها ، وتهذيبها وصقلها هذا اذا كانت العلاقة فى خلالها سليمة بريئة ، وكان العقل فيها رائدها ، غير انها تقليد خطير ، ملىء بديناميت الفتنة والغواية ، اذا لم يكن هناك من التربية البيتية والمدرسية منذ الصغر ، ضمان للاتزان بين الشاب وفتاته ، واذا لم تقف التقاليد المرعية فى البيئة حائلة دون الانغماس فى الفة ، والاغراق فى عاطفة تؤدى فى النهاية الى الانزلاق

وسائل التعارف

فيما عدا وسائل التعارف السالف ذكرها ، توجد فى البلدان المختلفة هيئات وأندية وجماعات منظمة ، الغرض منها توفير الوسائل التى يمكن بوساطتها أن يتعرف الشبان بالفتيات ، تسهيلا للزواج وتمهيدا له ، فمما لاشك

فيه أن هناك نسبة كبيرة من الشبان الذين يحجمون عن الزواج ، لا لرغبتهم عنه ، بل لانهم لا يجدون طريقا يدلهم على الفتاة التى تلائم ظروفهم وشخصياتهم ، كما توجد نسبة كبيرة من الفتيات اللاتى يلازمن بيوتهن وأسرهن المحافظة ، وقلما يتاح لهن الظهور فى الخارج ، والكثير منهن على جانب من الصفات البدنية والعقلية والثقافية التى يطمح فيها الكثير من الشبان ، وكثيرا ما تبقى أولئك الفتيات خاملات الذكر دون أن يطلب أيديهن أحد

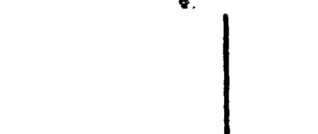
وتختلف هذه الهيئات فى أنظمتها وأهدافها ، فبعضها لا ينشد سوى عمل الخير ، والبعض يهدف للربح المشروع على أن الحال لا يخلو من هيئات لا هم لها سوى الكسب بغض النظر عما تقتضيه مهمتهم من مراعاة العنصر الانسانى ، والخلق القويم

ومن وسائل التعارف هيئات ، ومجلات ، وصحف ، تتخذ المراسلة بين الجنسين وسيلة للجمع بين أفرادهما ، وقد تنجح هذه الوسيلة أحيانا فى ايجاد الشريك الملائم لمن يشكو الوحدة ، ويحول حياؤه وقلة حيلته دون التوفيق فى العثور على النصف الآخر .. غير ان الزواج عن طريق المراسلة ، أو مجرد التعارف بهذه الوسائل ، قلما يكلل بالنجاح



الفصل الثالث

الخطبة





الخطبة في نظر الرجل

الكثير من الرجال لا يعير الخطبة ومراسيمها الاهمية التي تعيرها المرأة ، ففي حين ان الرجل يؤثر أن تندمج مراسيم الخطبة والزواج معا ، فان المرأة تعتبر الخطبة مرحلة هامة من مراحل حياتها ، تظهر فيها شخصيتها ، وتسترعي الانظار اليها ، وترفع من قدرها بين زميلاتها وأهلها ومعارفها . بيد أن ايجاد فترة معقولة بين الخطبة والزواج ، تهيىء الرجل فوائد جمة ، نذكر منها الآتي :

١ ـ فترة الخطبة تكشف للرجل عن القناع الذي يحجب وجه زوجته بفعل « التواليت » ، كما تكشف عن حقيقة مظهرها بعد أن تبدو في ثياب الحياة اليومية ، سواء من الناحية المادية أم الادبية

٢ ـ فترة الخطبة فرصة سانحة يتفهم فيها الرجل نفسية المرأة في القرن العشرين ، والفرق بين نظرتها العامة للحياة ونظرة أمه وكبرى أخواته ، فاذا كان ينتظر من زوجة المستقبل أن تعامله معاملة أمه له في سن الطفولة ، فقد يكون من الخير له أن يبحث عن سواها

٣ ـ فترة الخطبة فرصة سانحة لتعرف الرجل على والدي الفتاة وسائر افراد أسرتها ، وتعرف أسرته على أسرتها ، والتأكد من توافر التفاهم بين الاسرتين ، فمن المعلوم ان الاقارب ، وان بعدوا ، قد يقوضون دعائم التوافق بين الخطيبين ، اذا لم يرتاحوا لمصاهرة الاسرتين ،

وينتهزون أقل سوء تفاهم بين الشاب والفتاة ليشعلوا بينهما نار البغضاء والفرقة

٤ ــ فترة الخطبة فرصة سانحة ينظم فيها الرجل أحواله المالية ، ويعد نفسه لتحمل أعباء الزواج الاقتصادية

٥ ــ فى هــذه الفترة يختبر الشاب درجة استجابة الخطيبة ، اذ مهما كان هناك من ضبط النفس فيما يتعلق بابداء العواطف والانفعالات الجنسية فى مرحلة الخطبة ، فان فيها تظهر بعض عيوب الزوجة التى تشوب الحياة الزوجية ، كالبرود الوجدانى ، والعجز عن اظهار العواطف ومخاوف الطفولة التى تتمثل فى امعان الخطيبة فى التمتع والحذر من كل ما يشــتم منه الفــة وتودد من جانب خطيبها ، وخير لها مواجهة هذا العيب بكل شجاعة وعلاجه اذا لزم الامر ، من ارجائه الى ما بعد الزواج حيث لايكون هناك وسيلة سوى النزاع والجدل والخصام الذى قد يؤول فى النهاية الى الطلاق

٦ ــ فترة الخطبة فرصة سانحة يمهد فيها الخطيب اشراك زوجة المستقبل فى أعماله المالية والمهنية ومساهمتها فيها ، اذا كان ذلك مستطاعا ، وهــذا عنصر فى حيــاة الزوجين من الاهمية بمكان ، لما للسنوات الاولى من الزواج من خطورة فى وضع الحالة الاقتصادية والامن والطمأنينة للمستقبل على أساس مكين

٧ ــ تهيىء هذه الفترة فرصة يختبر فيها الخطيب ميول خطيبته نحو انجاب الذرية وتنشئة الاطفال وتربيتهم اذا كان هو يتجه نحو هذه الميول بطبيعته ، فمن المعلوم أن الزوجة تعارض أحيانا فى انجاب الذرية ، فاذا لم تتفق الميول فى هذه الناحية ، كانت صفقة الزواج فى الغالب خاسرة

٨ ــ يجرب الخطيب فى فترة الخطبة دوره فى الحيــاة

الزوجية ، كما يجرب الممثل دوره قبل الظهور على خشبة المسرح أمام الجمهور ، وبذلك يكيف ذاته تكيفا يتفادى فيه عيوبه ، ويتلافى فيه مشاكل المستقبل ، والتعثر فى مواجهة الواقع

الخطبة من وجهة نظر المرأة

يتبين مما سبق ، ان ما قيل عن وجهة نظر الرجل فى الخطبة ، ينطبق أكثره ، ان لم يكن كله على وجهة نظر المرأة ، ففى هذه الفترة بين اعلان الخطبة واتمام عقد الزواج ، تتاح الفرصة للزوجة أن تبحث فى تؤدة ودقة كافة الشئون التى تهم الطرفين ، وفيها تشعر بكامل حريتها فى بسط آرائها ، وابداء رغباتها وميولها ، وعرض آمالها وأمانيها ، والوقوف على آراء زوج المستقبل فى الدور الذى تقوم به هى كزوجة وربة بيت ، وأم اذا كتب لها أن تنجب لهما بنين وبنات ، وكعاملة أو موظفة اذا شاءت أن تخرج فى طلب رزقها ، فضلا عن مدى علاقة كل منهما بأصدقاء الطرفين ومدى استمرار هذه الصداقة ، وغير ذلك من كل علاقة خارج نطاق الحياة الزوجية

وتعتبر مرحلة الخطبة بوتقة يصهر فيها معدن الحب والعاطفة بين الرجل والمرأة ، فيبدو فيهما نقاوة اللجين وصفاء العسجد ، كما يظهر فيها خبث الحديد ، فمن المعلوم ان فترة « المواعيد » واللقاء ومطارحة الغرام وغير ذلك مما يتعرض له الطرفان قبل الخطبة ، لا تخلو من التصنع والنفاق والرياء فى كثير من الاحايين ، وان طول الزمن وحده كفيل بكشف الستار عما وراء ذلك من حب خالص وعاطفة صادقة

فى هذه المرحلة يكشف ــ أو ينبغى أن يكشف ــ كل من الخطيبين عن أوراقه ، ويضعها سافرة على المائدة :

تاريخ الطفولة والمراهقة وما بعدهما ، مما يملأ صفحاته من أصدقاء وأعداء ، وأحداث سارة ، وكوارث محزنة ، ووقائع تفوح منها روائح الغيرة ، وتتصاعد منها أبخرة الشبهات ، وعلاقات بين الخطيبين شـــوهتها منازعات وخصومات وألوان شتى متنافرة من الضغائن والحقـــد وسوء التفاهم، فاما أن تلقى هذه فى زوايا النسيان، ويسدل عليها الستار نهائيا ، واما أن يعيد الشريكان النظر فيما يعتزمانه من حياة زوجية دائمة ، ولسنا نعدو الحقيقة كثيرا اذا عبرنا عن الشبان والفتيات الذين يقطعون مرحلة الخطبة ، تعبيرا مجازيا ، فقلنا انهم فى هذه المرحلة كرواد الصحراء وهواة التجريب العلمى معا

فى الفترة التى تسبق الخطبة قد تقوم الام ، والاب ، والاقارب ، بهذا التجريب ، وذلك البحث ، بمعزل عن الفتاة ، أما فى فترة الخطبة فتتاح الفرصة للفتاة أن تقوم بالبحث والتجريب بمعزل عن الوالدين والاقارب ، وفى جو لا تشوبه الأهواء أو تفسده الاغراض

طول الخطبة

هل هناك مقياس لطول الفترة بين الخطبة والزواج ؟.. هذا سؤال كثيرا ما يخطر على البال .. أما الاجابة عنه فتختلف باختلاف أحوال الخطيبين

ما عدد الشهور أو السنوات التي تعرفا فى خلالها قبل الخطبة ؟.. هل نشأ الواحد فى أسرة مجاورة لاسرة الآخر؟ هل أمضيا مرحلة الدراسة الابتدائيـــة أو الثـــانوية أو الجامعية ، بعضها أو كلها معا ؟.. هل قرأ كل منهما كتبا جدية علمية عن الزواج وملابساته ؟.. هل استشـــارا احدى مؤسسات الزواج قبل عقد مراسيم الخطبة ؟.. وفى اية سن عرف أحدهما الآخر ؟..

ومهما يكن من شيء فان الدراسات التى قام بها كل من « ترمان » Terman و «كوتريل» Cottrell تدل على ان نجاح الحياة الزوجية يتناسب تناسبا فرديا مع طول هذه الفترة ، على ان الاحصاء الذى جاء به هذان العالمان قد يدل على شيء آخر فى هذا الموضوع ، وهو انه يحتمل ان الازواج الذين درست أحوالهم فى هذا الاحصاء ، كانوا من ذوى الشخصيات القوية والاخلاق الممتازة ، مما ساعدهم على البقاء على العهد رغم طول الخطبة التى أوشكت أحيانا على عشر سنوات ، يضاف الى هذا ان هذه الدراسة لم تبين تماما نسبة الازواج الذين فسخت خطبتهم بسبب طول المدة

وفيما يتعلق بالسعادة الزوجية ، اتضح من دراسة « كوتريل » ان أسعد الزيجات التى قضى فيها الزوجان عامين أو أكثر بين الخطبة وعقد الزواج ، وان ١١ فى المائة من هؤلاء فقط لم يوفقوا فى حياتهم الزوجية ، فى حين ان ٥٠ فى المائة من الزيجات الفاشلة تمت فيها مراسيم الزواج بعد الخطبة بأقل من ثلاثة شهور

واتضح من دراسة « ترمان » ان التوافق والسعادة الزوجية بلغا القمة عند الازواج الذين أتموا مراسيم الزواج بعد الخطبة بخمس سنوات أو أكثر

وعلل « ترمان » هذه الظاهرة بقوله ان الزواج الذى يسرع اليه الزوجان الخطى ، أى بعد الخطبة بفترة قصيرة يغلب فيه الحب « الرومانتيكى » ، فى حين أن الزواج الذى يتريث فيه الخطيبان ، تغلب فيه روح الزمالة والصداقة ، أو بعبارة اخرى انه حب واقعى لا خيالى ، يتصف بالنضوج والثبات ، ويزيد « ترمان » على ذلك انه ينصح الخطيبين بمد فترة الخطبة حتى يتبين لهما اذا كان ما بينهما من الحب ، عاطفة طارئة فجة ، أم انها عاطفة

خالصة صـــادقة ، أو انها بدأت فجة رومانتيكية ، ثم نضجت ورسخت بطول الزمن

ولسنا فى حاجة الى احصائيات لبيان الاخطار التى فى وسع الخطيبين تفاديها اذا ما قصرت الفترة بين الخطبة والزواج ، فحسبنا أن نعلم ان فسخ الخطبة فى خـلال سنوات الخطبة ، بلغ عددها ما بلغ ، خير من هدم الحياة الزوجية بالطلاق

واذن فالاجابة عن السؤال الذى صدرنا به هذه الفقرات لا يكون بتحديد عدد السنوات ، وانما بترك الباب مفتوحا للعدد الذى يتسنى فيه للشاب والفتاة أن يقوما فيه على الوجه الاكمل بعمليات الفحص والتجريب ، والمناقشة ، ودرس المشاكل الزوجية والخصام تارة والوئام أخرى ، والحب الصادق الذى يتقبل الخطيبان على أساسه اتمام الزواج ، أما اذا أردنا أن نذكر رقما متوسطا يصلح أن يكون مرضيا عند الاكثرية ، فنقول ستة شهور على الاقل و ٢٤ شهرا على الاكثر

وهناك سؤال آخر يود الكثير من الشبان والشـابات وأهليهم لو أن ثمة اجابة منطقية عنه ، الا وهو : متى تبلغ فترة الخطبة من الطول ما لا تحمد عقباه ؟..

يقول « هنرى بومان » Bouman أن فترة الخطبـة تزيد عن الحد المعقول :

ـ اذا ما توترت فى خلالها أعصاب الخطيبين
ـ اذا ما تغلغل فى جوارحهما الاحساس بخيبة الامل
ـ اذا ما ضاقا ذرعا وضجرا من الم الانتظار
ـ اذا دب فى العلاقة بينهما اليأس
ـ اذا ما أصبح الواحد عديم الاكتراث (أو قليله) بالآخر
ـ اذا أصبحت الخطبة بديلا للزواج فى نظرهما وفى علاقاتهما

افتراق الخطيبين

من المسائل التى تواجه الخطيبين افتراق أحدهما عن الآخر زمنا طويلا لاسباب خارجة عن ارادتهما ، كانخراط الخطيب فى سلك الجندية بسبب الحرب ، أو نقله الى وظيفة فى مدينة ، أو بلد ناء عن المكان الذى تقيم فيه خطيبته ، أو سفره الى قطر بعيد لمواصلة دراسات عالية فى احدى جامعاته تستغرق عدة سنوات ، أو غير ذلك من العوائق التى تحول دون دراسة المسائل الزوجية وجها لوجه ، وايجاد الحلول الملائمة التى تضمن نجاح الحياة الزوجية .. فهل يمكن أن تقوم المراسلة بهذه المهمة بينهما ؟..

قد تكون المراسلة وافية بالغرض اذا توافرت فيها الشروط الآتية :

أولا — لابد أن تكون المدة بين الخطبة والفرقة كافية ، لاختبار الواحد الآخر والتعرف عليه ، واطمئنان الاهل والاقارب على صلاحية الخطيبين للزواج ، فلا شك ان رضا الجمهور الذى يهم كلا من الشاب والشابة — أو ارتياح اكثره على الاقل — أمر ضرورى

ثانيا — لابد أن تكون الخطابات المتبادلة وافية شاملة ، حتى تكون مرآة مجلوة لخبرات الخطيبين ، وأحاسيسهما وأهم الاحداث التى يتعرضان لها ، وما يطرأ على شخصيتهما من تغيرات ، والاسباب الداعية اليها ، كما جب تبادل الصور الفوتوغرافية أولا فأول ، حتى تنبىء لواحد عما قد يبدو على الآخر من نقص أو زيادة فى لوزن ، أو تغير فى المظهر الخارجى بوجه عام ، والاماكن لتى يرتادها ، والناس الذين يختلط بهم

ثالثا — أن تكون الخطابات المتبادلة وسيلة فعالة

لمناقشة الكثير من المسائل بشجاعة وصراحة قد لا تتسنيان اذا كانت المناقشة وجها لوجه ، مثال ذلك كل ما يتعلق بانجاب الذرية ، والمال والمتاع ، والمذهب الدينى (فى حالة اختلاف الدين أو المذهب) ، وتوظف الزوجة وشغل أوقات الفراغ، ودورالمسألة الجنسية فىالحياة الزوجية. ولا يقصد بهذا ، ان هذه الموضوعات لا تناقش وجها لوجه ، وانما ما نعنيه هنا ، ان المراسلة تتيح للخطيبين التبسط فيما قد يحول الحياء دونه شفاها

رابعا ــ أن تشمل المراسلات اشارات الى الكتب والمجلات التى قرأها كل من الخطيبين ، وأخذ رأى كل منهما فيما ورد فيها من الموضوعات التى تهمهما

هل الخطبة احتكار ؟..

ما الذى يحدث لكل من الخطيبين فى فترة الفرقة ؟.. هل يكف كل منهما عن كل نشاط اجتماعى يوجب لقاء واحد من الجنس الآخر فى مواعيد يتفق عليها كالتى أسهبنا الكلام عنها فى الفصل الثالث ؟.. أم يحتم اخلاص الخطيبين بعضهما لبعض ، تفادى كل ما قد يؤدى الى تنافس واغراء وميول عاطفية ؟.. أم تتوقف المسألة على الخطيبين ومقدار ثقة أحدهما بالآخر ، وعدم تزعزعها لمجرد خروج أحدهما مع الآخر لارتياد احدى دورالسينما، أو حضور حفلة معينة ، أو قضاء السهرة عند بعض المعارف والاصدقاء ؟..

هذه كلها أسئلة تخطر على البال .. والاجابة عنها قد تكون قاطعة بالنفى عند الاكثرية ، واجابة بالايجاب عند أقلية يقال عنها انها « متحررة » ، وبين هذا وذاك فئة قليلة لا تجيب بنعم او لا ، ولكنها تتذبذب بين اليمين واليسار

وقد دلت نتيجة استفتاء أجراه أحد أساتذة الاجتماع على ٦٠٨ من طلبة جامعة وسكونسن فى أمريكا ، على أن ٦٥ فى المائة منهم استنكروا خروج خطيباتهم مع آخرين بسبب فراق بعضهم عن البعض الآخر ، وأن ١٤ فى المائة فقط قالوا انهم لا يجدون عيبا فى ذلك ، طالما كان اللقاء بريئا ، أما البقية فقد امتنعوا عن الاجابة بدعوى عدم الالمام بعناصر الموضوع

ومع ذلك فقد دافع عن رأى الاقلية « هنرى باومن » الاستاذ بكلية ستيفن بقوله : « انه لا غبار على كل من الخطيبين فى فترة الافتراق الطويلة ، اذا ما ضرب موعدا للقاء واحد من الجنس الآخر ، اذ ليس من المعقول أن يشل كل نشاط اجتماعى ، لاسيما ان العادة فى أمريكا ، أن يدعى الناس الى الحفلات أزواجا ــ ذكرا وانثى ــ لا أفرادا ، سواء أكانا زوجين أم صديقين ، وعلاوة على ذلك فان الشخص بعد الزواج قد تحتم عليه الظروف ان يشارك أحد أفراد الجنس الآخر غير زوجه فى احدى المناسبات الاجتماعية ، ومع ذلك لا يشك فى اخلاصه لزوجته أو خيانته اياها ، اذ المفروض أن مثل هذه الشركة لا تحمل معنى من معانى الحب أو تنطوى على عنصر من عناصر « الرومانتية »

واستطرد دكتور « باومن » فقال : « أن الخطبة متى استقرت على أساس متين ، ورسخت قدما كل من الخطيبين فيها ، توافرت فيها عناصر الثقة ، فلا يشوبها أثناء الفرقة الطويلة أن يواصل أحد الخطيبين أو كلاهما نشاطه الاجتماعى ، بغير أن يكون هناك موضع للمنافسة أو الميول الغرامية ، ففضلا عن ان هذا النشاط يحول دون التوتر والملل وغيرهما من العوامل التى تنتج عن الفرقة الطويلة ، فانه علاوة على ذلك يكون محكا لمقدار تعلق

الخطيبين بعضهما ببعض ، وتكريس الواحد ذاته للآخر ، وبعده عن الشبهات »

وحتى يكون ضرب المواعيد واللقاء بعيـــدين عن كل شائبة ، ومدعاة لادخال السرور على نفوس أصحابهما ، اقترح دكتور « باومن » ما يأتى :

١ ــ ينبغى أن يكون اللقاء لمجرد التسلية والسمر ، خلوا من كل ما يمت للميول العاطفية أو معانى الحب بصلة

٢ ــ ينبغى الا يقتصر اللقاء مع شخص واحد معين فى كل مرة ، بل لابد من ضرب المواعيد مع أشخاص مختلفين، حتى لا يكون هناك موضع لتوطيد العلاقة

٣ ــ ينبغى أن يكون ذلك برضا الخطيبين التام وتمام التفاهم بينهما

٤ ــ ينبغى أن يختلف اللقاء اختلافا كليا عن لقـــاء الخطيب ، فيما يتعلق بدرجة التقرب ، ومقدار الالفة ، والموضوعات التى يتناولها الحديث ، اذ ان هذا اللقاء لمجرد التسلية وقتل أوقات الفراغ ، ليس الا ، أما لقاء الخطيب فيسمو الى منزلة الحب والمشاركة الوجدانية وتبادل أرق العواطف ، تمهيدا لشركة الزواج الدائمة

أسرار المـــاضى

الى اى حد يسوغ لاحد الخطيبين أن يبوح للآخر بأسرار الماضى ؟ .. هذا أحد الاسئلة الشائكة التى تشغل الاذهان، وقد يؤدى اختلاف الرأى فيها الى العدول عن الزواج ، او على الاقل انعدام الثقة فيه

وقـــد أثبت الاستفتـــاء الذى أشرنا اليه فى الفقرات السالفة ، ان الاناث أقل ميلا من الذكور الى التبسط فى تقليب صفحات الماضى والتنقيب عن حوادثه ، خشية ان يؤدى ذلك الى الـكشف عن مثالب ومآخذ لايرتاح اليها

الطرف الآخر ، وقد ينتج عنها فسخ الخطبة

والآراء التى اجمع عليها المشتغلون بمسائل الزواج تتلخص فى الآتى :

١ ـ بالرغم من ان الصراحة فضيلة ينبغى ألا يغفلها الخطيبان فى بحث الموضوعات التى تهمهما ، فليس معنى ذلك أن يطلقا العنان للثرثرة ، فتمعن الفتاة مثلا فى سرد كل كبيرة وصغيرة فى تاريخ حياتها ، بما فى ذلك من نزق ، وتعثر خلقى ، وطيش ، واستهتار . قد تكون مثل هذه الثرثرة صالحة لكرسي الاعتراف أمام الكاهن أو رجل الدين ، أوملائمة لاريكة المحلل النفسانى ، أو موضوع استشارة لدى الاخصائيين فى مؤسسات الزواج ، ولكنها قلما تنجو من الخطأ الفادح ، اذا وضعت على بساط البحث عارية أمام شريك المستقبل

٢ ـ فيما يتعلق بالمسائل التى تمس مستقبل الشريكين (١) ، ويكون لها أثر مباشر أو غير مباشر فى الحياة الزوجية ، ويلزم وضع أوراق اللعب على المائدة فى غيرمواربة مجردة من كل حيلة ، بريئة من كل تلاعب ، وبين هذه على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر ما يأتى :

(أ) كل زواج سابق وما يتعلق به من رواسب ومشاكل أو ملابسات

(ب) المشاكل المالية والالتزامات الخاصة بأحد الطرفين أو كليهما ، طالما كان لها مساس بشركة الزواج

(جـ) العيوب الوراثية التى يحتمل أن تكون سببا

(١) يذكر كاتب هذه السطور ان احدى زميلاته فى جامعة كولومبيا بنيويورك اثناء التلمذة ، ذكرت امام خطيبها وزملائه على مسمع منا ، ان امها كانت مصابة بالجنون وماتت منذ سنوات فى مستشفى الامراض العقلية . ولما سألناها : «أكان من اللازم ذكر هذه المسألة ؟» فأجابت: « اجل ، ان هذه شطر منى » ..

فى عدم انجاب الذرية أو منع الحمل

(د) أن يكون فى تاريخ أسرة أحدهما أو كليهما اصابات بالسل ، أو أمراض القلب ، أو الامراض التناسلية أو العلل النفسية أو العقلية

(هـ) أن يكون قد حكم على أحدهما أو كليهما بالسجن لسبب من الاسباب

(و) أن تكون هناك ديون من شأنها أن تعوق اتمام الزواج

الالفة بين الخطيبين ؟..

من أشد الاسئلة صعوبة ، فيما يختص بفترة الخطبة ، مدى الالفة التى يسمح بها لشريكى المستقبل فى تلك المرحلة ، ونعنى بالالفة هنا ما يتجاوز التدليل والملاطفة ، الى التقبيل والمعانقة ، وكل ما يترتب عليه تقارب أو تلاصق جسدى

ويختلف تحديد الفاصل بين ما يجوز وما لا يجوز ، وبين ما تسمح به التقاليد وما لاتسمح ، باختلاف البلدان والمدن والقرى فى البلد الواحد ، واختلاف الاسر والأحياء فى المدينة أو القرية الواحدة ، واختلاف الافراد فى الاسرة الواحدة

ومن الخطأ أن يقال ان فى البلدان الشمالية فى قارتى أوروبا وامريكا ، تطلق الحرية للخطيبين بلا قيد ولا شرط ولا تحديد ، كما ان من الخطأ أن يقال ان فى بلدان الشرق تقيد حريتهما تقييدا مطلقا ، اذ ان التعميم فى كل من الحالتين لا يعبر تعبيرا صحيحا عن الواقع

وفيما يتعلق بالبلدان العربية ، فليس ثمة دراسات يمكن على ضوئها الاجابة عن هذا السؤال اجابة دقيقة . على انه يمكن أن يقال بوجه عام ان أقصى ما يجيزه العرف

والتقاليد فيها لقاء برىء بين الطرفين ، وفى أكثر الاحايين بحضور واحد أو أكثر من الاهلين أو المعارف ، وفى أحيان وأوساط أخرى ، حتى هذا لا يسمح به . على أنه فى بعض العواصم وكبريات المدن القليل من هذه البلدان ، أخذت التقاليد تخف حدتها نوعا ما ، فتسمح للخطيبين بخلوات تختلف فيها درجات الالفة ، وان كان لا يعرف مداها ، ومع ذلك فنسبة من يأخذ بهذه التقاليد ضئيلة اذا قيست بالمجموع

أما فى أمريكا وشمالى أوروبا ، وبنسبة أقل بكثير فى جنوبى أوربا ، فيتلخص الموقف فى الآتى :

ــ لا تمانع الاكثرية فى التدليل والتعبير عن العواطف ، بل على النقيض من ذلك تشجعهما ، توطيدا للصلات التى تؤدى للزواج وشعور الواحد انه فى حاجة الى الآخر

ــ تجمع الاكثرية على عدم اباحة التوغل فى هذا التدليل الى حد الاستجابة للدوافع الجنسية أو القرب منها ، وشعارهم فى ذلك أن تمنع الفتاة نفسها « اليوم » ، لتمنحها اياه « غدا » ، وقد دلت التجارب على ان التطرف فى العلاقات الجنسية بين الخطيبين وخيم العواقب ، وذلك لان الزواج اذا لم يتم ، كان الخطيبان ــ ولا سيما الفتاة ــ عرضة للشعور بالاثم والعار ، وقد تسوء سمعتها ، وتضيق فرصة زواجها من آخر ، واذا تم الزواج فعلا ، فان الوضع لا يخلو من عقبات (١) فى سبيل السعادة الزوجية ، لاسباب لا تخفى ، فضلا عن تأنيب الضمير

ــ هناك أقلية متطرفة تدعو نفسها « المتحررة » ،

---

(١) شكا احد رجال الدين فى احدى دول اوروبا الشمالية من ان نسبة كبيرة من الذين طلبوا كمية عقد مراسيم الزواج كانت الزوجة فيهم حاملا

لا يضع أفرادها حدودا أو قيودا للألفة بين الخطيبين ، بل على النقيض من ذلك يطلقون لهما العنان الى حد لا يختلف فيه عن الحياة الزوجية

فسخ الخطبة

تفسخ الخطبة عادة اما بغيبة أحد الطرفين غيبة متقطعة أو اختفائه أو هربه ، أو بوضع حد لعلاقتهما رسميا ، ولا شك ان هذا اجراء شرعى مرغوب فيه ، اذا ما تبين لذوى الشأن ان الشركة الزوجية لن تكون من صالح الخطيبين اذا تمت ، والواقع ان الغرض من الخطبة أن تكون مرحلة تجريبية ، يختبر فيها الواحد صاحبه ، وانه يفترض فيها سلفا احتمال فسخها ، ومن المتفق عليه انه خير للمجتمع أن تعلو فيه نسبة الخطوبات التى تنتهى بالفسخ ، من أن تعلو فيه نسبة الزيجات التى تنتهى بالطلاق ، واذا أدرك الشاب والفتى هذه الحقائق ، وفرا على نفسيهما الاثر السيىء الذى يتركه فسخ الخطبة عادة، وتفاديا الصدمة النفسية التى تنزل على أمثالهما كالصاعقة عادة ، ومهما يكن من شىء فان الخطبة التى تنتهى بالفشل أقل ايلاما من زواج يدوم سنوات وينتهى بالتفريق بين الزوجين

وما هى الاسباب التى تدعو للفسخ ؟.. يمكن أن يقال بوجه عام أن كل أزمة تقوض الاساس الذى عليه شيدت الخطبة ، يصح أن يكون مبررا للفسخ ، وهذا المبدأ لا يقتصر على شركة الخطيبين وحسب ، وانما ينطبق كذلك على كل شركة أخرى ـ تجارية كانت أو زراعية ، علمية أو أدبية ـ كما تنطبق على كل شركة زوجية ، وتمتاز شركة الخطيبين بأنها فرصة لاعادة النظر فيما استقر عليه الرأى ، يوما بعد يوم ، وشهرا بعد شهر ، وسنة بعد سنة

وقد أجمع الاخصائيون فى مسائل الزواج ، ان الاسباب الآتية ، تبرر اعادة النظر فى مشروع الزواج ، وفسخ الخطبة لصالح الطرفين :

١ ــ الشعور بشيء من التباعد ، وعدم التوافق فى الميول والآراء والاحاسيس والنظرة العامة الى الحياة ، أو ما يسمونه فلسفة الحياة

٢ ــ اذا كانت الخطبة نتيجة ضغط من الوالدين ، أو تحت ظروف معينة ، وان الخطيبين اضطرا الى الاذعان دفعا للقيل والقال أو تفاديا للتشهير بهما

٣ ــ اذا اتضح لاحدهما ان الآخر شديد التعلق بالوالد أو الوالدة ، شديد الاعتماد على أحدهما أو كليهما ، مما يدل على عدم النضوج الوجدانى والاجتماعى ، الذى يهدد بفشل الزواج اذا تم

٤ ــ اذا طرأ على الموقف تغير مالى أو اقتصادى ، أو فقدان وظيفة أو عمل ، أو اصابة بمرض خبيث ، أو غير ذلك مما يحول دون كسب الرزق والقيام بالواجبات والالتزامات الزوجية

***

وقد ترفض هذه الاسباب فى أحوال معينة ، بيد ان هذا الرفض لا ينبغى أن يبنى على الخوف من الاعلان والتشهير ، أو الخوف من اقدام أحدهما على الانتحار أو ارتكاب جريمة ، أو اتيان عمل من أعمال الانتقام

ويسمح للفتاة الامريكية أن تعلن فسخ الخطبة لسببين:

أولا ــ احتفاظا بشرفها بين أصدقائها ، وبفرصة زواجها فى المستقبل

ثانيا ــ ان هذا الاعلان يبطل الدعوى التى يحتمل أن يقيمها خطيبها عليها أمام القضاء ، طلبا لتعويض مالى

ومن التقاليد المعمول بها فى امريكا ان الوعـد بالزواج بمثابة عقد الزواج ، فاذا لم يبق صاحبه على عهده لاسباب لا يقبلها القضاء ، تعرض صاحبه لتعويض مالى فادح ، مثال ذلك ما حدث فى ولاية ميتشيجان مرة ، حيث حكم القاضى على فتى بأن يدفع لفتاة تعويضا قدره ٤٥٠ ألف دولار ، أى ما يقرب من ١٦٠ ألف جنيه مصرى ! ..

لا ندم من استشار

من الغريب انه يندر أن يحـاول احـد بناء بيت ولا يستشير مهندسا معماريا ، بل الاصح أن يقال ان هـذا فى حكم المستحيل ، ومع ذلك فان أكثر الناس يقبلون على الزواج ، ولا يحاولون استشارة أخصائى اجتماعى أو مؤسسة من مؤسسات الزواج . ومن الواضح أن البلاد التى تفتقر الى هؤلاء الاخصائيين ، والى تلك المؤسسات ، يتعرض فيها الـكثير من « بيوت » الزوجية الى السقوط ، أو التصدع على الاقل . ان للقادمين على الزواج مشاكل ـ صحية ، وبدنية ، ونفسية ـ واجتماعية ، ومالية ، ومهنية ، وخلقية ، فى حاجة الى حلها قبل البدء فى حياة الزوجية

والمعمول به فى البلدان التى يقبلَ شبابها على مؤسسات الزواج ، أن تستمر الاستشارات طوال فترة الخطبة وبعد الزواج أحيانا ، وفى أكثر الاحيان قبل الخطبة ، ويشمل معنى الاستشارة التوجيه ، والارشاد ، والتخطيـط ، والتصميم ، وايجاد الحلول ، وازالة العقبات ، واعداد الشريكين وجدانيا وعاطفيا واجتماعيا للحياة الزوجية ، أو التوصية بارجاء اجراءات الزواج أو ابطالهـا تمامـا لصـالح الزوجين

وتسـتعين مؤسسات الزواج اليوم بمجموعات من

اختبارات الشخصية التى أعدها علمـــاء النفس ، وعلى ضوئها يكتشف اخصائيو الزواج القرائن والبيانات التى منها يستدل على احتمال نجاح الزواج او فشـله ، وقد أوشكت أن تبلغ هذه الاختبارات من الدقة ، ما بلغتـه اختبارات الذكاء ، واختبارات الاستعداد للمهن المختلفة وغيرها من الاختبارات النفسية

كما ان هذه الاختبارات تكون بمثابة أدوات لتشخيص العلل وتمهيد السبيل لعلاجها ، مثال ذلك أن تدل على أن أحد الشريكين لم ينضج نضوجا كاملا ، أو انه عديم الحيلة بغير الاب أو الام ، متواكل ، شديد الاعتماد على أحدهما أو كليهما ، أو انه يشكو نوعا من القلق ، أو لونا من الوان الوساوس ، أو غير ذلك من الاضطرابات النفسية والامراض التسلطية ، وفى هذه الحالات ينصح الاخصائى لطالبى الزواج بالعلاج أولا ، والتريث الى أن تظهر نتيجة هذا العلاج . ومثل اخصائى الزواج هنا ، مثـل طبيب الامراض الباطنية الذى ينصح الزوجين بمنع الحمـــل ، ريثما تعالج الزوجة من مرض الـكلى

والواقع ان الاستشارة للزواج شبيهة بامتحان القبول عند الالتحاق بكلية جامعية ، وهى فى الوقت ذاته دراسة تمهيدية شبيهة بالدراسات المهنية ، بمعنى انها تكشف عن تاريخ الطالب وماضيه وحاجاته وتعده « للمهنـة » الجديدة التى يشرع فى ممارستها ، وتبين العوامل التى سيكون لها اثر فعال فى مستقبل الزواج ، والميول والطباع والاتجاهات التى تكون شخصيته

وتكون هذه الاستشارات خاصة بكل من الخطيبين على حدة تارة ، وبهما معا تارة أخرى ، وقد يستلزم الحـال أحيانا استدعاء أحد الوالدين أو كليهما ، للاستعانة بهما على التشخيص أو العلاج أو رسم الخطط

الفصل الرابع

الزواج وحقائق الحياة



أعضاء التناسل عند الرجل

أهم أعضاء التناسل عند الرجل الخصيتان ،وهما جسمان بيضاويا الشكل ، يبلغ طول الواحدة فى المتوسط من أربعة الى خمسة سنتيمترات ، وسمكها نحو سنتيمترين ونصف سنتيمتر ، وتتدليان وراء القضيب فى كيس يسمى الصفن ، والخصية بالذات ثابتة الحجم ، الا ان الصفن تتمدد عضلاته بالحرارة بعض الشيء وتنكمش بالبرودة ، فيخيل لصاحبها ان الخصية يتغير حجمها ، ومن المشاهد ان الخصية اليسرى تتدلى عن اليمنى الى أسفل وتكبرها قليلا ، ويجهل الكثيرون هذا فيظنون انه عيب جسمانى فيهم (١)

ولهاتين الغدتين وظيفتان : احداهما ، افراز الخلايا المنوية ، التى تعزى اليها قدرة الرجل على انجاب الذرية ، والثانية افراز ذلك الهرمون الحيوى المسمى « تستوستيرون » ـ أو هرمون الذكورة ـ وهو مادة كيميائية يتوقف عليها تكوين الصفات الثانوية الجنسية فى الذكر (كشعر اللحية ، والشارب ، وشعر العانة ، وخشونة الصوت وعمقه ، وسائر الصفات التى تميز الذكر عن الانثى) وعليها يتوقف شيء آخر ، فى غاية الاهمية ، الا وهو الرغبة الجنسية أو الميل الجنسى

---

(١) بعض هذه الحقائق اشير اليها فى كتاب « أسرار الحياة الجنسية » للمؤلف ـ طبع بمطبعة دار الهلال سنة ١٩٦٠

أما القضيب ، أو عضو الذكر ، فوظيفته ايصال السائل المنوى الى عضو الانثى ، وأهم محتويات هـذا السائل الحيوانات المنوية التى تلقح بويضة الانثى ، أما سائر محتوياته ، فهى افرازات مصدرها الغـدد التناسلية الاضافية ، وهى البروستات ، والحويصلتان المنويتان ، وتنضم هذه الافرازات بعضها الى بعض فى اثناء قذف السائل المنوى من القضيب

ويلاحظ أن هناك اتصالا وثيقا بين الجهازين التناسلى والبولى عند الذكر ، اذ تمر القناة البولية بالقضيب ، ومعنى هذا ان لها وظيفتين : مرور البول منهـا الى الخارج ، ونقل السائل المنوى الى عضو المرأة التناسلى فى نهاية العملية الجنسية

ولا يتصل القضيب بالخصيتين اتصالا مباشرا .. بل على النقيض من ذلك ، فان الطريق بينهما طويل متعرج ملتو ، اذ لابد للحيوانات المنوية من أن تخترق قناة لايزيد طولها على خمسة سنتيمترات ، ولـكنها تتألف من خيوط دقيقة مطوية ملفوفة ، لو انها انبسطت لبلغ طولها ستة أمتار ، وهذه القناة ، وتدعى « البربخ » (١) تتصل فى نهايتها بوعاء أو قنـاة أخرى أكبر منهـا ، تفرغ فيهـا محتوياتها من الحيوانات المنوية ، ويدعى هذا الوعاء القناة الدافقة (٢) ، وتمر هذه بقناة أخرى فى الحقو وتدخـل الجزء الاسفل من البطن أو تجويف الحوض ، ومن هنـاك نحو المثانة ، وعلى مقربة من أسفلها ، وأخيرا تنحدر الى المنفذ البولى أى المثانة ، وبذلك تكون قد قطعت مسـافة طولها نحو اربعين سنتيمترا

وقد يحول دون مرور الحيوانات المنوية عائق فى هـذا

---

(١) Epididymis

(٢) vas deferens

الطريق الطويل الملتوى ، بسبب اصـــابة أو التهاب فى الاعضاء نتيجة مرض كالسيلان مثلا ، وفى هذه الحـالة يصبح الشخص عقيما ، اذا كانت الاصابة فى الجانبين ، غير ان هذا لا يمنع من نزول السائل المنوى لان هذا السائل مصدره غدتان أخريان ، همـــا : الحويصـــلة المنـــوية والبروستاتة ، ووظيفة هذه الحويصلة فى كل من جانبى الجسم مزدوجة ، فهى من جهة خزان أو مستودع مؤقت للحيوانات المنوية ، تبقى فيه الى أن تحتاجها العمليـــة الجنسية ، ومن جهة أخرى هى معمـــل لانتاج افرازات صمغية صفراء ، تختلط بالحيوانات المنوية ، وتزيد السائل المنوى كثافة وحجما

أما « البروستاتة » فتساهم بنصيب وافر فى عمليـــة التناسل ، وهى فى حجم « أبو فروة » وموقعها حول القناة البولية فى أسفل المثانة مباشرة وفى مقدمة المستقيم ، وفى خلال القذف تتقلص وتضغط على السائل المنوى وتساعده على الاندفاع الى الخارج ، وفى الوقت نفسه تضيف اليه مادة أخرى تفرزها هى ــ وهى سائل أبيض خفيـــف قلوى ــ ولهذا فهو بيئة صالحة للحيوانات المنوية ، ويعتقد البعض انه منشط لها ، يزيدها حيوية وطاقة

ونظرا لان « البروستاتة » فى طريق المجرى البولى ، فان اصـــابتها تسبب أعراضا بولية وجنســـية فى آن واحد . ومن أمراض « البروستاتة » انها تتضخم لاسباب لا تعرف تماما ، ويحدث ذلك بعد سن الخمسين عادة ، ويترتب على تضخمها انها تعوق مرور البول بحكم موقعها وفى الحالات الخطيرة ، لابد من اجراء عملية جراحيـــة لاستئصالها

أما الافرازات التى تكون السائل المنوى ، فانها تتجمع فى مؤخرة مجرى البول ، أى القناة التى تخترق القضيب

والقضيب كما قلنا هو عضو الذكر التناسلى الذى تشمل وظيفته ايصال السائل المنوى الى قناة الانثى التناسلية (المهبل) أثناء الجماع ، وتتصل جذوره بالحوض العظمى ، أما الجزء الظاهر منه ، فيتكون من جسم أو جذع ، ومن راس أو حشفة ، تعلوها فتحة القضيب ، وهذا العضو مغلف بطبقة رقيقة من الجلد ، فضفاضة مطاطة ، تزدوج فى نهايتها لتحتضن الحشفة ، ويسمى الجزء البارز منها « الغلفة » وهى التى تستأصل عند الختان ، ويمتاز سطح القضيب بشدة حساسيته ، ولا سيما الحشفة ، لانه غنى بأطراف عصبية لا حصر لها

ومن طبيعة هذا العضو عادة أن يكون رخوا ، لينا ، مترهلا ، ويتدلى مسترخيا أمام الصفن « اى كيس الخصيتين » ، أما اذا أثير جنسيا ، فانه يأخذ فى الانتصاب ، ويتغير حجمه طولا وسمكا ، كما يتغير اتجاهه فيرتفع الى أعلى ، وعلاوة على هذا يتوتر ويزداد صلابة ، وتعزى هذه التغيرات السريعة الى تكوينه الاسفنجى ، اى كثرة ما يتخلله من مواقع الفراغ ، فطالما كانت هذه المواضع خالية متداعية جدرانها ، ظل العضو رخوا ، وسرعان ماتمتلىء بالدم الذى يتدفق اليها ، باشارة من المخ ، حتى تمتلىء وتمتد وتنبسط ، فينتصب القضيب ويتصلب ، ومن طبيعة أوعيته الدموية ـ شراينه وأوردته ـ أن تسمح بتدفق الدم اليه بكثرة ، وانسحابه منها بقلة ، وبهذه المثابة ينتصب ، هذا فضلا عن وجود كمية وافرة من الانسجة المرنة فيه ، تبيح له الانتقال من حجم الى حجم فى شىء من السهولة ، فيزداد طولا واتساعا منتصبا ، ويعود قصيرا ضامرا فى حالة الارتخاء

ويبلغ عضو الذكر فى حالة الارتخاء فى المتوسط ـ من اقصى نهايته الخلفية الى قمة راسه ـ نحو تسعة

سنتيمترات ويزداد الطول عند الانتصاب الى ما يقرب من خمسة عشر سنتيمترا . وتختلف هذه المقاييس باختلاف الافراد بغض النظر عن احجام أجسامهم ، اذ لا توجد علاقة بتاتا بين العضو وجسم صاحبه ، وقد يعزى سبب التفاوت الى اختلاف افرازات الغدد الجنسية الصماء . كما لا توجد علاقة بين الحيوية أو الكفاية الجنسية وحجم العضو . ونظرا لتراكم مادة بيضاء شحمية تحت الغلفة ، يستحسن الختان منعا للالتهابات وتهييج الجلد وتسهيلا لتنظيف العضو

وسبق أن ذكرنا أن القناة التى داخل القضيب لها وظيفتان ، فهى مجرى للبول ، وممر للسائل المنوى فى نفس الوقت ، ولما كان البول بطبيعته حامضا ، ولما كانت الحموضة ضارة بالحيوانات المنوية ، فقد زودت الطبيعة تلك القناة بغدد (١) تفرز مادة قلوية تبطل ذلك الاثر الضار

وقد تبدو عند فتحة القضيب نقطة من هذا السائل ، وهو شفاف لزج ، ابيض اللون ، فهل يحتمل احتواؤه على بعض الحيوانات المنوية فى خلال الجماع وقبل القذف ؟ والجواب بالنفى عادة ، على انه يحدث فى حالات نادرة أن تتسرب هذه الحيوانات وتظهر فوق فتحة العضو

متى تتكون المواد التى يتألف منها السائل المنوى ؟..

الجواب : ان انتاجها مستمر ، ولكنها لا تمتزج معا الا عند بلوغ نهاية العملية الجنسية

ومما تجدر الاشارة اليه ، أن البول والسائل المنوي لا يمتزجان عند القذف ، وذلك لان الطبيعة قد وقفت بين الجهازين ، العصبى والعضلى ، بحيث تتقلص عضلة معينة

---

(١) Cowper glands

عند القذف ، فتغلق الفتحة التى بين المثانة والقناة
أما كمية السائل التى تقذف فى كل عملية جنسية ، فلا تزيد عن ملعقة بن صغيرة ، ولـكن عدد الحيوانات المنوية التى تسبح فيها تتراوح بين ٢٠٠ مليون و ٥٠٠ مليون ، ومعنى هذا ان الطبيعة كانت سخية فى تزويد الرجل بهذه الملايين فى المرة الواحدة ، ولا ترى هذه الحيوانات الا تحت المجهر ، اذ يبلغ طول الواحد منها جزءا على ٦٠٠ جزء من البوصة ، ويمكن الاحتفاظ ببعض هذه الحيوانات حية مدة ٤٨ ساعة فى درجة حرارة معتدلة ، كما يمكن أن تعيش عدة أيام فى ثلاجة

اعضاء التناسل عند المرأة

كما ان الخصيتين أهم اعضاء الرجل التناسلية ، كذلك المبيضان اهم أعضاء المرأة التناسلية ، ويبلغ حجم المبيض حجم الخصية تقريبا ، وموقع المبيضين داخل التجويف البطنى ، والى أسفله من الجـانبين ، ولهما ـ اسـوة بالخصيتين ـ وظيفتان على جانب عظيم من الاهميـة ، أولاهما افراز هرمونات تعزى اليها صفات الانوثة ، أهمها « الاستروجين » و « البروجستين » ، وثانيتهما انتـاج البويضات التى يلقحها الحيوان المنوى للذكر فيتم الحمل
ووجه الاختـلاف بين الحيـوانات المنوية للذكر ، والبويضات للأنثى ، ان الاولى ينتجها « مصنع » كل من الخصيتين يوميا منذ بلوغ الذكر ، فى حين ان الانثى تولد وفى مبيضيها جميع بويضاتها ، ومنذ البلوغ الى سـن اليأس ، تفرز شهريا بويضة واحدة من المبيض ـ بعد نضوجها ـ وهناك علاقة وثيقة بين افراز الهرمونات ، سالفة الذكر ، ونضوج البويضة ، اذ سرعان ما تأخذ هذه فى النضوج ، حتى يتسرب الاستروجين من المبيض عن طريق الدورة الدموية الى الرحم ، ويترتب على هـذا

تنشيط البطانة الداخلية للرحم وتضخمها لتهيئة المرأة للحمل

أما هرمون البروجستين الذى يفرزه المبيض ، فيستمر تسربه عن طريق الدم الى الرحم مدة الحمل

ولنتحدث الآن عن الاعضاء الخارجية التناسلية ، وهي التى يطلق عليها اسم الفرج : يتكون هذا العضو من عدة أجزاء ، منها الشفتان الكبريان ، وهمـا الطبقتـان الخارجيتان من الجلد (١) ، واحدة على اليمين ، والثانية على الشمال من فتحة العضو ، وتنتهيان فى المرتفع المثلث الذى يغطى بالشعر منذ البلوغ فى تلك المساحة التى أطلق عليها ذلك الاسم « الرومانتيكى » جبل الزهرة أو جبـل الحب على اسـم الهة الحب فينوس ، وتتصـل هاتان الشفتان عند الفتاة الصغيرة والبكر ، الواحدة بالاخرى ، وتخفيان ما تحتهما ، وتنفرجان بعضهما عن بعض بعد مواصلة العملية الجنسية والولادة ، ومن وظيفة هاتين الشفتين حماية الاجزاء التى تحتها من جهة ، ومنع المادة المخاطية التى تبلل أعضاء التناسل الخارجية من التبخر ، وتخفى الشفتان الكبريان الشفتين الصغيرتين ، أو قل تنفرجان عنهما

وعلاوة على الشفتين الصغيرتين (٢) يوجد بين الشفتين الكبريتين كذلك فتحة الفرج ، ومدخل القناة البوليـة والبظر ، والبظر فى التشريح هو الجزء الذى يقابل القضيب فى الذكر ، وهو الجزء الذى يبتر فى عملية ختان الاناث عند بعض الشعوب

ويساعد صغر الشفتين وضيقهما على احتمائهما تماما ، واختفائهما داخل الشق الواقع بين الشفتين الخارجيتين

---

(١) Labia majora

(٢) Labia minora

(الكبيرتين) ، وتتلاقى هاتان الشفتان الداخليتـــان فى أعلاهما ، وتكونان حافة تحت رأس البظر مباشرة ، وهما من الاهمية بمكان لما يحتويان من الاطراف العصبية شديدة الحساسية ، وما بهما من قابلية للاثارة الجنسية ، وقد يفوقهما فى الاهمية من هذه الناحية البظر للأسباب نفسها ولوظيفته فى احداث « هزة الجماع »

والعجيب فى هذا الجزء من الجهاز التناسلى الخارجى ، أن فيه تتركز اللذة الجنسية ، وهذه حقيقة خليـــــق بالزوجين معرفتها ، لانه محاط بغلاف من الجسم مرهف الحس ، مزود بشبكة كثيفة من أطراف عصبية يسمونها كريات تناسلية ، لا يوجد لها مثيل فى أجزاء أخـرى من جسم المرأة ، ومما يجدر معرفته أنانسجة البظر انتصابية كأنسجة عضو الذكر ، أى ان كلا من العضوين ينتصب للاثارة الجنسية ، كما تنتصب حلمة الثدى للسبب نفسه

هذا عن الجزء الخارجى والاعضاء التى يتكون منها ، والآن فلنتحدث عن المهبل وهو ذلك الجزء من أعضـــاء المرأة التناسلية الذى يوصل الاعضاء الخارجية بالاعضاء الداخلية ، وذلك ان الجزء الاعلى منه يؤدى الى عنق الرحم ويتصل الجزء الاسفل منه بالفرج . ويبلغ طول المهبل من ســـبعة سنتيمترات ونصف سنتيمتر ، الى ثمانيـــة سنتيمترات وثلاثة أرباع السنتيمتر فى المتوسط ، ونظرا لمرونته فانه يتسع لعضو الذكر من كافة المقاييس تقريبا ، طولا وسمكا ، ومن طبيعة عضو الذكر انه يرفع المهبل الى اعلى فى خلال العملية الجنسية ، اذا لزم ذلك ، حتى يتم الايلاج الذى به تتم العملية على الوجه الاكمل

والمهبل فى الواقع قناة تتجه الى الامام ، منحدرة الى أسفل ، وتكون زاوية قائمة مع الرحم ، وتقع فتحتها خلف فتحة المثانة رأسا ، وقد كانت الطبيعة حكيمة فى هـذا

الوضع ، حتى لا تمكن البول من المرور داخل المهبل ، أما جسم هذا العضو فمبطن من الداخل بطبقة ناعمة مغضنة من الجلد الشبيه بالغشاء المخاطى ، ويوجد فى طرفه الاعلى أى فى عنق الرحم ، غدة تفرز مادة شبيهة بزلال البيض ، كما توجد غدد أخرى (١) على مقربة من فتحة المهبل الخارجية ، الغرض منها تشحيم المهبل أثناء الاثارة الجنسية

وللمهبل وظائف أربع :

١ ـ ينفذ منه السائل الدموى أثناء الحيض
٢ ـ يحتوى عضو الذكر اثناء الجماع
٣ ـ يستقبل السائل المنوى
٤ ـ المخرج الذى يمر به الجنين من الرحم الى عالم النور

ويحتوى هذا العضو على عدد من العضلات التي يتوقف عليها الكثير من المتعة أثناء العملية الجنسية ، وهى عضلات شبه لا ارادية ، فى مقدور المرأة تسخيرها بالكيفية الملائمة لتسهيل الجماع وتعاونها مع الرجل فى خلاله ، وينطبق هذا القول على عضلات خاصة فى مؤخرة الحوض

وقد كان يظن الى عهد ليس ببعيد أن الحساسية الجنسية تتركز فى المهبل ، وانها فى البظر سطحية ، أما الرأى المعول عليه الآن فأن أكثر الحساسية فى البظر

ومن أجزاء الجهاز التناسلى فى المرأة غشاء البكارة ، وهو غلالة هلالية الشكل عادة ، تكسو مدخل المهبل وتغلقه ، الى أن يهتكها عضو الذكر فى خلال العملية الجنسية الاولى ـ أو بأية وسيلة أخرى ـ هذا ما خلا ثقب صغير ينفذ منه سائل الحيض ، والكثير مما تعرفه العامة عن هذا

(1) Bartholin glands

الغشاء لا يمت للحقيقة بصلة . فهو ليس دليل العفة حتما ، وذلك لانه اذا كان المهبل كبير الحجم فوق المألوف ، كان الايلاج ممكنا ، وكان فى وسع الفتاة البكر أن تمارس العملية الجنسية دون فض البكارة ، وقد ينفض غشاؤها بسبب الرياضة العنيفة أو بسبب حادث معين ، أو بسبب ممارسة العادة السرية . كما أن هناك أحوالا عدة يتعرض فيها الغشاء للهتك أو الثقب بغير جماع ، وقد ذكر دكتور اليوت سمث ، الطبيب الشرعى السابق فى مستشفى قصر العينى ، انه شهد فتاة بكرا احترفت البغاء شهورا دون فض بكارتها

ومن أهم أعضاء المرأة التشريحية الجنسية التي تتميز بها ، الثديان ، وهما فى الاصل جهاز غددى لتغذية الوليد ولكنهما فوق ذلك من أجمل ما تتحلى به الانثى . ولعل أبرز ما فى ملكات الجمال من الفتنة والجاذبية الجنسية هذان العضوان ، ولهما وظيفة أخرى هامة فى النشاط الجنسى ، لما زودتهما به الطبيعة من الحساسية وسرعة الاستجابة للاثارة لاسيما الحلمة ، ونظرا لاهميتهما ، نقتبس فى الفقرات الآتية بايجاز ما كتبه عنها دكتور راتكلف فى مجلة « طبيب العائلة » الانجليزية (عدد أكتوبر عام ١٩٦١) (١)

« على قدر ما تغنى به الشعراء عن ثدى المرأة مدى العصور ، وعلى قدر ما سجلته طيلة أجيال التاريخ ، ريشة الفنان ، وازميل المثال ، تخليدا لجمال الانثى وتاج زينتها ، فان الثدى من الناحية الطبية مصدر العجب والغموض والابهام ، عليه تتوقف الحياة فى الحيوانات العليا والانسان ، بفضل ما يدره من اللبن الذى يعد أكثر الاغذية كمالا أو أقربها الى الكمال ، والذى يملأ الفراغ الواسع

(1) Ratcliff, «Family Doctor», British medical association, London, October 1961

بين حياة الجنين فى الرحم ، وحديث عهده بحياته الجديدة على سطح الـكرة الارضية ، ومما يدل على أهميته ، اسمه المشتق من كلمة « ماما » ، الكلمة الاولى التى ترد على لسان الطفل ، وهى كلمة لاتينية معناها « الثدى »

« والثدى جهاز عجز الطب عن ادراك طواياه وغرائب اطواره ، مثال ذلك انه يؤدى وظيفته حتى فى المولود الذى لا يتجاوز عمره أياما ــ ذكرا كان أو أنثى ــ فقد شوهد اللبن ينضح نقيطات من هؤلاء بكيفية تحير الباحثين ، ويغلب على الظن أن سبب هذه الظاهرة فعل هرمونات من غدد الام الصماء ، وبعد ذلك تبطل وظيفة الثدى حتى تنهض الفتاة من ــ سباتها ــ فى سن الحلم ــ وتتطور حجما واستدارة وامتلاء لتعد الانثى الى الامومة

« ويتضح من هذا أن الثدى جهاز معقد دقيق التركيب اذ يتألف من ١٥ الى ٢٠ جهازا أو مصنعا لانتاج اللبن ، ويشبه كل من هذه الاجهزة جذع شجرة مقلوب رأسها على عقبها ، مع اتجاه كل جذع نحو الحلمة والى اسفلها حيث يتسع ليكون مستودعا (حوضا) للبن ، وتشبه فروع الشجرة قنوات لنقل اللبن وخزنه ، أما أوراقها فهى الخليات التى يصنع فيها اللبن

« والى مستهل مرحلة البلوغ تبقى شجرة اللبن صورة عاطلة مما ستتحول اليه ، فتصبح درة مزدهرة بعد البلوغ ، حيث تشرع فى القيام بوظيفتها فتفرز نوعين من الهرمونات ، أحدهما لتقوية القنوات سالفة الذكر ، وتنشيط نموها ويدعى استراديول (١) ، والآخر لتنمية الخلايا التى تنتج اللبن ، وتدعى بروجستين (٢) وقد سبق الكلام عنه

---

(١) Estradiol (٢)

« وتظهر أعراض هـذه الافرازات الهرمونية سنوات عديدة ، اذ يكون الثدى فى بادىء الامر مخروطى الشكل ، وسرعان ما تنتشر الانسجة الغددية فيه ، حتى تكسوه طبقة من الدهن تكسبه استدارة وجمالا ، وهنا تأخذ الحلمة فى الامتلاء لتلائم فم المولود ، ويأخذ خضاب الهالة المحيطة بها لونا داكنا ، وقد حرصت الطبيعة أن تجهز هذه الهالة بطبقة غنية بالغدد الدهنية حتى تمنع الحلمة من التيبس والتكسر بفعل الرضاع ، وعند الحمل يتناول الثدى تغيرات أخرى لاعداده للشهور التسعة القادمة ، منها تضخمه فى الشهر الثانى واغمقاق هالته ، وهـذه الظاهرة وحدها عرض من أعراض الحمل

« وفى خلال الايام الثلاثة أو الاربعة بعد الولادة يفرز الثدى سائلا أصـفر اللون ، لزجا ، مخاطيـا يدعى « كولسترم » وهو ملين بعض الشىء ، وهناك ما يحمل على الاعتقاد انه يحتوى على أجسام مضـادة للجراثيم لوقاية الطفل حديث الولادة ، ويلاحظ أن الطفـل يقل وزنه فى الايام القلائل الاولى ، الى أن تسعف الام الغدة النخامية فتفـرز مادة (١) من وظيفتها تنشيط انتـاج اللبن ، وكبح الميل الجنسى ، وفى كثير من الاحوال منع نزول الحيض طالما استمر الطفل فى الرضاع ، وطالمـا واصلت الغدة النخامية افراز البرولاكتين ، وطالما واصل الطفل الرضاع ، أصبح الحمل مستحيلا على الراجح ، وهذه حيلة الطبيعة فى تفادى التقارب بين حمل وآخر

« ولبن الام أعجـوبة من عجائب الطبيعة ، اذ عجز الكيمائيون عن العثور على ما يقوم مقامه ، وقد أرادت الطبيعة أن يسد حاجة المولود كاملة ، على أن تقدم المولود

---

(١) تدعى البرولاكتين (Prolactin)

فى السن يتطلب لبنا غير لبن الام .. فلبن البقر يحتوى على ضعف مقدار البروتين فى لبن الام ، واربعة أمثال الجير ، وخمسة أمثال الفوسفور فيه

« ويطيب للمرأة التى تستقبل أول مولود لها أن تعلم أن فى الرضاع مصدرا للذة للحيوان والانسان ، وذلك أن الام تستشعر وقت الرضاع استثارة الحالمة ، وتقلصات الرحم الرتيبة بفعل الهرمون الذى يفرز فى خلال هذه العملية (١) ، وتساعد هذه التقلصات على انكماش الرحم وعودته الى ما كان عليه قبل الحمل ، وبطريقة سحرية تصل رسالة كيميائية الى الثدى ، فيكف عن ادرار اللبن عندما يفطم الرضيع

« وليس غريبا أن يكون الثدى عرضة للسرطان أحيانا ، وقد علمنا انه جهاز دقيق كثير التراكيب ، على ان كشف الداء مبكرا يجنبه من الخطر ، والغريب ان الامم البدائية أقرب الى الطبيعة فى تفهم وظيفة الثدى من الامم المتحضرة. فهذه المرأة البدائية تكشف عن ذلك العضو وكأنها تكشف عن أى عضو ظاهر آخر من أعضاء جسمها ، لانها لا تجد فيه رمزا للجنس »

***

بقى أن نقول كلمة عن كيف يتم الحمل ... قلنا ان أحد المبيضين ـ أو كليهما فى حالة التوائم ـ يفرز بويضة مرة كل شهر قمرى ، تنطلق الى أحد الجانبين العلويين من الرحم فى قناة تدعى قناة « فلوب » وكل من هاتين القناتين ـ وهما على شكل مخروط ـ يقترب من المبيض حتى يستقبل البويضة ، وفى داخل أحديهما يلتقى الحيوان

---

(١) هذه الظاهرة تزيد الام رغبة ارضاع وليدها ، لما تبعثه فيها من الارتياح واللذة التي تتصل الى حد بعيد بعطف الامومة وحنانها

المنوى بالبويضة بعد أن قطع المسافة من المهبل الى عنق الرحم ، فالرحم ، فالقناة ، حيث يتم بلقائهما التلقيح ، ومن هنا تتجه البويضة الملقحة الى الرحم حيث تجد فى بطانته عشا أمينا ، اما اذا لم تلقح البويضة لسبب من الاسباب فيتوقف افراز هورمون البروجستين ، مما يترتب عليه تهتك غشاء الرحم ونزول السائل الدموى ، ومعنى هذا ان الطبيعة كانت قد أعدت الرحم للحمل ، ولكنه لم يتم ، وقبل أن يبطل النزيف ، تأخذ بويضة أخرى فى النضوج ، وتمهد الطريق لاعداد الرحم للحمل مرة أخرى وهكذا ، وهذا ما يسمى بدورة الحيض أو العادة الشهرية

الفصل الخامس

لماذا نتزوج؟

لماذا يتزوجون .. ؟

اذا سئل شاب عن السبب الذى حدا به الى الزواج ، يغلب على الظن ان يكون جوابه انه احب الفتاة ، وقد يجيب انه اراد ان ينجب اطفالا ويكون اسرة على ان الواقع الذى لا يخفى على عارفيه ، قد يكون بخلاف ذلك ، فهناك من يتزوج الفتاة او المرأة طمعا فى مالها ، او فى ثروة والديها ، او لان والدها او ولى امرها يرأس شركة كبيرة ، يأمل ان يكون له فيها نصيب وافر ، او لان احد والديه الح عليه فى الزواج لاغراض شخصية

واذا درسنا الموضوع دراسة سيكولوجية ، تبين لنا ان الشاب (او الفتاة) ينشأ على ما يجده من وسائل الراحة والعطف والامن والطمأنينة فى البيت الذى ولد فيه ، وبين والديه واخوته واخواته ، فيعتاد هذه الحياة واطايبها ، ومتى تجاوز سن المراهقة وتغلغل فى مرحلة الرجولة ، تاقت نفسه الى الاستمتاع ببعض هذه الوسائل والاطايب بعيدا عن والديه ، وعن البيت الذى درج فيه ، تمشيا مع نزعة الفرد بطبيعته الى طلب الاستقلال ، ولن يجد طريقا يسلكه يؤدى الى سد هذه الحاجات سوى الزواج

وهناك عامل آخر لايستهان به قد يدفع الانسان دفعا الى الزواج ، الا وهو « الضغط الاجتماعى » ، ونقصد بذلك ما تحتمه العادات والتقاليد الاجتماعية فى كثير من الاوساط ، مثال ذلك ان الرجل الاعزب قلما يدعى الى

الحفلات والولائم وألوان السمر التي تجمع رجالا مع زوجاتهم ، وهناك أندية وجماعات لا يقبل فيها رجل أو امرأة بغير شريك . حقيقة أن الشريك قد لا يكون زوجا ، على أن الشاب قلما يجرؤ أن يصحب صديقته الى حفلة في احدى الاسر أكثر من مرتين أو ثلاث مرات ، اللهم الا اذا كان قد خطبها فعلا أو على وشك أن يفعل ذلك ، وما يقال عن الشاب الاعزب يقال أكثر منه عن الفتاة العزباء أو المرأة العانس ، لذلك كثيرا ما يتزوج الناس حتى لا يحرموا من الحياة الاجتماعية ولياليها الساهرة وولائمها الفاخرة

لماذا لا يتزوجون؟..

يحجم بعض الناس عن الزواج ، ويؤثرون العيش عزابا طوال حياتهم ، وقد يود البعض الآخر الزواج ، ولكن الفرص الملائمة لا تتاح لهم لاسباب شتى ، وتختلف هذه الاسباب باختلاف المكان والزمان ، فهناك أماكن تزيد فيها نسبة الاناث عن الذكور زيادة فادحة ، وهناك أوقات يساء فيها لظروف معينة توزيع الرجال جغرافيا ومهنيا واحترافيا ، مما يخل بميزان العلاقة بين الجنسين

بيد أن ثمة أسبابا وعوامل أخرى شخصية ، تقف حائلا دون الزواج ، مثال ذلك خبرات سيئة تمتد جذورها الى الطفولة ، ومنها عدم النضوج من الناحيتين الوجدانية والاجتماعية ، ومنها التعلق الشديد بأحد الابوين ، ومنها الطموح في جمال وجاذبية وصفات في مستوى خيالي ، يكاد يكون لا وجود له

وتدل الاحصاءات على ان الذين بلغوا سن الزواج ولم يتزوجوا — من كل من الجنسين — في بلدان امريكا واوربا ، يتراوحون ما بين ١٠ ٪ و ١٥ ٪ من السكان ، واذا بحثت

عن اسباب ذلك بحثا علميا ، تبين لك ان بعض هؤلاء شهد من والديه فى طفولته حياة زوجيـة كلها شـقاق وخصام وكراهية وتعاسة ، فلم يشأ أن يذوق مرارة ذاقها قبله أبوه أو أمه أو كلاهما ، واتضح لك ان البعض آثر حياة الوحدة والحرية الفردية ، ونعمة الخلو من أعبـاء المسئولية ، على التقيد برباط يقضى على هـذه الحرية ، ويحمله ما لا طاقة له عليه من جهد ووقت ومال

ومن الناس من يفضل بحكم العادة « روتين » الحياة الفردية ، حياة العزوبة ، ويأبى أن يجرب حياة أخرى يجهل ما تضمره له من التزامات ، عملا بالمثل السائر : « من تعرفه خير ممن تجهله » ، وهناك فئة قليـلة من الناس جنحت فيهم عاطفة الحب وشـذت ، فأصبحوا يأنفون من التعلق بواحد من الجنس الآخر ، وتوجد فئة أخرى سيئة الحظ فى علاقاتها الجنسية قبـل الزواج ، فأصبح افرادها ينظرون الى علاقة الزوج بزوجتـه أو العكس نظرة الخزى والعار والاشمئزاز ، وخير لهؤلاء الا يتزوجوا ، لان زواجهم ينتهى بالمـآسى

واحيانا لا يجد الشريك الذى يحلم به ، أو انه يجده ـ ولـكن هذا الآخر يرغب عنه ـ وقد تكون العيوب البدنية سببا فى عجز الشخص عن العثور عليه من يرغب فى الزواج منه ، وقد تكون هذه العيوب تافهة ، مثال ذلك أن يرفض الرجل الزواج من امرأة تتوافر فيها كل الشروط التى يحلم بها ، اللهم الا وجود آثار للشعر فوق شفتيها أو لحيتها . وقد ترفض فتاة الزواج من شاب لا لسبب سوى بقعة من الصلع فى مؤخرة رأسه ، وكثيرا ما لا تتم صفقة الزواج لمجرد تفاوت القامتين بين الشاب والفتاة ، فتكون هى أطول منه بكثير فيأبى الزواج منها ، أو هو قصير قصرا ملحوظا فتأبى الزواج منه ، غير أن نظرة

الشاب او الفتاة الى العيب أهم بكثير من العيب ذاته ، فالشاب الذى يشعر بالنقص بسبب العيوب البدنيـة ؛ ويحاول الانزواء والابتعاد عن الناس خجلا مما به من عيب ، تضيق الفرصة التى تتاح له فى الزواج ، وعلى عكس ذلك الذى لايأبه لهذه العيوب ، ولا يجد فيها ما يحط من قدره فى نظر الطرف الآخر وسواه من الناس

تفوق النساء عددا على الرجال

تفوق الاناث الذكور عددا فى سن الزواج ــ فى الكثير من بلدان العالم ــ كالسويد ، وفرنسا ، وأمريكا ، والمانيا ، لاسباب كثيرة ، منها : زيادة عدد الوفيات بين الذكور لاسباب بيولوجية ، الحرب ، التعرض لاخطار المصانع ، أكثر المحكوم عليهم بالسجن من الرجال ، وكذلك المصابون بالامراض العقلية ، والامراض المزمنـة ، والمتشردون ، والمتسولون الذكور

وفى بعض الدول ، كأمريكا مثلا ، تختلف نسبة الجنسين من ولاية الى ولاية ، ومن منطقة الى منطقة ، ولذا ينصح أخصائيو الزواج الفتيات والنساء غير المتزوجات عامة أن يهاجرن الى المناطق او الولايات التى يزيد فيها عـدد الرجال على عـــدد النســاء ، ففى ولاية الاسكا تبلغ فيها نسبة الرجال الى نسبة النساء ١٤٦ الى ١٠٠ ، وفى دترويت ١١٣ الى ١١٠ ، فانها فى ولايات نيو انجلند (وعددها ١٣ ولاية) ، ٩٦ الى ١٠٠ ، أما فى مدينة واشنطون العاصمة ، فمن العسير ان تجد الفتاة زوجا ، لان عشرات الالوف منهن عاملات اختزال ، وسكرتيرات لرجال الحكومة ، والسلك السياسى ، ويلاحظ ان فرصة الزواج للفتيات أوسع فى الاعمال التى تتيح لهن الاختلاط بالرجال والتعرف عليهم ، مثال ذلك ان المضيـفات فى

الطائرات ، والخادمات فى المطاعم ، والممرضات فى المستشفيات ، أيسر لهن العثور على الازواج من زميلاتهن المعلمات والموظفات فى المكتبات العامة

التعليم الجامعى يعوق الزواج

من الطبيعى أن يؤجل النشء زواجه لحين اتمام تعليمه الجامعى ونيل أعلى درجاته ، وقد يمتد هذا الى أجل غير محدود ، كثيرا ما ينتهى ببقاء صاحبه عزبا الى ما شاء الله ، وقد تتمكن الصداقة بين فتى وفتاة فى مرحلة الدراسة الثانوية ، ثم يفترقان ويواصل هو دراسته فى الكليات العالية ، ومتى فكر فى الزواج بعد تخرجه وحصوله على عمل واستقراره ماليا نسى صديقته فى المدرسة الثانوية وبحث عن شابة أصغر منها سنا ، أما الطالبة الجامعية فلا يرضيها ذلك الفتى الذى كانت تعجب به فى المرحلتين : الابتدائية ، والثانوية ، بعد أن انقطعت صلته بالدراسة ، وواصلت هى رسالتها العلمية فى الجامعة ، ومتى استتب لها عملها المهنى ، فقلما يرضيها سوى من يكون كفؤا لها ذكاء ، وثقافة ، ومنزلة اجتماعية ، وليس من السهل وجوده

مستوى المعيشة

هناك فئة لا يستهان بها من الرجال ممعنة فى الطموح ، تأبى الزواج قبل أن تتأكد من بلوغ مستوى من العيش يمكنها من الاستمتاع بكل وسائل الرفاهية : « فيللا » أنيقة فى الضواحى ، أو على الاقل « شقة » فى حى محترم ، أثاث فاخر ، سيارة ، فريجدير ، جهاز تليفزيون ، وسائر الاجهزة المنزلية الحديثة ، دخل ثابت يسمح لصاحبه بقضاء شهور العطلة فى المصايف والمشاتى

الخ .. وقد تبقى هذه المطامع أشباحا تتراقص أمام عينيه سنوات طوال ، يقرر فى نهايتها الاحجام عن الزواج

من تتزوج ؟

شبيه الشيء منجذب اليه .. هذا جواب مختصر عن هذا السؤال . ليس من قبيل الصدفة أن تتزوج ابنةفلاح فلاحا ، وان يتزوج طبيب ممرضة ، وأن تتزوج طالبة جامعية من معيد ، ودلت الاحصاءات على أن أكثر الناس يتزوجون ممن يشتركون معهم فى عدد كبير من الصفات ، ومن أهم الدراسات فى هذا الموضوع ، ما جاء فى مجلة « علم الاجتماع » الامريكية (١) ، فقد وجد صاحب هذه الدراسة ان عدد الصفات المشتركة بين ألف من المتزوجين ٥٤ ، وعدد الصفات التى اختلفوا فيها ست لا غير ، ويستعمل علماء الاجتماع كلمة homogamy وهى مركبة من منطقين لاتينيين ، ومعناها الزواج ذو الصفات المشتركة ، مقابل كلمة Hetrogamy أى الزواج ذو الصفات المختلفة

ولا يشترط أن يشترك الزوجان فى صفات معينة بالذات ، انما ينبغى اتباع التقاليد المرعية فى الكثير من هذه الصفات ، ولعل هذا المشهد ــ من رواية تمثيلية ــ يوضح هذه النقطة أحسن ايضاح . أرادت فتاة أن تتزوج من شاب يختلف عنها دينا وثقافة ومنزلة اجتماعية ، فأخذ والدها يقنعها بالعدول عن ذلك الزواج ، محدثا اياها قائلا :

« لا أريدك يا بنيتى أن تتزوجى من شاب لا يقبله معك نصف معارفك ، ولا يقبلك معه نصف معارفه ، ولست أريد زوجا لابنتى لا تسمح قوانين النادى الذى

---

(1) American journal of Sociology Sept. 1943

أنا عضو فيه بدخوله ، وأن يكون موضع حرج لى ولا صدقائى ، اذا اضطررت لتقديمة لهم ، وأن يؤلمنى أن أصحبه معنا فى زيارة أقاربنا وأصحابنا ، وأن أمتنع عن دعوتك للولائم التى نقيمها والحفلات تفاديا لوجوده ..»

الجمع بين الاضداد

من المعتقدات الشائعة بين عامة الناس ، ان الجمع بين الضدين فى صالح الازواج ، وان الزوج عادة يرغب فى الشريك الذى يكمل ما ينقصه ، أو الشريك الذى يخالفه فى شتى السمات البدنية والنفسية ، فيقولون مثلا انك اذا كنت مبذرا ، فانك فى حاجة الى زوجة مقترة ، أو على الاقل مقتصدة ، واذا كنت نشطا ممعنا فى النشاط فوق المعتاد ، كنت فى حاجة ملحة الى امراة بطيئة الحركة ، ويبالغ بعضهم فيقول ان هناك جاذبية جنسية بين الضدين ، لا يعرف أحد أسبابها ، مثال ذلك ان الاسمر يسحره الاشقر ، والاشقر يسحره الاسمر ، والذكى يستميله الغبى ، والغبى يستميله الذكى ، والوسيم يجذبه الدميم .. الخ

بيد ان الدراسات العلمية أثبتت ان هذه التخمينات والتعميمات ، لا تستند الى أساس ، كل ما هنالك ان مصدر هذه المعتقدات حالات خاصة استثنائية ، وقد يكون بعضها نتيجة شذوذ فى صاحبه أوارتباطات بخبرات سابقة كانت سببا فى هذا النوع من الجاذبية ، والواقع ان ما يسمونه فى علم الاحصاء «عوامل الارتباط » (١) قد أثبتت تناسبا مطردا بين الوف الازواج الذين اجريت عليهم الابحاث ، فيما يختص بالقامة ، والوزن ، والسن ، ودرجة الذكاء ، والمهنة ، أو نوع العمل ، والموقع الجغرافى.

(١) Correlation

ومن الغريب ان الارتباط بين المزاج ، قد دل الاحصاء على تناقض فى نتائجه ، أى ان التشابه فى المزاج بين الازواج فى الحالات التى درست أمر مشكوك فيه

ومن أهم الدراسات التى تتصل بهذا الموضوع ، الزيجات المختلفة (١) التى وقعت بين الجنود البرية ، والبحرية الامريكيين فى خلال الحرب العالمية الثانية ، وقد بلغ عدد زوجاتهم الاجنبيات ما يقرب من ٩٢٤٦٥ امرأة ، وقد دلت نتائج هذه الدراسة على ان التشابه بين الزوجين فى ٥٠ ٪ من الحالات كان يسترعى الانظار ، الا ان الزوجات فى هذه الحالة كن من سلالات انجلو سكسونية ـ أى أقرب السلالات الى أزواجهن ، وان التشابه فى الـ ٥٠ ٪ الباقية كان كبيرا بين الازواج الذين ينتمون الى سلالة واحدة ، أو ما يقرب منها . مثال ذلك أن الزوجات اللاتى من شرقى أوربا وجنوبها ، تزوجن من جنود ترجع سلالاتهم الى أجداد هجروا أوربا من تلك الجهات ، على ان النجاح فى الزيجات المختلطة يتوقف فى أكثر الاحيان على اتفاق الزوجين على قيم الحياة وتفهم فلسفاتها

الزواج السعيد

يضيق المجال فى هذا الكتاب عن وصف الدراسات التى قام بها لويس ترمان (٢) وزملاؤه من علماء النفس فى هذا الموضوع ، لذلك نكتفى بذكر أهم صفات الزوجين التى اتفقوا عليها ، والتى تبين انها تؤدى للسعادة الزوجيه .

(١) من رسالة ماجستير فى جامعة شيكاغو (مارس ١٩٥٠)

(٢) أستاذ علم النفس بجامعة ستانفورد بأمريكا وقد نال شهرة ذائعة بما أدخله من التعديلات على اختبار بنيه سيمون للذكاء

أولا ـ صفات الشخصية

١ ـ الصفات المرغوب فيها :

التساهل ومراعاة احساس الشريك ، التعاون بين الزوجين ، توافق الطباع ، خلو الزوجين من العصاب (المرض النفسى) ، تقاربهما فى ارتفاع نسبة الذكاء

٢ ـ الصفات غير المرغوب فيها :

اتصاف الرجل بعدم الثقة فى نفسه ، استسلام الرجل لاحلام النهار دون المرأة ، شعور الرجل بالنقص دون المرأة ، قدرة المرأة على تكوين الاصدقاء دون الرجل ، نزوع المرأة للجدل ، تصميم المرأة على تنفيذ ارادتها ، تشاؤم الزوجين ، تقلب مزاجيهما

ثانيا ـ الثقافة والاسرة

١ ـ الصفات المرغوب فيها :

تشابه الاحوال الثقافية والتربوية ، تكافؤ كل من والدى الزوجين فى مستواه المهنى ، تربية بيتية حازمة لكل منهما غير عنيفة ، استمتاع والدى الزوجين بحياة زوجية سعيدة ، استمتاع الزوجين بطفولة سعيدة ، اسرة محافظة بعض الشيء لكل من الزوجين

٢ ـ الصفات غير المرغوب فيها :

اختلاف الاحوال الثقافية والتربوية والعائلية ، تفوق الزوجة على الزوج فى المستوى الثقافى

ثالثا ـ عوامل العشرة

١ ـ الصفات المرغوب فيها :

التردد على أماكن العبادة ، تعدد الاصدقاء عند كل من الزوجين ، الميل للمحافظة بعض الشيء

٢ ـ الصفات غير المرغوب فيها :

الاستهتار بالتقاليــد المرعية فيما يتعلق بالمشروبات الروحية والعادات الدينية والاخلاق الجنسية

رابعا ـ الاستجابة

١ ـ الصفات المرغوب فيها :

الحب المبنى على أساس الصداقة والعشرة ، طول فترة التعارف قبل الزواج ، تعلق كل من الطرفين بالوالد ، استمتاع الزوجين بالكثير من نواحى النشاط المشتركة ، تشابه والدى كل من الزوج والزوجة

٢ ـ الصفات غير المرغوب فيها :

الحب الذى أساســه « الرومانس » ، عــدم رضــاء الوالدين عن الزواج ولا ســيما فيما يختص بالزوج ، تصادم الزوج والزوجة كل مع والده

خامسا ـ العوامل الجنسية

١ ـ الصفات المرغوب فيها :

أن تكون أولى المعلومات الجنسية عند كل من الزوجين مستقاة من الوالدين ، أن تكون استجابات الوالدين لكل من الزوجين صريحة فيما يتعلق بحب الاستطلاع لاسيما فيما يختص بالزوج ، التشابه فى الرغبات الجنسية

٢ ـ الصفات غير المرغوب فيها :

الاندماج فى الحياة الجنسية قبــل الزواج ، تصــنع الحشمة والامعان فى الخفر فيما يتعلق بالزوجة ، خــوف الزوجة من العملية الجنسية ، تفاوت الزوج والزوجــة فيما يختص بالدافع الجنسى

الجزء الثانى

بعد الزواج مباشرة



الفصل السادس

شهر العسل

عندما تنتهي مرحلة الخيال

لقد انقضت مرحلة الخيال و « الرومانس » ، وولت الاحلام التي كانت تراود الشاب والفتاة قبل الزواج ، أما وقد ارتبطا برباطه ، فقد شرعا في القيام برحلة لا سبيل الى الرجوع فيها ، بغير متاعب ومضاعفات ، وسنرى في الفصول التالية ما يلقي الضوء على الاوضاع التي تنشأ عن اتمام صفقة الزواج ، والمشاكل التي يصادفها الزوجان ، وما يحتاجه كل منهما من قدرات ومهارات ، وما ينبغي توقعه من راحة ونصب ، ونجاح وخيبة أمل ، وغير ذلك مما لابد من وقوعه في كل بيت ، وفي مقدمة الآراء الجديرة بالذكر بهذه المناسبة ما يأتي :

١ — حياة الزوجية أكثر تعقدا من حياة العزوبة ، فلا غرابة اذا بدت في خلالها بعض أعراض القلق ، والتردد ، والشك ، والافتقار الى السعادة وعدم النضوج

٢ — أهم حاجات الزوجين في مستهل الحياة الزوجية، الاستقرار والعمل معا على تصميم « الروتين » الذي تقتضيه الحياة اليومية

٣ — في الحياة الزوجية ، يستبدل الحب «الرومانتيك» الخيالي ، بالحب الاصيل المتبادل ، وذلك ببناء الزواج على أساس راسخ البنيان

٤ — تضارب الرغبات والميول في الزواج أمر مألوف لا يدعو للقلق ، وقد يكون وسيلة فعالة في توثيق أواصر الشركة بين الزوجين

٥ ـ السعادة بين الزوجين فى حالة النضوج الوجدانى والاجتماعى ، لا يقصد بها الخلو من الخصام ، وانما قدرتهما على حل المشاكل واحدة فواحدة اثر قيامها

٦ ـ لابد لبلوغ التماسك الزوجى من اخلاء طريق المواصلات بين الزوجين من كل عقبة ، وتركه مفتوحا « على طول الخط »

شهر العسل

اذا أدركنا انالزواج عند الكثيرينمن الشبان والشابات خبرة مخيفة ، تبين لنا أن شهر العسل من أفضل الوسائل التى تخفف من حدتها ، ان كلا من الزوجين يكون قد قضى ثلث حياته فى معيشة مستقلة ، وفى أكثر الاحوال لايعرف شيئا عن الطرف الآخر .. كان لكل منهما عاداته ، وتعود أن يفعل ما يشاء متى شاء وكيف شاء ، وبينما هو أو « هى » كذلك ، اذا به يجد نفسه ملازما لشخص آخر ، يأكل معه ويشرب وينام .. ويستسلم ، وقلما يفكر أحدهما ان الآخر يسلب منه حريته فى بادىء الامر ، أو يغزو حياته الخاصة التى لا يعرفها سواه ، وسبب ذلك أن الميول والرغبات الصارخة التى تقربهما بعضهما الى بعض ، تعميهما عن رؤية هذه الظاهرة ، فيخضع الواحد للآخر خضوعا أعمى ويسلم ارادته اليه ، ومع ذلك فان هتك أستار الجسم والعقل بهذه الكيفية وبهذه السرعة ، قد يترتب عليه نتائج وخيمة ، قلما يتوقعها الزوجان ، وتفاديا لهذه النتائج ابتكر المجتمع هذه الفكرة الحكيمة ، الا وهى فكرة « شهر العسل »

انها فترة مفعمة بأعذب الملذات ، فياضة بالعواطف الجياشة ، مليئة بالخيال .. ومع ذلك فان فى خلالها يتنازع الزوجين خبرتان : احداهما سارة ، والاخرى

مؤلمة ، فالخبرة السارة العلاقة الجنسية ، والخبرة المؤلمة الخوف من المســــتقبل المجهول الذى تضمره الشركة الزوجية ، وفى خلال شهر العســـل ، تزداد نار الحب « الرومانتيك » اشتعالا ، ثم تأخذ تدريجا فى الهبوط ، ولكنها تستبدل فى النهاية بحب واقعى أساسه الزمالة ، وحتى يكون هذا الشهر مجديا ، ينبغى للزوجين مراعاة أمرين : الاعتدال فى التكاليف المالية ، والمهادنة والتؤدة فى العلاقات الجسدية ، وتجنب التعب واستنزاف الطاقة

وهناك خطوات يلزم التفكير فيها قبل الشروع فى قضاء شهر العسل ، منها :

١ ــ اختر مكانا بعيدا عن معارفكما ، حتى لا يعكر احد صفوكما أو يغزو عزلتكما

٢ ــ لتكن الرحلة الى ذلك المكان مريحة حتى لا تأتيا على آخرها وانتما منهكا القوى

٣ ــ اكتبْ للفندق الذى تريد الذهاب اليه سلفا حتى تجد مكانك محجوزا او معدا

٤ ــ لتكن أوقات النزهة مختصرة غيرمرهقة ، والحرص على النوم فى ساعة مبكرة

٥ ــ واصل المناقشـــات الهادئة التى بدأتها فى فترة الخطوبة ، وابحث فى ترو وتريث المسائل التى تتفقان فيها على رأى ، والتى فيها تختلفان

***

قد تكون الزوجة الشابة خجولة ، هيابة للألفة البدنية التى لا عهد لها بها ، وفى هذه الحالة يكون لزاما على الزوج أن يلتزم الحذر ، ولا يتسرع ، ولا يكلف الزوجـــة فوق وسعها ، ولا يفعل ما يشتم منه انه ضجر بها ، ان الاخطاء التى ترتكب فى هذه الفترة قد يحصـــد الزوج نتائجهـــا

سنوات ، وقد تكون سببا فى النهاية فى هدم عش الزوجية ، وكثيرا ما يحدث ان الزوجة تجهل الكثير من حقائق الحياة التى أسهبنا فى شرحها فى الفصل الخامس ، أو أن أمها أو احدى أخواتها لقنتها عنها معلومات خاطئة غرست فى نفسها مخاوف لا أساس لها ، وفى هذه الحالات وأمثالها ، يجدر بالزوج أن يسير ببطء فى التقرب الى زوجته

وتختلف الاوضاع باختلاف الاسرة والبيئة التى نشأ فيها كل من الزوج والزوجة ، ولكل وضع له الوسائل التى تؤدى للتكييف والتوافق ، فالفتاة التى نشأت فى أسرة محافظة ، وكان لها منذ نعومة أظفارها غرفتها الخاصة ، لا يدخل عليها أحد من أهلها الا بعد طرق بابها .. هذه الفتاة تصعق ، اذا تسرع الزوج فى القضاء على هذا التقليد طفرة واحدة ، ومع ذلك ، فمن الحكمة الا يأتى الزوجان على نهاية شهر العسل حتى يكونا قد خففا من حدة « الحشمة الكاذبة »

الاستقرار

لا يتوافر الاستقرار فى الحياة الزوجية الا بمواجهة الواقع فى الالفة والقربى بين الزوجين .. فالفجوة التى قد توجد بين الزوجين فى شهر العسل للأسباب التى اشرنا اليها فى الفقرة السالفة ، قد تمتد الى نهاية السنة الاولى أو الثانية للزواج ، ان « المشى » فى شهر العسل ـ وما بعد ذلك بشهور أحيانا ـ خير من « الجرى » ولكن ليس معنى ذلك أن يترك الحبل على غاربه ، فيمتد هذا البطء سنوات ، قد يمعن الزوجان فى المشى بسرعة السلحفاة ، فتمضى السنة الاولى ، ولا يرفع الستار كاملا بينهما ، ولا يرى الواحد ما فى الآخر من عيوب بدنية ونفسية .

ان الزواج لا يغير من شخصية الانسان ، ومن الحكمة أن يتقبل الواحد شخصية الآخر ، بعد أن يدرك الواحد حسنات الآخر وعيوبه فى نطاق المعقول ، وأن يدرك أن الحسن والقبيح يسيران على الدوام جنبا الى جنب ،كذلك أوقات السعادة ولحظات البؤس ، الفرح والحزن ، ومن أدعى العوامل التى تهدد السعادة الزوجية التزمت وعدم المرونة ، فمن الناس من يطلب الكمال أو ما يقرب منه ، فالزوجة التى تضطرب اذا اختل نظام الاثاث ، أواستبدل كرسى بكرسى أو خزانة بخزانة ، لان الزوج أراد ذلك ، انما تبدى عرضا من أعراض العصاب ، ومن واجب الزوج تفهم شخصيتها ، والتوفيق بين ارادته وعلتها النفسية ، ان الامعان فى طلب الكمال أو الاغراق فى مراعاة النظـام فى ادارة البيت ، ليست فضيلة كما يتوهم الكثيرون ، بل هى مرض ، اذ انها تتعارض مع المرونة ولين العريكة ، كذلك الحال فى الزوج الذى يسرف فى الاقتصاد والتقتير و « يكلف الايام ضد طباعها »

شعلة الحب

الحب كالشجرة ، اذا نمت نموا طبيعيا ، وعنى بسقيها وتعريضها لاشعة الشمس ، انتشرت أوراقهـــا وعلت أغصانها وازدهرت وترعرعت. شعلة الحب لا تنطفىء طالما نمت العلاقة قبل الخطبة ، وفى أثنائها ، وفى خلال شـــهر العسل ، وبعد الزواج بشهور أو سنة نموا طبيعيا ، ان السنة الاولى محك السعادة الزوجية .. فى خلالها تظهر المشاكل البيتية والعائلية ، وفى خلالها تبدو قدرة الزوجين على حلها ، فى السنة الاولى ينتقل الزوجان الى حيـــاة جديدة ، قد تتغير فيها عادات شخصية ، ويستبدل فيها أصدقاء بأصدقاء ومعارف بمعارف ، وفيها يتعلم الزوجان

كيف يتحملان أعباء المسئولية الزوجية ، وينبذان الكثير من تفاهات الحب « الرومانتيك » وترهاته ، لتحل محله الزمالة الباقية . فى السنة الاولى ينظر كل منهما الى كل خصام ونزاع قام بينهما ، كأنه من طبيعة الاشياء ، وان حله يكون بالطرق السلمية ، ومهما اشتدت حدته ، فان نهايته وشيكة

ان شعلة الحب التى تنطفىء بعد الزواج ، يمكن تسميتها شعلة الافتتان ، ان الرجل الذى لا يجذبه فى زوجته سوى منظرها وقوامها وجمالها ، ويغمض عينيه عن كل صفة أخرى ، قلما يتجاوز حبه شهر العسل

ليس من ينكر أن الجمال فى مقدمة العناصر التى «تقدم» المرأة للرجل ، والوجه الحسن كما يقول الغربيون أحسن جواب توصية ، وليس من ينكر كذلك ان التوافق الجنسى بين الزوجين ، صفة لايستهان بها فى توثيق العلاقة الزوجية ، وتزويد شعلة الحب بحاجتها من الوقود ، غير ان هذه أو تلك وحدها لا تكفى لضمان البقاء

ومما ينبغى الاعتراف به ان الزوج فى كثير من الاحايين يتزوج لاسباب غير التى تتزوج لاجلها المرأة ، بالرغم من ان كلا منهما قد أحب الآخر حبا مفرطا ، وان هذا الحب هو الذى دفعهما الى الزواج فى بادىء الامر ، أى انهما أرادا أن يعيشا معا ، وأن يؤسسا بيتا ، ويكونا أسرة ، وينجبان ذرية ، اجل لقد أرادت المرأة عطفا وحبا وزمالة وأمنا على المستقبل ، أما الرجل فقد تزوجها ــ أكثر من أى شىء آخر فى الغالب ــ لانها كانت الهدف لاشباع رغبته الجنسية ، أرادها أن تكون ملكا له قبل كل شىء ، حتى لا تكون لسواه ، وحتى تستجيب لرغباته فى الوقت الذى يشاء ، وبالكيفية التى يشاء ، كلما شاء (١)

(١) أسرار الحياة الزوجية

الفصل السابع

الشئون المالية في الزواج



تكاليف الزواج ..

قبل أن يشرع الخطيبان فى مراسيم الزواج ، لابد لهما أن يجيبا عن هذا السؤال : هل لدينا من الامكانيات المالية ما يتيح لنا الدخول فى الحياة الزوجية ؟..

ان الجواب يتوقف على الاجابة عن الاسئلة الآتية وأمثالها :

ـ ما الدخل الشهرى لكل منكما ؟.. واذا كانت الزوجة غير عاملة ، فما المبلغ الذى تنفقه شهريا ، مع تقدير ذلك المبلغ على وجه التقريب اذا كانت تعيش مع أهلها ؟..

ـ هل يمكنكما أن تعيشا على أقل من مجموع هذين الدخلين ، اذا اقتضت الحاجة ذلك ؟ ..

ـ ما مسئولية كل منكما فى الحال وفى المستقبل نحو والد ، أو قريب يعوله أو يساعده ماليا ؟..

ومن الخطأ أن تعتمدا على القول الشائع : « ان مايكفى واحد يكفى اثنين » ، قد ينطبق هذا على الحياة فى القرون التى سبقت وفى أوائل هذا القرن ، ولكن الحياة الآن ومطالب الحضارة الحديثة ، غيرها بالامس ، ولكن ليس معنى هذا المغالاة فى التقدير ، فالفتاة التى يعيش والدها فى بحبوحة من الهناء ، ينبغى ألا تتوقع أن تبدأ حياتها مع شاب ناشىء على هذا الاساس

الميزانيــة

قد تخيف هذه الكلمة الشاب حديث العهد بمسئوليات

الزواج ، كما قد يستعصى معناها ومغزاها على الزوجة الناشئة ، غير ان الاهمال الناشىء عن جهل هذا المعنى وذلك المغزى يؤدى الى كوارث . قبل أن يقدم الزوجان على شراء سلعة ، لابد لهما أن يتساءلا : هل فى مقدورنا ذلك ؟.. وكيف يمكن الاجابة عن هذا السؤال اذا لم تكن هناك ميزانية موضوعة للوارد والمنصرف ؟.. كثيرا ما يشرع الزوجان فى الانفاق من المرتب الشهرى يوما فيوما ، فاذا به يتبخر أكثره أو كله فى اليوم العشرين من الشهر ، أو قبل ذلك ، فيعجب أحدهما أو كلاهما ، ولا يعرفان لذلك سببا ، فلم ذلك ؟.. لعدم وجود الميزانية

وهناك حقائق يجدر الالمام بها قبل الشروع فى وضع الميزانية ، منها : أن المصروفات اليومية تختلف من شهر الى شهر ، مثال ذلك انها تتضاعف فى شهور الاعياد وأمثالها من المناسبات ، وانها فى بعض المناطق والمدن ترتفع شتاء أكثر منها صيفا أو بالعكس ، وان هناك طوارىء يجدر وضعها فى قائمة الحساب سلفا ، كحوادث المرض ، والولادة وأمثالهما ، كما أن مستوى الميزانية يأخذ فى الارتفاع عادة على مر السنين الى أن يبلغ الذروة ثم يأخذ فى الهبوط — عند اتمام البنين والبنات دراساتهم وكسب ارزاقهم بأنفسهم .. ومن الناس من يؤثر الانفاق على المسكن أكثر من الانفاق على الطعام أو الملبس ، أو تجديد الاثاث ، أو وسائل الترفيه وقضاء العطلات فى المصايف والمشاتى . ومهما يكن من شىء ، يجب تفضيل الاهم على المهم ، وايثار الضروريات على الكماليات

ولعل المقترحات الآتية تكون بمثابة رسم تخطيطى لعمل الميزانية :

١ — اكتب مقدار دخلك الشهرى

٢ — ينبغى احصاء النفقات الدورية التى يمكن التنبؤ

بها : كايجار المسكن ، والنور ، والغـاز ، والتليفون ، والمدفوعات الشـهرية (اذا كان هنـاك مشـتريات بالتقسيط) ، وقسط التأمين على الحياة ، أو الحريق .. الخ ، وثمن البنزين ، والزيت ، وغيرهما فى حالة وجود سيارة .. الخ .. يضاف اليها ثمن الطعام فى خلال الشهر بوجه التقريب

٣ ــ اكتب ما عدا ذلك من لوازم المعيشة : كالملابس ، وغسلها ، وكيها

٤ ــ اكتب أسماء أفراد البيت (الاطفال ، الكبار منهم، والصغار على الاخص) وضع أمام كل منهم المصروف الشخصى الذى يحتاجه

٥ ــ اجمع هـذه الارقام كلها واطرحها من دخلك الشهرى ، وارسم دائرة حول الباقى ... فاذا لم يوجد باق ، فمعنى هذا انك فى خطر

٦ ــ انس مؤقتـا ما تبقى من دخلك الشـهرى ، واحص كل ما يخطر على بالـكما من كماليات ترغب فى الحصول عليها : قطع أثاث ، أدوات زينية فنية ، فضيات ، فريجيدير ، غسالة كهربائية ، أدوات رياضية ، نفقات سفر .. الخ ، ولا يخفى أن بعض هذه الحاجات لابد أن تكون فوق مقدوركما ، ومع ذلك فلعل من أحلام اليقظة ذكرها

٧ ــ راجع هذه القائمة وأعد ترتيبها ترتيبا تنازليا بحسب أهمية وحداتها (وهذه فى الغالب فرصة للجدل الذى يدعو للخصام بينكما)

٨ ــ والآن عد الى المواد الاخرى التى حسبتها من الضروريات ، وحاول أن تحذف منهـا ما ترى ان فى وسعك الاسـتغناء عنه كليا أو جزئيـا : كالسجائر ، والحلوى ، والمرطبات ، وبعض تذاكر السينما ، وقد يتوفر

لديك فى النهاية ما يبعث الامل على قضـــاء جانب من الصيف على الشاطىء ، أو شراء سجادة لحجرة المائدة ، أو فستان جديد لزوجتك ..

وسيدهشك أن تجد المجال واسعا للحذف والتعديل والتبديل

٩ ــ عد الى رقم (٥) وحاول أن تقتصـــد ما يمكن اقتصاده من النفقات المنزلية ، وأضف اليه ما أمكنك اقتصاده من بنود أخرى ، وخذ ثلاثة أرباع مجمـــوع ما اقتصدته وانفقه فى الاهم من القائمة التى أعددتها فى رقم (٧)

١٠ ــ وأخيرا أودع الربع الذى تبقى لديك فى البنك ليكون نواة لحاجات الطوارىء والمستقبل

***

بهذا ستجد الميزانية خادمك الامين ، وهذه القروش التى توفرها شهرا بعد شهر ، ستصبح بعد سنوات مبالغ لا تحلم بها ، تبعث فى نفســـك وزوجك وذريتك الامن والطمأنينة ، وتسعفك عند الحاجة ، وتزيدك بين عارفيك وزملائك عزة وكرامة

الزوجة والشئون المالية

هل من الحكمة أن تعمل المرأة المتزوجة لكسب رزقها والمساهمة فى نفقات المعيشة ؟.. أم ان وظيفتها أن تلزم بيتها لادارة مصالح الزوجية وتربية الذرية ؟.. هذه وأمثالها أسئلة لا يكف الناس عن مناقشتها فى كل بلد من بلدان العالم ، حتى أكثرها حضارة ، وقبل الدخول فى الموضوع ، دعنا نضع أمام القارىء بعض الحقـــائق التى تمت اليه بصلة

لقـــد كانت الواجبات البيتية التى تقوم بها الزوجـــة

بالامس أثقل عبئا عليها منها اليوم ، وكان الناس لايعرفون الا النذر اليسير عن ضبط النسل أو الاقتصاد فى انجاب الذرية ، وكانت الاعمال المنزلية لا تخفف من حدتها وعددها الادوات والمخترعات الحديثة ، كالفريجيدير ، والتليفون ، والغسالات ، والمكانس الكهربائية ، وفى كثير من الاحيان النور الكهربائى ، ووقود الطهى ، والماء الساخن الجارى ، وفضلا عن ذلك لم تكن هناك مدارس للحضانة أو حتى رياض الاطفال ، فقد كانت الام وحدها هى المنوطة بذلك ، لذلك كان يقال ان الرجل فى ذلك الحين كان يعمل من شروق الشمس الى غروبها ، أما الزوجة فكانت تعمل ٢٤ ساعة فى اليوم

أما الزوجة العصرية فانها تشترى الثياب بدلا من حياكتها ، وتبتاع الخبز بدلا من صنعه ، وفى بعض البلدان تبتاع الطعام المخزون مطهيا بدلا من اعداده ، والزوجة العصرية ، تقرر سلفا عدد المواليد ، ولا تعتمد على ما تقرر الاقدار والصدف . بيدأن ثمة اعتبارا آخر يجدر بنا أن نضعه فى الحسبان ، ذلك ان أدوات الحضارة الجديدة ومخترعاتها التى خففت العبء عن الزوجة ، أثقلت العبء على كاهل الزوج ، ان أثمانها وتكاليفها باهظة ، ففى حين ان الزوجة فيما يتعلق بالواجبات البيتية ، أصبحت عاطلة فى بعض البلدان أو شبه عاطلة ، فان الرجل قد تضاعفت التزاماته المالية ومسئولياته الزوجية ، ونتج عن ذلك أن الزوجة (غير العاملة) فى طبقات المجتمع الوسطى والعليا تستمتع بالكثير من الكماليات وأدوات الترف .. تستمتع ببيت آلى يكاد يدير نفسه بنفسه « كالروبوت » ، ولا تنجب الاطفال الا متى طاب لها الهوى ، وترتدى الفراء الثمين والثياب الفاخرة ، وتقود سيارة من أحدث طراز ، ان لم يكن

لديها سائق ، هذا فى الوقت الذى يواصل زوجها فيه الليل بالنهار حتى يقوم بسداد حاجاتها وحاجات البيت والاطفال

ومع ذلك فلم يكن الرجل ليشتكى أو يحتج ، بل على النقيض من ذلك كان يفخر انه كفء للقيام بهذه الاعباء ، وتحريم العمل على زوجته ، حتى لا يقال انه عاجز عن أن يضطلع بنفقاتها ، هذا ما كان

أما الآن فقد تبخرت هذه الآراء فى البلدان التى قطعت من الحضارة شوطا أو نصف شوط أو دون ذلك ، بالرغم من وجود قلة من رواسب الماضى وأنصار الرجعية الذين ينادون بأعلى أصواتهم فى كل مناسبة وغير مناسبة بوجوب التزام الزوجة عقر دارها

ولنلخص فى الفقرات الآتية الاوضاع فى هذا النصف الثانى من القرن العشرين :

١ ــ هناك فئة من النساء المتزوجات ، اللاتى كان لهن نصيب يذكر من التعليم (سواء أكان ابتدائيا ، أم ثانويا ، أم جامعيا) ، لا يتفق مزاجهن والبقاء فى عقر الدار بلاعمل ، واذا ما أرغمن على ذلك تعرضن لاضطرابات نفسية ، وتدخلن فى شئون أزواجهن ، وربما فى شئون غيرهم من الازواج ، واشتغال أفراد هذه الفئة من النساء بعمل خارج البيت ، يحل لهن مشاكل نفسية وخيمة العواقب ، ويشبع فيهن رغبات ونزعات وميولا ، هى من صميم طبيعتهن

٢ ــ من الزوجات من أنعمت الطبيعة عليهن بمواهب ومهارات فنية ، ليس من الحكمة أن نضرب بها عرض الحائط أو نتجاهلها ، وانما من الحكمة أن ينتفع المجتمع بها . وأمثال هؤلاء اللاتى أعددن انفسهن لممارسة المهن الراقية : كالتعليم ، والطب ، والهندسة ، والقانون ،

وغيرهن ممن نبغن فى الشئون الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، فضلا عن العاملات فى الميادين الاخرى ، الصحفية ، والصناعية ، والتجارية .. أما عن واجبات مثل هذه الزوجة العاملة نحو أطفالها ، فليس من اليسير أن تتفرغ لها فى خلال الشهور الاخيرة من الحمل ، والاولى من الولادة

٣ — فيما يختص بكبار رجال الاعمال ، وكبار السياسيين ، والسفراء وغيرهم من رجال السلك السياسى ، وبعض البارزين من ذوى المهن الحرة ، فان زوجاتهم لا حاجة لهن الى التوظف أو الاشتغال بعمل رسمى ، لانهن بحكم مراكز أزواجهن ، عليهن التزامات ومسئوليات اجتماعية خطيرة ، كثيرا ما يتوقف نجاح الازواج عليها

٤ — نساء الفلاحين عادة يساهمن فى أعمال الزراعة مع أزواجهن ، فيكون حكمهن حكم المرأة العاملة بطبيعة الحال ، ولذا كانت المرأة الفلاحة منذ فجر التاريخ عاملة أسوة بالرجل ، ولم يناد أحد سواء كان رجعيا أو عصريا بوجوب التزامها البيت ، لان الواجبات الزراعية عندها امتداد للأعمال البيتية ، كما ان الاعمال البيتية امتداد للأعمال الزراعية

٥ — يعتبر الكثير من النساء المتزوجات فى حكم العاملات ، بالرغم من انهن لا يتقاضين أجرا ، ونعنى بهؤلاء المشتغلات بالشئون الاجتماعية ، والموظفات فى أعمال الجمعيات الخيرية ، والملاجىء ، والمستشفيات والصليب أو الهلال الاحمر ، وجمعيات الآباء والامهات والمعلمين والمعلمات .. هؤلاء عادة من طبقة المجتمع الراقى ، ويؤدى أفرادها خدمات جليلة لبلادهن

٦ — من الزوجات من لا تساعدها صحتها أو قدرتها

على العمل خارج البيت فى الفترة التى يحتاج فيهـــا أطفالها الى الرعاية ، على ان هذا لا يمنعها من العمل غير متفرغة فى الوقت المناسب ، ومتفرغة فى الفترة السابقة للولادة ، وبعد بلوغ الاطفال السن التى لا تحتاج للـكثير من العناية

٧ ــ من الزوجات من لم تهبها الطبيعة من الذكاء أو الـكفاية ما يساعدها على العمل ، فضلا عن بطئهـــا فى القيام بأعمال البيت على قلتها ، حتى مع عدم وجـــود أطفال ، وحسب هذه ان تتفرغ لاعمال البيت

وليس من ينكر ان هناك ظروفا تبرر اقتصار الزوجة على ادارة البيت ورعاية الاطفال ، ولكن الزوجة الشابة التى يتسع وقتها وتهيؤها ثقافتها أو استعدادها للعمل ــ لاسيما اذا كانت من الطبقة المتوسطة فما فوق ــ هذه الزوجة يجمل بها أن تساهم فى كسب الرزق والادخار لذريتها والشيخوخة ، وبذلك تشبع الرغبة الطبيعيـــة والميول السيكولوجية سالفة الذكر . ولعل أكثر من هذا وذاك ، انها تشعر بالـكرامة لانها لا تعيـــش عالة على غيرها . الا أن الزوج من جهة أخـــرى يجب أن يدرك أن الزوجة ليست مضطرة أن تعاونه فى المسئوليات المالية اضطرارا ، وليس من الكرامة فى شىء أن يعتمد عليهـــا فى تحمل هذه المسئوليات ، أو يكون همه الاستيلاء على ايرادها أو التصرف فيه على غير ارادتها ، اذا شـــاءت أن تحتفظ ببعضه للطوارىء فى حالة وفاته أو طلاقها منه

***

لقد أسهبنا فى هذا الموضوع اسهابا قد يعده البعض اسرافا لا مسوغ له ، غير ان المسائل المالية وسلامتها من الاضطراب ، فى مقدمة العناصر التى تتوقف عليها سعادة

الزوجين . الشاب الاعزب قد يخيل اليه أن اشباع الغريزة الجنسية أهم عنصر فى الحياة الزوجية ، أما بعد الزواج ، وبعد أن تتراكم عليه النفقات الضرورية ، ويجد نفسه وجها لوجه أمام معضلات لا مناص من حلها ، فانه يدرك جيدا ان المال وعلاقته بالزواج فى صورته الكاملة ، من الاهمية بمكان كبير .. فاذا قلق الرجل وساورته الهموم بسبب المال ، تأثر عمله ، وتأثرت كفايته وقدرته على الانتاج ، واذا ترك المنزل وهو مثقل بالديون ودفع الاقساط ، اختل توازنه واضطربت علاقاته برئيسه وزملائه أو عملائه ، وفقد الناس ثقتهم فيه وأصبح من الخاسرين .. ان من أعسر الامور أن تتمشى السعادة مع الحاجة ، ومما لا يختلف فيه اثنان ان تربة الفاقة والفقر المدقع لا تصلح لنمو السعادة الزوجية ، لان زهورها العاطرة تتطلب ريا وسقيا

وليس معنى هذا ان المال هو الجدير بالاعتبار ، وانما ينبغى أن تكون نظرة الزوجين اليه نظرة تتناول الحياة الزوجية بصورتها الكاملة ، وتتأثر هذه النظرة بعاملين : الشعور بالاطمئنان على المستقبل فيما يختص بالدخل الشهرى أو السنوى ، والمستوى الاجتماعى الذى يقاس به هذا الدخل ، وبعبارة أخرى ان ثبات الدخل أو استقراره أهم من مقداره

الفصل الثامن

خصومات زوجية شائعة



أسباب الخلاف بين الزوجين

لو ان روميو وجوليت لم يلقيا حتفهما ، لكان الخلاف قد دب بينهما ، وأشعلت الخصومات فيهما نار الحرب ، اسوة بغيرهما من الازواج ، فكلما احتكت شخصيـــتان بعضهما ببعض ، واستحكمت بينهما حلقـــات الالفة ، تولدت فيهما الفينة بعد الفينة جراثيم النزاع والخصام، ولما كان الزواج أشد العلاقات الانسانية اتصافا بالالفـة والقربى بطبيعته ، فان اندلاع نار الشجار بين الزوجين من حين الى حين أمر لا مفر منه

ومن الاسباب التى يتولد عنها الخلاف بين الزوجين فى مستهل الحياة الزوجية ، عاملان يتحتم عليهما مواجهتهما :

أولا ــ الاتفـــاق على « الروتين » الذى يتبعانه فى الحياة اليومية ، والسياسة التى يجب رسمها فى شتى الشئون ، بعد أن يتنازل كل منهما عن الروتين والسياسة والعادات التى كان يتبعها قبل الزواج

ثانيا ــ بذل الجهود لادماج الشخصـــيتين ــ الزوج والزوجة ــ فى شخصية جديدة واحدة ، هدفها البقـــاء فى شركة دائمة

ويتضح من هذين العاملين أن تجنب الخلاف تجنبا تاما ، فوق طاقة البشر

ولسنـــا نغالى اذا قلنـــا ان كل زواج هو فى الواقع « زواج مختلط » الى حد ما ، لانه يجمع بين « ذاتين »

مختلفتين ، فكل من الزوجين يدخل بيت الزوجية وفى حقائبه حاجات أسرته وآرائها وعاداتها وميولها .. منها ما هو مرغوب فيه ، ومنها ما هو مرغوب عنه .. منهـا الصالح والطالح ، والمهم ، والتافه ، وفى كل قرار يتخذانه لا بد من قيام عثرات وعقبات لا بد من ازالتهـا قبل الشروع فى سواه ، ولا سبيل الى ذلك الا بتبادل الرأى ، والتوفيق بين المصالح والآراء المتناقضة

ومن الخير أن يدب الخلاف بين الشريكين فى فتـرة الخطبة وبدء الحياة الزوجية ، من أن يحدث بعد ذلك بسنوات ، والقصة التالية تتحدث عن نفسها فى الاستدلال على هذه الحقيقة :

ولع الشاب « رشاد » بالفتاة « جوهرة » اثر تخرجهما فى مدرسة ثانوية مباشرة . وكان هو فى التاسعة عشرة من عمره ، وكانت هى فى السابعة عشرة ، وكانت «جوهرة» شغوفة بأن ينتهى هذا الولع بزواج سعيد

كان « رشـاد » أحد اخوة أربعة ، يعيشون مع أب أرمل ، ولا يعرفون شيئا عن حاجات النساء وما لهن من ميول وعادات تميزهن عن الرجال ، ولم يكن « رشـاد » يعرف شيئا عما تنزع اليه ربات البيوت عادة من حب النظـام والترتيب واقتنـاء الادوات المنزليـة والاثاث ، ومما زاد المسألة خطورة إنه نشأ على الاعتقاد ان الرجل هو رب البيت الذى عليه وحده تقع مسئولية ادارته ، والقيام بوظيفة أمين الخزانة فى الانفاق عليه

ويبدو ان « جوهرة » كانت تجهل الفروق الشـاسعة بين نظرتها للحياة البيتية ونظرة شريكها ، ولم يخطـر ببالها فى فترة الخطوبة أن تعالج معه هذه الفروق حتى لا تكون حائلا دون الحياة الزوجية السهلة الوديعة ، وفى بدء حياتهما ، كان « رشاد » يتبع العادات التى نشـأ

عليها مع والده واخوته ، مثال ذلك انه كان يعود الى البيت متأخرا عن مواعيد الطعام بساعات ، وكثيرا ما كان يتناول طعامه فى الخارج ، بغير أن ينذر زوجته بذلك سلفا ، وبدلا من أن تناقشه « جوهرة » فى ذلك ، كانت تكتم الامر وتكبت استياءها رغبة منها فى عدم ازعاجه.. ابقاء على العلاقة الطيبة بينهما . لقد عودت ذاتهـا على سلوكه الشاذ ، وظلت على هـذه الحالة الى أن أنجبت الذرية ، وهنا ارتبكت حالتها المالية ، لان النقود التى كان ينفقها خارج المنزل بعيدا عنها وعن أولاده استنزفت جانبا يذكر من الميزانية

ولم تشأ « جوهرة » مع ذلك اثارة المسألة المالية ، وأخفت عن زوجها التوتر الذى اضطربت بسببه أعصابها ، غير ان هذا التوتر الذى كان محصورا فى نطاق الشئون المالية ، سرعان ما انطلـق من عقاله هرعا الى الشئون الاجتماعية والترفيهية ، ومنها بالسرعة نفسها الى علاقاتهما الجنسية

وهنا اتسعت هوة الخلاف بين الزوجين فاحتكما الى احد رجال الدين ، غير أن ذلك الاجراء جاء متأخرا . لقد ظلا ست سنوات بغير خصام أو نزاع تقريبا .. ولو أن الزوجة ألقت أوراقها على المائدة قبل أن يستفحل الجفاء ، وناقشته بحرية وصراحة ـ وان أدى ذلك الى شن حرب شعواء بينهما كلما اقتضت الاحوال ـ لو انها فعلت ذلك لأبقت على رابطة الزوجية . ويفهم من هذا أن النزاع بين الزوجين ذو منافع عديدة :

أولا ـ يصفى الجو ويزيح سحب الشكوك

ثانيا ـ يحدد أسباب التوتر ، وكل ما من شأنه أن يؤدى لسوء التفاهم

ثالثا ـ يخفف من حدة التوتر قبل أن تتصدع العلاقات بسببه

رابعا ـ يؤدى فى النهاية الى حل أكثر المشاكل ، ان لم يكن كلها

التكتم والعلاقات الزوجية

الاسراف فى التكتم ، والامتناع عن طرح المشاكل على بساط البحث ، بدعوى الحرص على المودة يضيق رقعة العلاقات بين الزوجين ، كالحديث والنزهة وزيارة الاصدقاء واقامة الحفلات فى المناسبات المختلفة ، والاتصالات الجنسية ، وسائر نواحى النشاط . وكلما تطرق التوتر الى ناحية ، تسرب منها الى أخرى ، الى أن تشل الحركة فى أكثر شئون الاسرة

وقد أشار علماء النفس الى نقطة أخرى ، قد لا تخطر على البال ، وذلك ان قيام النزاع بين الزوجين من حين الى آخر فى مستهل الحياة الزوجية ، يضع حدا للاسراف فى تقرب الزوجين بعضهما من بعض وانغماسهما فى علاقات كان يجدر أن تخف وطأتها بانقضاء شهر العسل واستسلامهما لملاذ وعواطف تستنفد الكثير من طاقاتهم البدنية والوجدانية . وبتعبير أوضح ، ان النزاع غير الهدام يساعد الزوجين بطريق غير مباشر على ايجاد الوسط الذهبى للعلاقة الزوجية ، ومثل ذلك كمثل القنفذ الذى يتقرب الى شريكته طلبا للدفء ، على شرط الا يشتد التصاقه بها التصاقا يؤدى الى وخز الاشواك التى تعلو جسميهما ، وقد وجد بالاختبار ان ألذ العلاقات بين الزوجين وأسعدها ، كثيرا ما تجىء بعد ازالة أسباب النزاع مباشرة

ومن الآراء التى تخطر ببال البعض ، ان ضبط النفس

فى أكثر المشاكل التى تواجهها الاسرة ، خير من اثارة النزاع ، وهذا الرأى لا يخلو من الصحة ، الا ان عيوبه اكثر من حسناته ، وسبب ذلك ان هذا الحل يبلغ المستوى العقلى أو المنطقى ، ولكنه ينفذ الى المستوى العاطفى الوجدانى ، وتكون النتيجة الفشل الذريع ، وحقيقة الامر ان الزوجين لا يمكن أن يقتنعا بأحكام المنطق والعقل ، ما لم يحس كل منهما بالحرارة التى تنبعث من أحاسيس الآخر العدائية

الزواج يتطلب التكيف وفقا لمقتضيات الاحوال ، وهذا التكيف لا يخلو من الالم وبذل الجهد والتعب ، ومثله كمثل تعلم السباحة ، أو تعلم لعب التنس ، أو تعلم الرماية ، أو تعلم ركوب الخيل ، ولكنه أكثر من ذلك تعقدا وأشد صعوبة ، انه يتطلب النسيان كذلك .. نسيان ما تعلمه الزوج قبل الزواج ، نسيان بعض العادات والرغبات ووسائل العيش التى نشأ فيها فى بيت والديه. ومن الوسائل التى تساعد على التوفيق بين تعلم الجديد ونسيان القديم ، النزاع البناء ، لانه لون من ألوان التأديب وصقل العواطف

النزاع البناء .. والنزاع الهدام

علمنا ان الخصومات والمنازعات بين الزوجين من طبيعة الاشياء ، بيد ان هناك البناء منها والهدام .. فالنزاع الهدام هو الذى لا يترك من العلاقات بين الزوجين سوى القلة التى لايؤبه لها ، وكثيرا ما لايترك منها شىء وهو من الجهة الاخرى يوجه الى شخص الشريك بدلا من المشكلة ، أى انه يرمى الى هدم الشخصية ، أو على الاقل تحقيرها واذلالها ، مما يؤدى للكراهية والعداء المستحكم ، وليس للنزاع الهدام سوى فائدة واحدة ، هى تعجيل

الطلاق أو القضاء على العلاقة الزوجية فورا بدلا من قضاء سنوات فى حياة زوجية تعيسة .

أما النزاع البناء ، فانه ينحصر فى المشكلة التى أدت اليه ، ويوجه اليها لا الى الشريك ، وبهذه الكيفية تخف حدة النزاع ، ويقل حدوثه كلما تقدمت الاعوام ، ويحذق الزوجان « التكتيك » الذى يحلان به المشاكل قبل استفحالها

حقائق عن الطلاق

ـ الكثير من حوادث الطلاق ، كان يمكن تلافيها ، لو ان الزوجين وجدا من الاخصائيين فى المسائل الزوجية التوجيه والارشاد ، وازالة سوء تفاهم كان لا يمكن أن يقضى عليه الزوجان بغير مساعدة

ـ الواقع ان عددا يذكر من حالات الطلاق ، دلت الدراسات على ان التجانس بين الزوجين فيها كان متوافرا ، وفرصة نجاح الشركة كانت مرجحة ، لولا ان أحد الشريكين قد تسرع ، اما لثورة انفعالية أو بسبب الانفة والكبرياء

ـ الكثير من الزيجات الفاشلة التى تسود فى جوها التعاسة ، تظل باقية مدى الحياة

ـ ينتج من ذلك أن هناك زيجات يحسن فض الشركة فيها بالطلاق ، كما ان هناك حالات طلاق كان يمكن تلافيها بمساعدة من الخارج

أسباب الطلاق

١ ـ الاثم الذى لا يغتفر .. لعل أكثر الاسباب شيوعا والتى يتعلل بها الناس عادة ، الخيانة الزوجية ، أى جريمة الزنا التى قلما يلتمس لها غفران

٢ ـ الدخل المحدود .. دلت بعض الدراسات على أن الطلاق يكثر فى الاوساط ذات الدخل المحدود ، وتعلو نسبته فى الاماكن المزدحمة بالسكان ، وبين السكان الذين يكثرون من التنقل من بلدة الى بلدة ومقاطعة الى مقاطعة بغير استقرار ، طلبا للراحة ، وبين الذين يعبثون بالقوانين ويتعرضون للسجن ، وقد وجد فى البلاد التى بلغ فيهـا التصنيع درجة عظيمة من التقدم ، أن العمال (من غير ذوى المهارات) ترتفع نسبة الطلاق بينهم الى ثلاثة أمثالها بين أصحاب المهن والملاك . غير أن علماء الاجتماع يقولون ان سوء الحالة الاقتصادية وحدها لا تؤدى للطلاق ، اذ لابد أن تتوتر العلاقات بين الزوجين فى نواح أخرى ، ولا شك ان التوتر يكثر بين الطبقات ذات الدخل المحدود ، أى ان المسألة تدور فى حلقة خبيثة ، وفى حين ان المرأة فى حالة توتر العـلاقات لا تستجيب لحـاجات الزوج الجنسية ، فان الزوج فى هذه الحالة لا يستجيب لحالتها المالية

٣ ـ التغيرات الاجتماعية .. من النظريات المسلم بها بين الكثيرين من علماء الاجتماع ان التغيراتالاجتماعية تمهد الطريق للطلاق ، لما تسببه للزوجين من ضـغط ومتاعب ، مثال ذلك انتقـال الزوجين من الريف الى الحضر ، وما يتطلبه ذلك من تغيير فى وسائل المعيشة فى البيت وخارجه ، وما تتراكم بسببه منمطالب وحاجات ، ومثال آخر تحرير المرأة واستمتاعها بتكافؤ الفرص فى التعليم والعمل وكسب الرزق ، فان ذلك يمنحها قـدرا كبيرا من الاستقلال والاعتماد على النفس ، والحرية وغير ذلك مما قد لايرضى الزوج ، ويسهل لها الطريق الى الطـلاق

ويتضح اثر التغير الاجتماعى فى حالات الحرب والثورة

وأمثالها ، ففى خلالها أو بعدها مباشرة ، يكثر التنقل ، وافتراق الزوجين ، وتشتت البنين والبنات ، وتتبدل وسائل العيش بسواها ، وتزداد نواحي النشاط والعمل سرعة . وتدل الاحصاءات على ان نسبة الطلاق زادت فى امريكا بعد الحرب العالمية الاولى مباشرة بمقدار ٤٠ ٪ ، وفى الفترة التى بلغ فيها الرخاء ذروته (١٩٣٨ــ١٩٤٠) والتى كان الاستعداد فيها للحرب على قدم وساق ، سجلت الارقام حالة خلاف لكل خمس زيجات ، وارتفعت هذه النسبة عام ١٩٤٦ الى حالة طلاق فى كل زيجتين ونصف زيجة

٤ ــ عدم التوافق .. يعزى عدم التوافق الذى قد يؤدى الى الطلاق فى الكثير من الحالات الى خبرات سيئة فى الطفولة ، فمن المعلوم مثلا ان الطفل فى سنواته الاولى يؤثر أحد اخوته أو أقاربه على سواه ، وكذلك فى مراحل الدراسة المختلفة ، يتأثر بشخصيات يعجب بها ويكون لها أثر فى حياته ، ومن سوء الحظ ان كراهيته نحو أشخاص معينين تتولد كذلك فى نفسه وتنمو ، ثم هو يكبر وقد ينسى أولئك الاشخاص الذين كان يحمل نحوهم كراهية ، ولكنه يضمر فى عقله الباطن اشمئزازه من كل شخص يشبههم ، فاذا ما تزوج شخصا يعيد الى ذاكرته صورة من يكره ، اصبحت الحياة معه لا تحتمل

والى القارىء مثالا آخر من خبرات الماضي .. فتاة نشأت على الاعتماد على والدها فى كل ناحية من نواحى نشاطها ، مثل هذه الفتاة اذا ما تزوجت من شاب له شخصية قوية ، نشأ فى أسرة كان الاب فيها الناهى والآمر ، صادف ذلك الشاب هوى فى نفسها ، وكان الزواج سعيدا لتوافر شروط التوافق بينهما ، وعلى عكس ذلك الشاب الذى نشأ على الاعتماد على أم كانت الناهية

والآمرة فى الاسرة .. مثل هذا الشاب اذا تزوج من فتاة درجت على الاعتماد على أحد والديها ، كانت نتيجة الزواج فاشلة ، ويغلب أن ينتهى بالطلاق لان كلا منهما يحاول أن يجد فى الآخر القابلية للاعتماد عليه ، بلا جدوى

وقد تبدو هذه الآراء غريبة أو تافهة ، ولكنها فى الواقع أعمق مما يبدو على سطحها ، وقلما يستطيع الزوجان أن يجدا حلا لهذه المواقف ، لان العقبة التى تقف حائلا دون ذلك ، هى العقل الباطن .. وهو ليس فى متناول العقل الواعى كما لا يخفى ، أى لا سلطان للشعور على اللاشعور .

هل ينجح زواج المطلقين ؟ ..

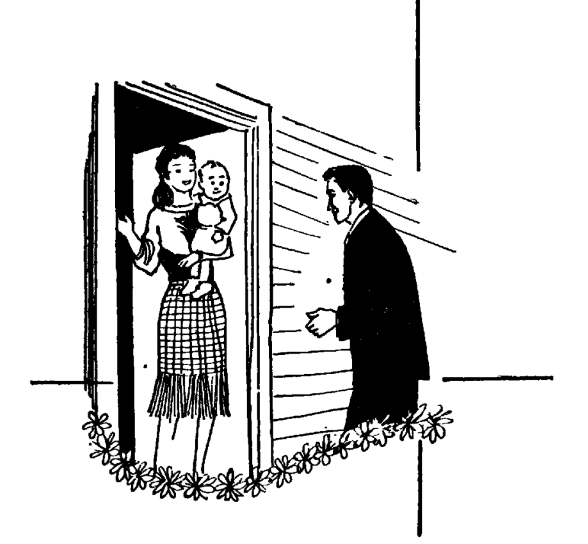
من المسائل التى تهم علماء الاجتماع فى موضوع الزواج ، الاجابة عن هذا السؤال : هل ينجح الزواج الثانى ؟.. لقد دلت الاحصاءات على ان نسبة المطلقين الذين يتزوجون للمرة الثانية عالية جدا ، وان ربع المطلقين فقط لا يقدمون على الزواج بعد مرور خمس سنوات على طلاقهم ، بيد انه مما يدعو للأسف أن تخلو الدراسات من حالة زواج المطلقين ، فيما يتعلق بالنجاح والفشل ، والاقوال فى هذا الشأن متضاربة

فمن الباحثين من يزعم ان النجاح فى الزواج الثانى أضمن منه فى الاول ، لان الزوج يكون قد اكتسب من الخبرة ما يحمله على تجنب ما يدعو للفشل ، ومنهم من يزعم ان فرصة النجاح فى زواج المرأة المطلقة أضمن منها فى زواج الرجل المطلق

ولا شك ان فشل الزواج الاول الناتج عن عدم توافق بين الزوجين ، لا لوم فيه فى الغالب على الزوجين ، وفى هذه الحالة يرجح نجاح الزواج الثانى اذا أصاب الزوج توافقا فى هذا الزواج

الفصل التاسع

بناء الأسرة



حقائق عن الوراثة

لا توجد أسر بغير أطفال ، وانما هناك زيجات بغير مواليد ، وفى هذا الفصل سنبحث بايجاز عما يحدث قبل أن يرى المولود النور ، وكيف ينمو الجنين منذ لحظة التلقيح الى اللحظة التي يولد فيها ، ان لكل مولود تاريخا يرجع عهده الى حقبة طويلة قبل ان يسمع صراخه فى حجرة الولادة ، وهذه بعض الحقائق التى تلقى ضوءا على هذا التاريخ :

١ ـ الحيوانات المنوية للرجل نوعان : أحدهما اذا لقح بويضة المرأة كان المولود ذكرا ، والنوع الآخر اذا لقح البويضة كان المولود أنثى ، أما بويضة المرأة فنوع واحد .. اذا التقى بها حيوان منوى من النوع الاول كان المولود ذكرا ، واذا كان الثانى فالمولود أنثى ، أى ان الرجل هو الذى عليه يتوقف جنس المولود

٢ ـ لا سن الزوج ولا حالة الزوج الصحية تؤثر فى العوامل الوراثية التى تنتقل منه الى الجنين فى اللحظة التى يتم فيها التلقيح (الحمل) ، لان هذه العوامل كامنة فى الاب منذ ولادته ، بل قبل أن يولد

٣ ـ جميع عوامل الوراثة التى تتصل بسمات الطفل وشخصيته تكون شطرا منه فى اللحظة التى يتم فيها الحمل ، وكل ما فى وسع الام ان تقوم به فى سبيل تقويم أخلاقه أو تحسين شخصيته يجىء بعد ولادته

٤ — بالرغم من أن ما تساهم به المرأة من عوامل الوراثة يساوى ما يساهم به الرجل تماما ، فان هناك استثناء واحدا .. ذلك ان للمرأة عوامل وراثة اضافية يطلق عليها اسم x (ويمكن تسميتها عجلة غيار) لا توجد عند الرجل ، لذلك تورث الام بعض العيوب لابنائها ولا تورثها لبناتها ، مثال ذلك الصلع وعدم وقف النزيف

٥ — العوامل الوراثية التى يتوقف عليها لون الشعر (ولون العينين) ، لا علاقة لها بتاتا بالعوامل التى تتوقف عليها الشخصية .. كما ان أى لون للشعر أو للعينين يمكن أن يتمشى مع أى نوع من الطباع والامزجة

٦ — قد يختلف دم الام عن دم طفلها ، ويكون اختلافه وخطره على الطفل — اذا نقل اليه — لا يقل عن اختلاف دم الغريب وخطره

٧ — لا يمكن أن يولد طفل أسود لزوجين أبيضين الا اذا كان كل من الزوجين يحمل من أجداده عوامل وراثية لبشرة سوداء ، وبكمية وافرة ، وما تلوكه الالسن غير ذلك حديث خرافة ، ومعنى هذا ان الزوجين الابيضين اذا ولد لهما طفل أسود ، كانت أبوة الطفل تدعو للريبة حتما

٨ — كل الجنس البشرى من نوع واحد ، فاذا تزاوجت بعض السلالات مع سلالات أخرى بعيدة الشبه بها أنجبت ذرية ، ومعنى هذا ان الالمانى أو السويدى اذا تزوج من أواسط افريقيا أو جنوبى آسيا ، ينجب ذرية

٩ — تدل جميع اختبارات الذكاء على ان امكانيات المرأة الذهنية لا تقل عن امكانيات الرجل ، أما عدم ملاحقتها للرجل فى بعض الميادين ، فيرجع الى ان الفرص

لم تتح لها ، ولم يمض على تحريرها الا القليل

١٠ ـ لا توجد فى الاسر البشرية أسرة يمكن أن يقال عنها انها أصيلة بالمعنى المتعارف عليه فى الجياد وغيرها من الحيوانات الاليفة ، لان ذلك يتطلب التوالد بين الامهات والابناء والآباء والبنات ، والواقع ان البشر جميعهم بما فى ذلك أعضاء الاسر المالكة ، مهجنون (مختلطو الجنس)

وليد الصدفة

غريب أن تكون أنت أنت ، وأن أكون أنا أنا .. غريب أن تكون مديد القامة ، ممتلىء البدن ، أسود الشعر ، رومانى الانف ، متسع الحدقة ، قمحى اللون ، وأن يكون غيرك متوسط القامة ، نحيف البدن ، أشقر الشعر ، مستقيم الانف ، ضيق العينين . غريب أن تكون ابنا لامك ، وقد كان يمكن أن تكون لواحدة من بضع مئات من الملايين من نساء العالم ، وغريب أن تكون ابنا لابيك ، لا لواحد من الملايين غيره . غريب أن يتزاحم مئات الملايين من الكائنات (الحيوانات المنوية) الحية الدقيقة التى لا ترى بالعين المجردة ، على بذرة (بويضة الانثى) حية دقيقة ، فلا يفوز بودها سوى كائن واحد ، يلج بابها فتأنس اليه وتعتزل غيره من الملايين وتنقبض عنهم ، ثم تنسج حولها سياجا متينا من الانسجة ، حتى لا ينفذ الى دارها سوى ذلك الكائن حسن الحظ ، وما هى الا ثوان معدودات حتى يمتزج الضيف وربة البيت لحما ودما ، ويصبحا مخلوقا واحدا ، وبعد تسعة أشهر ، يشق ذلك المخلوق طريقه الى العالم الخارجى ، فيصبح « أنت » أو « أنا »

ولكن الاحدوثة لا تقف عند هذا الحد ، فالمسألة أشد غرابة من هذا .. ان ذلك الكائن الحى الدقيق يحمل فى

الاصل ٤٦ قطعة ذات اشكال مختلفة تدعى صبغيات (١) ، مرتبة أزواجا ، يختلف كل منها عن الآخر رسما وحجما ، وتحمل كذلك تلك البذرة فى نواتها ٤٦ قطعة مرتبة أزواجا ، فاذا ما اتحد الحيوان المنوى بالبويضة تخلى كل منهما عن نصف هذه القطع وأصبحت البويضة الملقحة تحمل ٤٦ قطعة ، ومعنى هذا ان المولود يرث من أبيه نصف هذه القطع أو الصبغيات التى هى فى الواقع عوامل الوراثة ، ويرث النصف الآخر من أمه ، ولا يفوتك أن تعلم ان تزاوج وحدات الوراثة هذه كان يمكن أن يتخذ أشكالا لا حد لها ، أى يكون مجموعات لا حد لها

قلنا ان هذه الصبغيات ٢٣ من الاب و ٢٣ من الام ، تتلاقى أزواجا ، واحدة من الاب وواحدة من الام ، والمسألة التى يراد حلها هى بكم طريقة يمكن تكوين هذه المجموعات أو الازواج ؟ .. الجواب فى عملية جبرية فى التوافيق والتباديل ، وقد قدر أحد علماء التوالد عددها فبلغت ما يقرب من ١٧ مليونا ، على ان هذا ليس كل شيء ، فنحن نفرض فى هذه الحالة ان كائنا واحدا لقح بذرة واحدة ، فى حين انه واحد من ألوف الملايين التى كان يحتمل أن تلقح هذه البذرة .. وعلى هذا يقفز التقدير الى ألوف الملايين ! ..

وموجز القول ان الطفل الذى يولد بهذه الكيفية وليس بغيرها ، وليد الصدفة ، ورقة يانصيب ، ومعنى هذا ان كل واحد منا فريد فى بابه ، وأن احتمال وجود آخر مثلك فرصة قيل ان النسبة فيها واحد من ٣٠٠ ألف ألف مليون ، ومع ذلك فان كل طفل من ذريتك وكل حفيد من أحفادك — ذكرا كان أو أنثى — وأحفاد

---

(١) سميت صبغيات (chromosomes) أو الاجسام الملونة لانها تمتص المواد الملونة فتبدو واضحة تحت المكرسكوب

أحفادك ـ سيكون كذلك وحيدا فى بابه ، غير ان ثمة نقطة لا ينبغى عدم نسيانها ، ذلك ان ذرينك ـ أطفالك واحفادك واحفادهم ـ يستقون كلهم من نبعك ، أى يرثون الكثير من سماتك وصفاتك وسمات أجدادك وصفاتهم

معنى الوراثة

الوراثة هى ما ينتقل من الاوصاف البدنية والعقلية من الوالدين والاجداد الى الابناء والاحفاد وأحفاد الاحفاد ولكن .. كيف ؟ .. ومتى ؟ .. أما عن متى ، ففى اللحظة التى يتم فيها التلقيح ، لا قبلها ولا بعدها ، ولا فى أثناء الحمل ، أما عن كيف ، فلنعد بالقارىء الى تلك الصبغيات التى توجد فى بذرة الذكر وبويضة الانثى عند اتحادهما أزواجا ، وتشمل كل منها سلسلة من وحدات غاية فى الدقة أسمها «جينات» (١) وهى فى الواقع عوامل الوراثة .. وهذه العوامل ، هى وحدها ، التى تحمل الاوصاف المشار اليها ، ولكل عامل منها وظيفة فى تكوين الجنين ، والبويضة الملقحة خلية حية ، وهى الخلية الاولى ، فاذا بدأت فى النمو انقسمت الى قسمين ، ثم انقسم كل نصف الى قسمين آخرين ، وهكذا دواليك ، وتتخصص كل من هذه الاقسام لتكوين أجزاء الجسم المختلفة ، وتحتفظ كل خلية منها بعدد الصبغيات (أى ٢٣ زوجا) ونوعها ، كما كانت الخلية الاولى

ومنعا لكل ابهام نقول ان الرجل يولد مزودا بأنسجة خاصة فى الخصيتين ، تتوالد فيها الحيوانات المنوية منذ البلوغ فصاعدا ، كذلك المرأة تزود فى المبيضين بأنسجة خاصة تنمو فيها البويضات وتنضج ، والفرق بين

---

(١) genes يدل نطقها على أنها مأخوذة من كلمة « جنس » أو ان كلمة جنس مشتقة منها

الحيوانات المنوية والبويضات ، ان الاولى لا حد لعددها ، وان الثانية محدودة العدد وتوجد منذ أن يتكون الجنين ، فلا زيادة فيها ولا نقصان بعد ذلك ، وكل ما يحدث عند البلوغ ، هو أن تنضج هـذه الحيـوانات ، وتكبر تلك البويضات حجما ، وخلاصـة القول ان عوامل الوراثة تثبت بمجرد تكوين الجنين ، ولا يتغير ما تحمله فى جنباتها من الصفات البدنية والعقلية بعد ذلك ، فقد أكد ذلك أحد العلماء بقوله : « هب ان مثالا صنع تمثالا من المرمر ، هو صورة طبق الاصل منك ، وقد أخفى فى جوفه عدة تماثيل صغيرة ، هى أيضا صورة منك ، وهب انك بعد عشرين عاما أو أكثر ، أصلحت التمثال فقصرت أنفه ، وجملت ملامحه ، وضيقت فمه ، أو هب انك شـوهت وجهه ، فهل يؤثر هـذا أو ذاك فى التماثيل الصـغيرة المختفية فى جوفه ؟ ..

وعلى هذا الاساس اذا تزوج جاهل وأنجب طفلا ، ثم شرع فى نيل أكبر قسط من التربية ، وأتيح له الفوز بدرجة جامعية ثم أنجب طفلا بعد ذلك ، فان هذا الطفل لن يكون من الناحية الوراثية أصلح من شقيقه الاكبر ، ولو كان ذلك ممكنا ، لتابع المرء ـ قبل زواجه ـ دراسة ليلية أو بالمراسلة لتحسين نسله ، كذلك اذا كانت المرأة جميلة فى طفولتها ، ثم شوهت ملامحها فى حادث ، فان ذلك لا يكون له أثر فى الوراثة ، والرجل الذى ينجب طفلا فى التسعين من عمره ، لن يكون ابنه أقل شأنا ـ وراثيا ـ من ابن آخر ولد له وهو شاب فى سن العشرين ، وطالما كان رحم المرأة سليما من المرض ، فولدها من الناحيـة الوراثية ـ وهى فى سن الخمسين ـ لا يقل شأنا عمن أنجبته وهى فى سن الثامنة عشرة .. وموجز هذا ، أنه فى اللحظة التى يتم فيها التلقيح ، تكتب للولد جميـع

الصفات من عيون سود مثلاً ، وشعر مستقيم ، وأصابع ست ، وعمى لونى ، وقابلية لبعض الامراض ، بل يكتب عمره (بشرط ألا يتعرض لحوادث أو موت بسبب عدوى الخ) ، أو على الاصح يتجه الى التعمير أو قصر الاجل

ما يورث .. وما لا يورث

سبق القول ان التشابه التام بين شخصين مستحيل ، ولا يستثنى من ذلك الا التوائم المتماثلة (١) أى التى تولد من بويضة واحدة ، أما التوائم المتشابهة (٢) أى التى تولد من بويضتين مختلفتين ، فان حكمها حكم الاخوة العاديين ، ومع ذلك ، فان هناك فرقا طفيفا بين التوأمين المتماثلين ، ولا غرابة فى ذلك فان التشابه بين النصفين اليمين واليسار فى شخص واحد ليس تاما

ولا شك ان المرأة الحامل اذا مرضت أو ساءت تغذيتها فان هذا قد يؤثر فى الجنين ، غير أن هذا الاثر بيئى لا وراثى .. كذلك الحال اذا أدمنت الحامل الخمر أو المخدرات الى حد تشبعت به أنسجتها ، فان الولد يشب ميالا الى الادمان لتشبع أنسجته بالكحول أو المخدرات ، ولا يعد هذا وراثيا ..

وهناك خواص وراثية بحتة (أى تحملها صبغيات الرجل والمرأة عند التلقيح) كألوان العينين ، والشعر ، والبشرة وغيرها من أعضاء الجسم التشريحية ، على ان تعاطى المسكرات والاجرام وغيرها من العادات السيئة وانقاضها من العادات الحسنة لا تورث ، ولكن هذا لا يمنع اكتسابها بالبيئة ، كذلك لا يتأثر المولود وراثيا لمجرد كونه ابن زنا ، اذ ان الطبيعة لا تعترف بعقود الزواج ، ولا دخل للوراثة فى وجود الجنين فى رحم أمه ، اذ ان الرحم

---

(١) identical (٢) fraternal

جهاز للتفريخ ، كما انه لا صحة للزعم بأن الجنين يتأثر بدم أمه ، اذ لا يوجد اتصال مباشر بين دم الام ودم الجنين ، ولا توجد خيوط عصبية توصل بينهما ، فبين الحامل والجنين حائط يصل اليه الدم من بعض الاوعية المفتوحة ، وكل ما يحدث ان المواد الغذائية تتسرب كما يتسرب الرشح وتضغط على ذلك الحائط ومنه تصل الى الجنين بوساطة حبل « السرة » ، أما قصة الوحم فخرافة لا تستند على دليل

وفيما يختص بالجنون وضعف العقل ، فبعضه وراثى وبعضه مكتسب ، وهناك أمراض كالسل ، والبول السكرى لا تورث ، ولكن يولد صاحبها عرضة للاصابة بها ، لوراثته تكوينا بدنيا شبيها بتكوين أبيه أو أمه أو أحد أجداده

وفيما يختص بالمواليد الذكور والاناث تذكر الحقائق الآتية :

١ — يزيد حمل الذكور على حمل الاناث بمقدار يختلف بين ٢٠ ٪ الى ٥٠ ٪

٢ — يبلغ عدد الاجنة التى تولد ميتة ٢٥ ٪ من مجموع الاجنة الحية منها والميتة

٣ — يزيد عدد الاجنة الذكور التى تولد ميتة عن الاناث بمقدار ٥٠ ٪

٤ — كثيرا ما يقال أن امرأة حامل ثم يكذب النبأ ، والواقع ان الحمل يكون قد تم فعلا ولكن البويضة ماتت بعد التلقيح ، ولعل هذه حيلة من الطبيعة للابقاء على الاصلح فقط

٥ — يزيد عدد الذكور من الاطفال الذين يموتون فى خلال السنة الاولى من أعمارهم على الاناث بمقدار ٢٠ ٪

٦ ــ تبلغ الاجنة التى تموت فى الشهر الثالث بنسبة أربعة للذكور مقابل واحد للاناث ، وفى الشهر الرابع ٢ الى ١ ، ويولد من الذكور ١٠٥ مقابل كل ١٠٠ أنثى

٧ ــ فى سن المراهقة يتساوى عدد الذكور والاناث عادة

٨ ــ فى سن النضوج يزيد عدد النساء على الرجال بمقدار ١٥ ٪

٩ ــ فوق سن الستين يكون الاحياء من النساء ضعف الرجال

لماذا نرغب فى الذرية ؟

الرغبة فى الذرية طبيعة فى الانسان كالرغبة فى اتخاذ فرد من الجنس الآخر شريكا ، ويقول بعض علماء النفس ان هذه الرغبة دليل اكتمال الرجولة والانوثة وهى ترجع الى عوامل قوية ــ بدنية وسيكولوجية واجتماعية ــ تدفعنا الى أشباع عاطفة الابوة والامومة .. وقلما تجد الام (والاب) بديلا لارواء هذه العاطفة ، بغير الحمل وتربية البنين والبنات ، وقد عبر عن ذلك العالم النفسانى والطبيب الشهير كارل مننجير بقوله : « ان أقصى ماتصبو اليه المرأة ، وأسمى درجة فى سلم الملذات الدنيوية تبلغه، وأفصح تعبير لانوثتها ، وأعظم نجاح تفوز به فى تأدية وظيفتها فى الحياة ، هو الحمل والولادة » ، ان بناء الاسرة لا يمكن أن يتم بغير أطفال ، وتشييد بيت الزوجية لا يتم بغير الاسرة ، والكيان الذاتى للزوجين لا يمكن تحقيقه بغير البيت ، ويفهم من هذا ان البيت بالمعنى الاجتماعى الاوسع هو الحظيرة التى تضم الزوجين والاطفال ، لا الزوجين فقط

ومما لا تخفى دلالته فى هذا الشأن ، ان مواد الدراسة

الحديثة التى أدخلت فى المدارس الثانوية والكليات الجامعية ، والخاصة بانجاب الذرية وتربية الاطفال ، قد اكتظت فصولها بالذكور والاناث على السواء ، مما يدل على ان المراهقين والمراهقات ومن يكبرونهم سنا ، يشعرون بدافع طبيعى ورغبة صادقة فى الاستمتاع بالابوة والامومة ، وينتظرون تحقيق هذه الامنية بفارغ الصبر

ولعل ما يدعم هذا الدافع الطبيعى وتلك الرغبة الكامنة ، ان الجميع قد خبروا فى طفولتهم حياة الاسرة وما تخللها من نواحى النشاط التى تستجيب لها طبيعة الانسان . وهناك ما يمكن أن نسميه الضغط الاجتماعى أو الرأى العام الذى ينتظر من الزوجين بعد الزواج بقليل أن يكون لهما بنين وبنات ، واذا ما استمعنا الى أحاديث النساء فى كافة المناسبات ، اتضح لنا ان أكثرها يدور حول محور واحد وحديث واحد : هو كل ما يتعلق بالاطفال

وقد صدق أحد أطباء الامراض العقلية حين كتب يقول « ان ابتسامة عابرة من طفل فى المهد ، أشد أثرا فى ايقاف دعوى الطلاق بين زوجين ، من أحكم مواد القانون وأحدث الوسائل التشريعية والاجتماعية ، واذا صدقت الاحصاءات ، فانه كلما كثر عدد الاطفال للأزواج قلت نسبة الطلاق ، وتدل الارقام التى سجلتها المحاكم فى أمريكا أخيرا على ان نسبة الطلاق بين الازواج بغير أطفال تتراوح بين ١٥ر٣ فى الالف ، وبين أولئك الذين انجبوا طفلا واحدا تتراوح ما بين ٥ر١١ فى الالف ، وبين الذين أنجبوا أربعة أطفال فأكثر تتراوح ما بين ٦ر٤ فى الالف

ولسنا نزعم ان هذه النتيجة حتمية فى جميع الاحوال، فقد يؤدى سوء العلاقات بين الزوجين الى الطلاق ، سواء

اكان هناك أطفال أم لا ، غير ان الحقيقة التى لا تنكر ، ان وجود الاطفال رمز فى أكثر الاحوال الى بقاء الزوجيـــة ورسوخ أقدامها

خير البر عاجله

اذا كان الطفل متعة الزوجين ونجم البيت المتلألىء ، فلم لا يبكران فى الاستمتاع به ؟.. هذا ما يقوله البعض، وما لايوافق عليه البعض الآخر ، الزواج فى اعتقـــــاد الكثيرين ، عملية معقدة فى بدء عهدها ، فليس من الحكمة زيادتها تعقيدا بالحمل والولادة ، بل من الحكمة أن يتعود الزوجان معيشة « الاثنين » بعد معيشة العزوبة ، وأن يختبرا وحدة العلاقة بينهما ، قبـــل التفكير فى المجىء بثالث

بيد ان ارجاء الاستعداد لهذا الثالث ، لا يخلو من الخطر اذا طال أمده ، فقد يندفع الزوجان فى شراء قطع من الاثاث وأدوات المنزل ، وقـــد يؤثران شراء سيـــارة تســـتنزف شطرا كبيرا مما ادخـــراه ، ويجدان فى رفع مستوى المعيشة ، وتوفير وسائل الرفاهيـــــة فى بيت الزوجية ، ما يسول لهما الامتنـــاع عن انجاب الذرية وتأجيلها الى أجل غير مسمى

الحمـــل

ليس كل اتصال جنسى ينتهى بالحمل ، اذ لابد أن تتوافرالظروف والفترة التى يتم فيها ، ومنأهم الشروط سلامة كل من البذرة والبويضة وسلامة المسالك التى يمر بها كل منهما ، ولا بد من وصول البذرة (الحيوان المنوى) الى قناة فالوب ، التى سبق الـكلام عنها ، فى الوقت الملائم أى فى الساعات التى تكون البويضة فيه ،

وقد يقلق الزوجان فى بدء عهدهما بالزواج اذا أبطأت الزوجة فى الحمل ، ولعل هذا القلق يزول اذا قرءا السطور الآتية :

١ ـ دلت الاحصاءات ان المراة بين سن ٢٠ و ٢٩ لا يتم حملها الا اذا بلغت مرات الاتصال بزوجها ٢٠٠ مرة فى المتوسط .

٢ ـ هذا مقابل ١٤٠٠ مرة للزوجة بين سن ٤٠ و٣٩

٣ ـ ٥٠ ٪ من حيوانات الذكر المنوية تموت فى المهبل فى خلال ثلاث ساعات من دخولها ، و ٩٠ ٪ تموت فى خلال ٦ ساعات ، والنادر منها يعيش بعد ١٢ ساعة

٤ ـ عدد الحيوانات التى تخترق عنق الرحم فى نهاية المهبل لا تزيد على ١٠ ٪ من مجموعها ـ فى طريقها الى قناة فالوب ـ وهذه الحيوانات عادة أقواها وأشدها مراسا

أعراض الحمل

فى وسع المرأة أن تشخص الحمل بنفسها بملاحظة مجموعة من الاعراض ، ولا توجد قرينة واحدة يمكن الاعتماد عليها ، ولكن توافر عدة قرائن يرجح الحمل ، وللتثبت منه يجب الالتجاء الى الفحص الطبى

وأهم الاعراض وأسبقها انقطاع الحيض .. فاذا كانت المرأة سليمة بدنيا ونفسيا ، وكانت عادتها الشهرية دورية منظمة ، ثم انقطعت فجأة ، كان هذا دليلا على انها حامل فى أغلب الاحيان ان لم يكن كلها ، ويحدث أحيانا أن تجىء العادة مرة أو مرتين بعد الحمل ، وقد تتأخر العادة لاسباب عدة ، كتغيير المناخ ، والسفر الى مكان بعيد لم تألفه المرأة ، وتبلبل الخاطر ، والتوتر ، وبعض الامراض النفسية والعقلية ، وشدة الخوف ، والرغبة الملحة فى الحمل والقلق عليه

وهناك قرينـــة أخرى تظهر فى أكثر من ٦٥ ٪ من الحوامل ، وهى الميل للقىء صـباحا ، والغثيـان الذى يستمر عدة ساعات ، بيد ان هذه الظاهرة ليست دليلا قاطعا على الحمل ، فقد ترجع الى عدة عوامل أخرى

والقرينة الثالثة تغيير فى الثدى عند أكثر الحوامل فى بدء الحمل ، كالامتلاء ، والحساسية ، مع خضاب ذى لون أحمر غامق حول الحلمة

والقرينة الرابعة كثرة التبول .. على ان هذا تخف وطأته متى ارتفع الرحم فى الحوض ، ولم تعد المثانة على مقربة منه فى حالة تضخمه

وعلى هذا ، يمكن أن يقال ان الزوجة التى ينقطع عنها الحيض فجأة ، وتحس بالغثيان والميل للقىء صـباحا ، وتلاحظ عدة تغيرات فى ثدييها ، وتميل للتبول بكثرة .. مثل هذه الزوجة يرجح انها حامل

الفحص الطبى للتأكد من الحمل

للطبيب وسائل عديدة لتشخيص الحمل .. سيلاحظ تغيرات فى الرحم وتغيرات فى لون الاغشية التى تبطن المهبل ، وسيجرى اختبار البول المعروف للتـأكد من الحمل ، وأساس هذه الفحوص التغيرات التى تطرأ على الافرازات الهرمونية فى البول ، التى تؤثر فى الجهازالجنسى لبعض الحيوانات الصغيرة كالضفادع والفئران والجرزان والارانب ، وهذه الاختبارات يوثق بها الى حد كبير فى التأكد من الحمل فى بدء ظهوره ، ويجدر بالمرأة العاملة أن تكلف نفسها مؤونة هذا الاختبار حتى تعد نفسـها فى الوقت المناسب ، وذلك لان الطبيب لا يستطيع تشخيص الحمل بمجرد دراسة الاعراض سالفة الذكر الا بعد مرور ثمانية أسابيع ، فى حين ان ذلك ممكن فى بدء الحمل اذا أجرى اختبار البول

وكلما تقدم الحمل فى الايام ، ظهرت على الحامل اعراض أخرى قاطعة أكيدة ، مثال ذلك تغير لون الجلد فى البطن ، وعنق الرحم ، والمهبل ، والرحم ، وفى منتصف فترة الحمل ، يمكن سماع الخفقان المنبعث من قلب الجنين بوضوح ، وفى الشهر الخامس تكون حركات الجنين واضحة وتزداد وضوحا بعد ذلك ، وبعد الاسبوع العشرين تظهر أشعة اكس اطار الهيكل العظمى للجنين ، وبعد هذا لا يجد الشك سبيلا فى اثبات الحمل

ويولد الطفل عادة بعد ٢٨٠ يوما تقريبا من اليوم الاول لآخر دورة الحيض ، وأكثر الطرق شيوعا لتحديد ذلك اليوم ، ما يأتى :

اكتب تاريخ اليوم الاول لآخر دورة الحيض ، أضف الى ذلك التاريخ سبعة ايام ، ثم تسعة أشهر ، على ان هذا التاريخ تقريبى ، اذ قد يزيد أو ينقص على فترة قد تمتد الى أسبوعين ، وقد صدق أحد الاخصائيين فى أمراض النساء فى قوله : لو أمكن تحديد تاريخ الولادة بالضبط ، لكنت أنام مستريحا ، ولكن الواقع اننى كرجل المطافىء ، ينبغى أن أكون مستعدا فى كل لحظة من لحظات الليل والنهار

العناية بالام

الام بعد الولادة عرضة لأمراض خطيرة كالعدوى التى تؤدى الى حمى النفاس ، والنزيف ، وبعض الامراض النفسية ، ويمكن تفادى هذه الامراض كلها بالعناية الطبية قبل الحمل ، وفى خلاله ، وبعد الولادة ، ومن حسن الحظ أن تقدم العلوم الطبية قد قضى على نسبة كبيرة من هذه الامراض ، وقد تقدم القول ان الزوجة ينبغى أن تتقدم للفحص الطبى قبل الزواج ، حتى تتأكد انها فى غير

حاجة الى علاج أو عملية جراحية ، واذا طالت المدة بين الزواج والحمل ، فينبغى زيارة الطبيب مرة أخرى ، فاذا ما ظهرت بوادر الحمل ، عليها استشارة الطبيب لفحصها من هامة الرأس الى اخمص القدمين ، مع قياس الحوض حتى يتأكد ان الولادة ستكون طبيعية ، أم تستلزم عملية قيصرية، كما يقف على حجم المسافات بين عظام الحوض ومواضعها ، كذلك ينبغى أن تكون هناك زيارات دورية يفحص فيها الطبيب بول الحامل ودمها ، وزيادة وزنها ، وسرعة النبض ، وضغط الدم ، كما يراقب الطبيب نمو الجنين ، وأن كان جل عنايته بصحة الام ، والخلاصة ان العناية بالام تبدأ قبل الزواج ، ولا تنتهى الا بعد وقوفها على قدميها اثر خروجها من المستشفى بعد الولادة

الزوج والطبيب

ويحسن أن يصحب الزوج زوجته عند زيارتها الاولى للطبيب ، على الاقل ، للوقوف على بعـــــض المعلومات الخاصة بها .. مثال ذلك حالة الزوجة الصحية والتنبؤ بما ستكون عليه أثناء الحمل ، وتاريخ الولادة بالتقريب ، وارشادات خاصة بالتغذية والرياضة والملابس والاتصال الجنسى والاستحمام والراحة والرحلات والاســـــفار والفترات التى ينبغى فيها زيارة الطبيب ، والمستشفى الذى تنتظر الحامل الذهاب اليه قبيل الولادة ، والمخدر الذى يقع عليه الاختيار تخفيفا لالم الولادة ، ويحسن أن يقدم الطبيب للزوجين قائمة بالاعراض التى ينبغى ملاحظتها واحاطته علما بها فورا ، ومنها : النزيف أو وجود افرازات بنية اللون فى المهبل ، وتقلصات فى الرحم، والاكثار من القيء ، وشدة الالم فى المناطق السفلى من البطن ، والصداع ، واضطرابات فى الابصار على خلاف

العادة ، وتورم القدمين وعلى الاخص تورم الوجه واليدين ، ونقص فى كمية البول أو تخلله بالدم ، والامساك الشديد ، والسعال ، وألم الزور ، وصعوبة التنفس ، والحمى ، والاصابة بالبرد ، ونزول مفاجىء لسائل من المهبل

ولعل أهم ما يساهم به الطبيب فى سلامة الام والجنين، ارشادات فيما يتعلق بأحاسيس الحامل ونظرتها العامة الى الحياة ورضاها عن الحمل وانجاب الذرية

وليس الحمل حادثا بيولوجيا وحسب ، انه حادث اجتماعى كذلك ، يشترك فيه جميع أفراد الاسرة ولاسيما الزوج والام والحماة ، واذا أمعنا النظر فيما تقدمه الدول من تسهيلات وعناية للحوامل فى البلدان المتمدينة ، أدركنا ان الحمل يتجاوز حدود الاسرة الى المجتمع خارجها ، بل الى الامة بأسرها ، ولما كانت الحامل عرضة لتغييرات عدة فى حياتها عامة وفى مظهرها الخارجي ومشيتها وحركاتها وسكناتها ، كانت أحوج الى المشاركة الوجدانية والمساعدة فى شتى المواقف ، وكثيرا ما تقلق الزوجة على نشاط زوجها خارج المنزل ، وتصاب بداء الغيرة وعلة الشك ، لضيق رقعة العلاقة بينها وبين زوجها التى هى من طبيعة الحمل ، ولذا كان لزاما على الزوج مراعاة ذلك ، وتفادى كل ما من شأنه أن يؤدى لهذا القلق وذلك الشك

المرأة العاملة

عبارة « المرأة العاملة » لا تدل على نموذج واحد أو نمط واحد من نماذج الحياة وأنماطها ، فالمرأة العاملة تنتمى الى شتى الطبقات الاجتماعية .. فهناك السيدة الارستقراطية أو (الدوقة) التى ترأس جمعية خيرية

كبرى ولا تتقاضى عنها مرتبا ، وهناك على السلم الاسفل نجد الفتاة الكادحة التى تتولى عملا متواضعا فى احد المصانع ، وهناك المرأة المتزوجة التى لم تنجب أطفالا ، والاخرى التى تعول مع زوجها خمس بنات وثلاثة بنين ، ومن العاملات من يتفرغن ، ومنهن من يعملن ساعات معدودة أو أياما معينة دون سواها ، ومن أزواجهن من يربح أموالا طائلة ، ومنهم من لا يكفى دخله سوى ما يقوم بالكفاف ، كما ان منهم من يعيش عالة على دخل الزوجة

وفى هذه النماذج كلها ، يتوقف نجاح المرأة فى عملها وارتياحها اليه ، الى رضا الزوج ونظرته الى المرأة العاملة بعين العقل لا بفعل العاطفة ، وفى غالب الاحوال ، لا تجد الزوجة صعوبة تذكر فى الجمع بين الواجبات البيتية والتزامات العمل ومسئولياته ، طالما كانت الاسرة بغير أطفال ، كما ان الزوج قد يعطف على الزوجة ولا يمانع فى التحاقها بعمل لكسب الرزق بالرغم من وجود الاطفال ، ومع ذلك تجد الزوجة مشقة فى الجمع بين الوظيفة ورعاية الاطفال والقيام بالواجبات المنزلية

وتدل الاحصاءات التى قام بجمعها الباحثون الاجتماعيون على ان المرأة العاملة فى الزيجات الناجحة ، لا تصادف استياء أو عدم ارتياح من زوجها ، بالرغم من ان ذلك لا يخلو من احراجه ، لاسيما اذا كانت تتقاضى أضعاف مرتبه أو اذا كان عاطلا ، أو اذا كان عملها يقتضى تغيبها كل الليل أو بعضه

وقد دلت هذه الابحاث على ان بعض الازواج يشترط على زوجته العاملة ان تستقيل من وظيفتها بمجرد انجاب الطفل الاول ، وأن يتكفل هو بنفقات الاسرة ، مهما كلفه ذلك من المتاعب ، ويختلف الازواج فى الارتياح الى الزوجة العاملة باختلاف الطباع والشخصية وفلسفة الحياة ،

فمنهم من يتقبل نجاح الزوجة فى العمل أو ترقيتها أو رفع مرتبها كأنه طعنة نجلاء فى رجولته وكرامته ، ويحاول بكل ما فى وسعه من جهد أن يضع عقبات فى سبيل ذلك ، ومنهم من تغلب عليه الروح الرياضية ، فيعد ذلك شرفا له ، وان أصبحت رئيسة له فى الشركة أو المصلحة التى يعملان فيها

ومهما يكن من شيء ، فان هذا الوضع أو ذاك يتوقف على الاوساط التى يعيش فيها الزوجان ، والتقاليد والعادات السائدة فيها ، ومن الواضح ان القرى والمدن الصغيرة التى يكثر فيها عادة القيل والقال ، ويتناول فيها الافراد عامة ـ والعجائز بوجه خاص ـ تحليل الحوادث ونقد أصحابها بألسنة حداد .. هذه القرى والمدن الصغيرة تختلف اختلافا بينا عن أمهات المدن والعواصم التى لا يكاد يعرف فيها المرء أفراد الاسرة التى تجاوره فى العمارة التى يسكنها

وليست التقاليد والعادات وحدها هى التى تؤثر فى نظرة الزوج الى زوجته العاملة ، بل ان حالته النفسية وانفعالاته عامل هام تتوقف عليه هذه النظرة ، وقد وجد بالاختبار ان الرجل الضعيف الذى يشكو من مركب النقص ، هو الذى يزعم ان فى اشتغال المرأة بكسب الرزق هدرا لعزته ، ووجد كذلك ان علاقة الرجل بزوجته بوجه عام تحدد ارتياحه أو استياءه منها ، بسبب عملها .. فالرجل الذى يشعر أن زوجته له ، وانه يمتلك قلبها وعاطفتها ، وانها خاضعة له بدنيا ونفسيا ، قاما يغار عليها أو يريبه عملها ، وعلى النقيض من ذلك ، الرجل الذى يشعر فى قرارة نفسه ان زوجته لم تكن يوما « ملكا » له بكل معنى الكلمة

وكثيرا ما يتزوج الرجل الضعيف من امراة قوية

الشخصية ، تسد حاجته وتكون سندا له ، ماليا ، واجتماعيا ، ومع ذلك قد ينقلب عليها فى النهاية ويتهمها بأنها تتحدى رجولته ، ومن هذا يتضح ان مشكلة المرأة العاملة حتى فى أكثر البلدان حضارة أعقد مما يظن ، غير انه يمكن أن يقال بوجه عام ان الزيجات الناجحة فيما يتعلق بالمرأة العاملة ، تتطلب عادة أن يكون الرجل قوى الشخصية ، مطمئنا على حياته ومستقبله من الناحيتين : الاقتصادية ، والمالية ، فضلا عن تأكده وشعوره فى قرارة نفسه انه صاحب السلطة العليا فى بيت الزوجية من كل الوجوه ، أو أن الشركة بينه وبين زوجته العاملة ، ليس فيها رئيس أو مرءوس

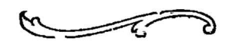
وقد تبارك التقاليد المرأة العاملة ، ولا يشعر الزوج بغضاضة أو مس بكرامته أو امتنان على رجولته ، ومع ذلك يثير الوضع مشاكل عديدة ، هذه بعضها : كم يكون نصيب المرأة العاملة وما ينبغى أن تساهم به فى نفقات الاسرة الشهرية ؟.. هل من حقها أن تنفق من مرتبها على الكماليات ، اذا كان زوجها لا يوافق على ذلك ؟ .. هل من حقها أن تطالب زوجها بتحديد «مصروف الجيب» الذى يسمح له به ؟ .. هل من حقها أن يكون لها حساب خاص فى البنك ، أم تضم مرتبها لمرتبه ليكون متاعا مشاعا ؟ ..

وهناك مشكلة أخرى أدق من الاتفاق على المسائل المالية ، لانها تمس وترا حساسا فى طبيعة الرجل ، ألا وهى علاقة الزوجة بزملائها الذكور فى العمل ، الى أى حد ينبغى أن تبلغ الالفة بينها وبينهم ؟ .. وماذا تكون علاقة الزوج برئيسها أو بعض زملائها ، اذا اقتضت التقاليد تبادل الزيارات ؟ .. وكيف يقضى كل من الزوجين أوقات الفراغ ، اذا لم تتفق ساعات العمل بين

الزوج والزوجة العاملة ؟ .. هل لها أن تصحب احدى صديقاتها أو أحد أقاربها من الذكور الى السينما مثلا ؟ .. وهل له أن يفعل ذلك ؟ ..

الواقع ان أكثر المشاكل التى تنشأ عن وضع الاسرة التى تضطر فيها الزوجة للعمل ــ أو تعمل بمحض اختيارها ــ يمكن حلها حلا مرضيا ، طالما كان السلام بين الزوجين مستتبا ، وطالما كانت أواصر المودة والوفاق وثيقة ، ولسنا ننكر ان للشخصية والامزجة أحكامها كما قلنا ، بيد ان هناك ظروفا ، يكون فيها الزوج ضعيف الشخصية ، ومع ذلك يستطيع التوفيق بين ما يترتب على اشتغال المرأة بعملها وبين ما بينه وبينها من التفاوت فى المنزلة ، كما ان هناك ظروفا يكون فيها الزوج قوى الشخصية ، ثابت العزيمة مستقر العاطفة ، ومع ذلك يجبن أمام المصاعب التى يواجهها بسبب وضع الزوجة العاملة

ومن المسائل التى تقف الزوجة العاملة أمامها حائرة ، كفها عن العمل ــ كلية أو جزئيا ــ بسبب انجاب الذرية ، أى فى الوقت الذى تزداد فيه النفقات ، خصوصا اذا كان دخل الزوج محدودا



الفصل العاشر

التوافق الجنسى فى الحياة الزوجية



ترويض الدافع الجنسى

لعل من أهم ما يجدر بالازواج ادراكه ، ان العلاقة الجنسية بين الزوجين فى المجتمع الانسانى ، تختلف عن مثلها فى الحيوان ، فى انها لا تقتصر على المستوى الجسدى والفيزيولوجى ، ولكنها تتضمن الكثير من الآراء ، والمعتقدات ، والتقاليد ، والعادات ، والقيم ، والاتجاهات التى تغلغلت فى النفس منذ الطفولة الى سن الحلم والمراهقة وما بعدها . وبتعبير آخر ، ان كل دافع جنسى تصحبه عناصر سيكولوجية

ومن الخطأ أن يقال ان الاستجابة للغريزة الجنسية ، كالاستجابة لغيرها من حاجات الجسد ومطالبه ، كالجوع والعطش مثلا . ان المسألة ليست بهذه البساطة .. أى ان هناك طبقة عليا فوق الطبقة الجنسية ، أطلقنا عليها اسم السيكولوجية أو النفسية ، وقلما توجد الاولى بغير الثانية ، الا فى الحيوانات ، وربما فى السفلى منها . كل ما يحدث أحيانا أن تشتد العناية بالمستوى الجسمانى أو الفيزيولوجى ويهمل النفسانى (١)

ولما كانت العلاقات الجنسية بين الزوجين بالغة الاهمية ، فلا سبيل الى التوافق الجنسى بينهما ، بغير تفهم العنصر النفسانى الذى هو كما قلنا أعلى مستوى من الجسمانى ، وهو الذى يميز الانسان من الحيوان فى هذه الناحية

---

(1) Edmund Bergler, «Unhappy Marriage and Divorce», Univ. Press N. Y. 1946. Page 16.

ولنضرب للقارىء مثالا لدافع بدنى غاية فى البساطة ، الا وهو التبول ، أى تفريغ المثانة البولية : تكون هذه العملية الفيزيولوجية فى الطفولة المبكرة (من ١٨ شهرا الى سنتين) انعكاسية محضة ، اى فعلا منعكسا ، عند امتلاء المثانة ، أى ان أعصابا حسية معينة تحمل رسالة الى المراكز المخية ، فالاعصاب الحركية التى تنشط العضل فى المثانة فتفرغ محتوياتها ، ومعنى هذا انها عملية ميكانيكية ، غير أن هذه العملية تصبح قابلة للترويض أى رهينة الاشارة ، عند نضوج المراكز المخية العليا . ومن المعلوم أن الجهاز العصبى مزود بأقواس عصبية من أسفل الى أعلى ، وعندما تؤدى الاقواس العليا وظيفتها ، تشرف على الاقواس السفلى ، فالتبول اذن ، خاضع للأقواس العصبية السفلى فى الحوض ، ثم بعد ذلك مراكز الدماغ العليا

وتخضع الوظيفة الجنسية لهذا النظام ، الا ان عمليتها أكثر تعقيدا ، ففى فترة الطفولة ، وقبل نضوج الجهاز الجنسى ، تكون هذه الوظيفة عملية انعكاسية ميكانيكية ، كما يبدو من انتصاب عضو الطفل التناسلى ، وقد دل التحليل النفسانى على ان الطفل يشعر باللذة الجنسية قبل نضوج جهازه التناسلى ، وهذا ما حدا بعلماء التربية أن يبرروا ايقاف الصغار على بعض المعلومات الجنسية تدريجا وفقا لمقتضيات الاحوال

وعند نضوج الجهاز ، بما فى ذلك الاعضاء الخارجية والداخلية ، وتكوين الحيوانات المنوية فى الذكر ، ونمو البويضات فى الانثى ، وافرازات الغدد الصماء المتصلة بهذه الاعضاء .. عند ذلك ، لا تقتصر اثارة الجهاز التناسلى على الفعل المنعكس كما فى حالة الصغار ، ولكنها تشمل كذلك العمليات السيكولوجية التى سبقت الاشارة

اليها ، وابتداء من هذه المرحلة فقط تصبح هذه العمليات بالغة الاهمية ، أى انها تصبح الصلة بين الاثارة الجنسية والاستجابة ، وكما ان الصغير بعد تمام ١٨ شهرا أو سنتين على ولادته ، وبعد ذلك ، لا يتبول (أى يسمح للمثانة أن تفرغ محتوياتها) الا بارادته ـ أى باشراف العمليات السيكولوجية ـ فكذلك الوظائف الجنسية ، لابد لها أن تكون خاضعة للمراكز العليا فى الدماغ

أثر العامل السيكولوجى

قلنا ان الآراء والمعتقدات والتقاليد والعادات ومبادىء الاخلاق وسواها ، هى ما نقصده بالمستوى السيكولوجى الذى يهذب الدافع الجنسى ويصقله ويروضه ، حتى يتفق ورغبات المجتمع الذى نعيش فيه . وتتلخص هذه الرغبات فى الاعتقاد بأن المتعة الجنسية ، ينبغى الا تكون الا بين الزوج والزوجة ، وان اشباع الغريزة الجنسية خارج الاطار الزوجى محرم ، ان لم يكن بالقانون، فبالرأى العام ، وينتج من هذا ، ان الناس عادة يكبحون جماح هذه الغريزة بكافة الوسائل ، أو على الاقل ينتظر منهم ذلك ، طالما كانوا غير متزوجين . وكلما تقدموا فى السن ، من البلوغ فما فوق ، زادت المحرمات ، واشتدت الحاجة الى ضبط النفس ، وتصبح هذه المحرمات جزءا لا يتجزأ من شخصية الانسان

وقد دل الاختبار على ان شطرا كبيرا من شخصية الفرد تتركز فى الدافع الجنسى ، غير أن أهمية هذا الدافع ودرجة اتصالها بالشخصية تتوقف على تكوين صاحبها ، أى أن هذا يختلف من انسان الى آخر . . كما انها تتوقف على أثر البيئة الاجتماعية والحضارية ، كما تتوقف على

كون صاحبها ذكرا أو أنثى ، مثقفا أو جاهلا ، متدينا ، أو اباحيا .. الخ

نظرة المجتمع الى الدافع الجنسى

الدافع الجنسى فى البلدان المتمدينة وانصاف المتمدينة ، بل فيما دونها ، تكتنفه المخاوف من كل صوب ، ويوجد فى طبيعة الانسان دافع آخر لا يقل أهميـــة وقوة عن الدافع الجنسى ، ألا وهو غريزة القتال (أو العنــــف أو التعدى على الغير أو الدفاع عن النفس أو سمه ماشئت) وبالرغم من ان هذه الغريزة أشد خطراً على المجتمع من الغريزة الجنسية ، فان الناس قلما يخافونها ، وانما هم على النقيض من ذلك يشجعونها . الا نعلم ابناءنا الملاكمة والمصارعة ، والرماية ، وغيرها من ضروب الفروسية ؟.. ألا نتزاحم على مشاهدة المباريات الرياضية لنرى فريقا يهزم فريقا ؟.. واذا فرض اننـــا فى بعض الاوســـاط لا نرحب بالقتال ، ولا نشجع أطفالنا عليه ، فان المجتمع لا يحرمه ، وأكثر من ذلك اننا لا نمتنع عن مشاهدة جرائم القتل ترتكب على الشاشة الفضية وفى دور التمثيـــل والاوبرا ، ومع ذلك نمنع أولادنا من التحدث عن الجنس أو مناقشته ، واذا ما أردنا امدادهم بالمعلومات عنه ، فانا نحرص على أن نوجز القول ، ونحوطه بسياج من الغموض ، ونحذر الا نسمى الاشياء بأسمائها ، ونكاد نعتـــذر ، ونهمس ، وتحمر وجوهنا خجلا

ولعل سبب هذا التفريق ، ان المجتمع يريد أن يكون النسل خالصا نقيا ، أو لعله يعتقد أن ترويض غريزة القتال وضبط النفس فيها ، أسهل من ترويض غريزة الجنس

وعلى هذا يلقن الكبـــار الصغار الكثير من الاباطيل عن

الجنس ، التى تظل معهم طول حياتهم .. يعلمونهم انه وحشية ، وقذارة ، ولعل ما يؤيد هذه الصفة الاخيرة فى نظر البسطاء ، ان الجهاز التناسلى يجاور جهازى البول والبراز

ويبالغ بعضهم فى أمثال هذه الاعتقادات ، حتى تصبح العلاقة الجنسية محرمة بين الزوجين ، الا لغرض انجاب الذرية ، وكثيرا ما يحرم على الزوجة ابداء ما يشتم منه مشاركة زوجها فى المتعة الجنسية ، أو ابداء رغبتها فيها. ومن الامهات فى بعض الاوساط من يعلمن بناتهن منذ الصغر ان استجابتهن للجنس ما هى الا واجب هدفه ارضاء شهوة الزوج البهيمية ، وليس لاستمتاعها به

وفى كثير من الاحوال تكون نتيجة التناقض والصراع بين المستوى الجسدى أو الفيزيولوجى فى الدافع الجنسى والمستوى السيكولوجى ، اصابة صاحبهما بمرض نفسى ، وقد أسهبنا فى توضيح هذه النقطة ، ليدرك القارىء الذى يفكر فى الزواج أو الشروع فيه ، ان الدافع الجنسى فى الانسان لا يقتصر على المستوى البدنى ، وانما يشمل المستوى النفسى الذى تتجمع فيه القيم الانسانية ، والمعتقدات والتقاليد والمبادىء الخلقية والدينية

الجنس الآخر

هناك فوارق بيولوجية وسيكولوجية بين الذكور والاناث .. ومن واجب الزوجين الوقوف على أهم هذه الفوارق ..

فيما يتعلق بالذكور .. يشعر الرجل بالرغبة الجنسية من مرتين الى ثلاث مرات أسبوعيا فى المتوسط ، الا أن هذا العدد ينقص ويزداد تبعا لتكوين الرجل ، وسنه ، وتشتد هذه الرغبة عادة فى سن المراهقة ، وتقل تدريجا الى أن تهبط كثيرا فى مرحلة الشيخوخة ، بيد أن هناك

ضابطا ، اذ تتجاوز هذه الرغبة العشرة أو تهبط الى المرة أو أقل . ومن المعلوم ان الحيوانات المنوية بعد البلوغ تتكاثر بسرعة فائقة ، وعندما تتراكم الملايين منها ، بسرعة ١٠٠ مليون في اليوم ، تتسرب الهرمونات الجنسية الى مجرى الدم ، فيحس صاحبها بالميل للتعبير الجنسي ، وهذه الحالة لا تتطلب الوعي أو التفكير في الجنس ، وذلك لان الحيوانات المنوية تتكاثر ، أردت أم لم ترد

وللاناث دورات تبدو فيها الرغبة للتعبير الجنسي ، ولكنها ليست مطردة بعكس اناث الحيوانات التي تكون الدورة الواحدة فيها واضحة وشديدة الوطأة ، فسرعان ما يفرز مبيض الحيوان البويضة ، حتى يبدو نشاطه الجنسي واضحا لا هوادة فيه ، ومثله يحدث لبعض النساء ، لا كلهن ، قبيل دورة الحيض وبعدها بقليل ، ولسنا ندرى اذا كانت هذه الظاهرة فيزيولوجية أم لا

وتكاد الرغبة الجنسية في الذكر تكون «محلية» محضة أي محصورة في منطقة الاعضاء التناسلية الرئيسية ، والطفيف منها في المنطقة الثانوية ، كالشفتين مثلا . أما الانثى ، فتكاد هذه الرغبة تنتشر في كل أجزاء جسمها . ولعل هذا الفرق ، يعزى اليه سرعة الرجل في بلوغ ذروة المتعة الجنسية في الجماع وبطؤها في المرأة . ويلاحظ بهذه المناسبة أن تربية الفتاة منذ الصغر من الناحية الجنسية ، يتوقف عليها هذا البطء أو هذه السرعة ، فكلما كانت تربيتها مصحوبة بالاعتقادات السالف ذكرها من حيث قذارة الجنس ودناسته وحيوانيته ، كانت بطيئة في استجابتها وبلوغها الذروة ، والعكس بالعكس

ومن الفوارق السيكولوجية ان الرجل في اتصاله الجنسي ، لا يشعر باللذة وحسب ، وانما يتضمن عمله

السيادة على المرأة ، كما ان المرأة تتضمن مساهمتها فى هذا العمل الخضوع للرجل . ويختلف العلماء فى تعليل هذه الظاهرة .. فهل هى طبيعة فى المرأة تولد بها ، وكذلك فى الرجل ؟.. أم هى نتيجة التقاليد والعادات ، ونظرة المجتمع الى الرجل وكونه راس المرأة وانه خلق ليسود عليها ؟ .. الواقع اننا لا نستطيع الاجابة عن هذه الاسئلة .. كل ما يمكن أن يقال ان فى العملية الجنسية بالذات ما يدل على ان الرجل يعطى ، والمرأة تأخذ أو تستقبل .. وفى هذا كما هو واضح ، السيادة للرجل والخضوع للمرأة

وهناك فرق بين الرجل والمرأة فى نظرتهما الى الجنس ، يعزى الى خبرة كل منهما به لاول مرة أو للمرات القليلة الاولى ، فهى عند الرجل سارة ممتعة ، اللهم اذا كان يشكو من علة بدنية أو نفسية ، لاسيما العنه ، وعلى النقيض من ذلك المرأة فان أولى خبراتها بها أليمة ، وقد تسبب لها المتاعب فضلا عن الاشمئزاز أحيانا . وتزداد هذه الخبرة سوءا ، اذا كانت المرأة قد نشأت على الاعتقاد بأن الجنس دنس واثم ، وغير ذلك من الاوصاف التى تبعث فى نفسها الخوف ، وزيادة على ذلك ، فان الفتاة عند بلوغها سن الحلم تختبر العادة الشهرية لاول مرة ، وهى دورة يصحبها الالم والخوف والتلوث ، فى حين ان الذكر يجد فى خبرته الاولى لذة ومتعة . هذا والعملية الجنسية عند الذكر حادثة تنتهى فصولها بانتهاء تلك العملية ، وعلى خلاف ذلك عند الانثى ، انها بداية لحوادث أخرى ـ أو ان صاحبتها تتوقع تلك الحوادث على الاقل ـ وهى الحمل ، والولادة ، والرضاعة ، وهكذا .. وقد تكون هذه غير مرغوب فيها فى بدء الحياة الزوجية

وليس ثمة من ريب اذن ، ان العملية الجنسية عند

المراة لا تخلو من القلق والخــوف ، ولها مضـــاعفات فيزيولوجية ونفسية لايستهان بها ، وذلك بعكس الرجل الذى يجدها غاية فى البساطة ، ولعل هــذا يفسر لنــا ما تتصف به المرأة من التمنع والتروى ، وضبط النفس، وتقديم قدم وتأخير أخرى قبل الاقدام على هذه العملية أو تلبية رغبة الرجل ، ولهذا السبب نفسه نجد المرأة فى الـكثير من الاحيان لا تستجيب للرجل الا اذا كانت تشعر بحبه له ، أو على الاقل انه فى حاجة اليها لشخصهــا ، لا لـكونها وسيلة لاشباع شهواته . ويندر من الرجال من يتصف بهذه الفضيلة ، فالاكثرية منهم يغلب عليهم اتخاذ المرأة وسيلة لا غاية فى هــذه الناحية ، ان المرأة تستجيب لزوجها عن طيب خاطر ، طالما كانت تشعر نحوه بالحب والاحترام ، واذا كانت أحيــانا هى التى تطلب الاتصال الجنسى ، فانها انما تفعل ذلك لتؤكد لزوجها انها تحبه ، لا لارضاء شهوة جنسية فيها

الجنس والحياة الزوجية

قلما تجد كتابا علميا عن الزواج خاليا من الإشارة الى العلاقة بين السعادة الزوجية والشبع الجنسى أو الارتياح من الناحية الجنسية ، وقد أجمعت الآراء على أن العلاقة الجنسية عامل هام فى نجاح الحياة الزوجية ، أما درجــة هذه الاهمية فتتوقف على شخصيــــة كل من الزوج والزوجة . ومهما يكن من شىء ، فان خلو الحياة الزوجية من العلاقات الجنسيــة السليمة ، معناه وجود ثغرة فى سعادة الزوجين ، أو كما قال أحد العلمـــاء : « الجنس وحده لا يمكن ان يكون مسئولا عن السعادة أو الشقاء ، ولـكن السعادة أو الشقاء تنعكسان من خــلال العلاقة الجنسية » ، أو بتعبير آخر ان الجنس « ترمومتر » شديد الحساسية ، ولـكنه غير معصوم من الخطأ

ويجمل بنا أن نثبت هنا رأيا آخر فى هذا الموضوع ، استقاه صاحبه من دراسة واسعة النطاق ، هــذا ملخصها : (١)

« ان ما لدينا من المعلومات التى استقيناها من مجموعة كبيرة من الازواج ، لا يؤيد الاعتقاد الشائع بين الناس ، من ان السعادة الزوجية توجد عادة فى التوافق الجنسى ، بل الواقع ان دراساتنا تدل على ان العامل الجنسي لايزيد أهمية عن مجموعة العوامل الاخرى المتعلقة بشخصيــة كل من الزوجين وماضيه ، ان لم يكن اقل اهمية منها . ومما يزيد المسألة تعقيداً ، ان شهادة الازواج وما يدلون به من المعلومات بخصوص التوافق الجنسى بينهم ، يبدو فيها أثر التوافق السيكولوجى ، ويفهم من هــــذا ان الزوجين متى كانت العوامل النفسية بينهما على ما يرام ، تغاضيا عما قد يكون هنــاك من العيــوب الجنسية ، أو تسامحا فيها على الاقل ، فلم تعــد مســألة ذات شأن . وبعكس ذلك اذا ساءت العلاقات السيكولوجية ، بالغ الزوجان فى التهويل والشكوى من القصور فى العــلاقات الجنسية ، والتمسا الاعذار فى اتهام الواحد الآخر »

هــذا ما استنتجه الاستاذ الكبير دكتور ترمان ، أما كنزى الشهير ، فانه بعد دراسة تناولت ستة آلاف زواج وثلاثة آلاف طلاق ، لخص بحثه فى كتابه « الســـلوك الجنسى للرجل » فى العبارات الاتية :

« ان عدم التوافق الجنسى بين الطبقات الاجتماعيــة العليا يعزى اليه ثلاثة أرباع العوامل التى تؤدى للفرقة ثم الطلاق . وقد تبين أن دوام الزيجات التى تسوء فيها العلاقات الجنسية ، لا يتأتى الا بشق النفس ، ولا بد من

---

(1) Lewis Terman, «Psychological Factors in marital Happiness, Mcgrow Hill, N.Y. Page 376.

توافر الـكثير من عناصر العزم والمثل العليا ، قبل الابقاء على الحياة الزوجية بين زوجين شابت التوافق الجنسى بينهما شائبة ، ويستخلص من هذا ان العامل الجنسى فى الزواج بالغ الاهمية »

ويمكننا القول بوجه عام ، انه بالرغم من احتمال توافر السعادة نوعا ما ، فى زواج يخلو من الاتصال الجنسى ، أو تشوبه شائبة ، فالواقع أن هذه السعادة لا يمكن أن تكون وافية بالمرام . والكثير من الازواج لا يقبل البقـــاء على هذه الحالة ، وقد تكون العلاقات الجنسية السيئة سببا أو نتيجة لصـعوبات أخـرى قائمة بين الزوجين . ومن المسلم به ان الوحدة الزوجية بين الرجل والمرأة ليست جسدية فقط ، وانما هى ما عدا ذلك نفسيـــة ، فمن الحكمة اذن الا يوضع فى سبيل التوافق الجنسى اى نوع من العقبات ، والا يهمل هذا العامل الهام فى الحيـــاة الزوجية

سؤال يتكرر

ما عدد المرات التى يتاح فيها الاتصـــال الجنسى بين الزوجين اسبوعيا أو شهريا ؟

كثيرا ما يوجه هذا السؤال الى الاخصائيين وأطبـاء العائلات ، وليس هذا السؤال مقصورا على الذين يشكون من علل أو مشاكل أو اضطرابات جنسية ، وانما يشمل الاصحاء . وبالطبع لا يوجـد جواب شـاف لذلك ، لان المسألة تتوقف على الفوارق الشـخصية بين الافـراد . ومهما يكن من أمر ، فان الاسباب التى تثير هذا السؤال تتلخص فى كلمة « خوف » ونقصد بذلك الخوف من أن يؤثر الاكثار من الاتصال الجنسى فى الصحة ، أو يستنزف معين الرجل من الطاقة الجنسـية . والواقع أن صـحة الزوج لا تصاب بسوء بسبب ذلك ، طالما راعى الزوجان

جانب الاعتدال وعدم الافـــراط الذى يؤدى الى انهاك القوى ، ولا يحدث الانهاك الذى يؤدي الى التعب ، الا فى حالة الاتصال رغم عدم وجود الميل أو الرغبة ، كما ان معين الطاقة الجنسية لاينضب بأى حال من الاحوال ، ولا يستنزف قوة الزوج ـ كما تظن العامة ـ لان عدد الحيوانات المنوية التى تنضج يوميا محدود ، ومن هنا ، كان للزوجين أن يستمتعا بالاتصـــال الجنسى ، ولا يخافا العاقبة ، طالما كانت نفساهما ترتاح اليه

والواقع ان تحديد الاجابة عن السؤال المومأ اليه ، يتوقف على الصحة العامة لكل من الزوجين ، والسـن ، وطول مدة الزواج ، وطريقة الحيـاة فيهـا ، والمهنـة ، والمبادىء الخلقية والدينية ، والتقاليد التى نشأ كل منهما عليها ، ودرجة التوافق بينهما . وقد اتضـح أن بعض الازواج الذين تنقصهم الطمأنينة النفسية ، يلجأون الى اشباع الوظائف الفيزيولوجية (أى الاتصال الجنسى) تعويضا لذلك

ومن الاضطرابات الجنسية التى لابد من علاجها لدى الطبيب الاخصائى ، ما يمكن أن نسميه « الهوس الجنسى » اى الرغبة الملحة فى الرغبـة الجنسية والانغمـاس فى الاستجابة اليها بدرجة لا يعرف صاحبها الشبع ، وهذه حالة شاذة قليلة الحدوث (١)

أثناء الدورة الشهرية والحمل

جرت العـادة عند الكثير من الشعوب أن يمتنع الازواج عن القيام بالعملية الجنسية أثناء الحيض ، على انه لايوجد دليل علمى على ان هناك ضررا من ذلك طالما

---

(١) وتدعى nymphomania اذا أصيبت بها المرأة و salyriasis اذا أصيب بها الرجل

كان الزوجان يرغبان فيه . هذا وأساس هذا الامتناع عند الكثيرين الاشمئزاز وتجنب ما ينافى الذوق السليم فى نظرهم ، أو مراعاة لعقيدة دينية معينة . كذلك يمتنع بعضهم أثناء فترة الحمل اما لان القيام بهذه العملية مناف للذوق السليم ، أو مراعاة للعادات والآراء التى تركها السلف للخلف تحريما لذلك العمل

وقد أجمع الثقاة على انه لا يضير المرأة بتاتا أن يتصل بها زوجها أثناء الحمل ، اذا اتخذت الحيطة فى الاحوال الآتية :

أولا : ينبغى الامتناع فى الفترة الثانية أو الثالثة التى اعتادت الزوجة أن تحيض فيها ، بعد الحمل

ثانيا : ينبغى الامتناع فى خلال الشهرين الاخيرين من فترة الحمل

وفيما عدا ذلك ، فليس هناك ما يمنع من ممارسة العملية الجنسية بالحرية المعتادة ، فيما خلا فى الشهور الاخيرة التى يجب مراعاة الهوادة فيها وتجنب العنف الذى يؤثر فى الجنين ، أما بعد الولادة فيجب الامتناع من ستة أسابيع الى ثمانية اسابيع

وتختلف النساء فى درجة رغباتهن الجنسية أثناء الحمل، فمنهن من تفقد الرغبة كلية بمجرد الحمل ، ومنهن من هى على النقيض من ذلك تشتد عندها الشهوة . وتعليل ذلك فى الغالب انهن كن يخشين الاتصال الجنسى بسبب الخوف من الحمل .. فلما حملن ، لم يصبح أمامهن عائق

وقد لوحظ ان الزوج والزوجة ـ فى هذه الآونة ـ تشتد أواصر الحب والمودة بينهما ، وقلما توجد آونة أخرى تشاهد فيها مراعاة كل منهما احساس الآخر والعمل على راحته ، كهذه الفترة

عدم الكفاية الجنسية

لا يتسع المقام هنا لبحث موضوع العنة ، وهو عدم قدرة الزوج على تأدية واجباته الجنسية ، وكل ما نريد أن نقوله هنا أن أكثر من ٩٠٪ من أسبابها نفسانى وليس عضويا ، وعلى كل حال ، لابد من استشارة طبيب بدنى أخصائى أولا ، فاذا لم يجد علة عضوية ، فمعناه انها وظيفية ، وهذه وظيفة الطبيب النفسانى

أما ما يسمونه البرود الجنسى عند المرأة ، فلم يتفق العلماء على تعريفه بالضبط ، ولعل أكثر أنواعه شيوعا عدم رغبة الزوجة فى الجماع ، أو الاشمئزاز منه ، أو تأديته كواجب لا تجد فيه متعة ، وقد يكون كذلك عضويا أو وظيفيا (سيكولوجيا) ، وفى كل من الحالتين ينبغى عدم السكوت ، بل يجب المبادرة بالعلاج ، لان اهماله قد يؤدى الى تصدع الحياة الزوجية

الخلاصة

١ ـ نظرا لما ينشأ عليه كل منا ، من الآراء والمعتقدات والعادات التى يفرضها علينا المجتمع ـ اما مباشرة أو عن طريق غير مباشر ـ فان الاتصال الجنسى ليس مجرد امتزاج جسدين ، انما هو يتضمن فوق ذلك عناصر سيكولوجية

٢ ـ كثيرا ما يصادف الفرد الوانا من التربية السلبية قبل الزواج ، تؤثر تأثيرا سيئا فى الحياة الجنسية بعد الزواج

٣ ـ يتطلب التوافق الجنسى بين الزوجين الماما تاما بالفوارق بين تكوين جسم كل منهما ووظيفته ، كما يتطلب الماما بنشأة كل منهما وتربيته ، ومراعاة هذه الفوارق هنا وهناك فى معاملة الواحد للآخر

٤ ـ اختلفت الآراء فيما يختص بدرجة أهمية الجنس فى الحياة الزوجية ، ومهما يكن من شيء ، فان أقل ما يمكن أن يقال فى هذا الموضوع ، ان الزواج الذى لا تكون فيه العلاقة الجنسية مرضية ، وبالاحرى اذا كانت متقطعة ، لا يمكن أن يكون زواجا مثاليا

٥ ـ نظرا لتعقد العملية الجنسية ، فان ما يحوطها من المشاكل ، وما قد تسببه من العوائق فى سبيل السعادة الزوجية ، لا عداد لهما

٦ ـ كثيرا ما يعجز الزوج ـ وأكثر من ذلك الزوجة ـ عن بلوغ الذروة فى العملية الجنسية ، وفى هذه الحالة ، قلما يكون السبب عضويا (بدنيا) ، بل يغلب أن يكون وظيفيا (نفسانيا) ، وقد تعود المياه الى مجاريها اذا كانت الاسباب طارئة ، والا فلا بد من استشارة طبيب الامراض النفسية

٧ ـ حالات « العنه » فى الزوج ، والبرود الجنسى فى المرأة ترجع أكثر من ٩٠ ٪ منها الى حالات نفسية ينبغى المبادرة بعلاجها



الفصل الحادى عشر

الانسجام والعلاقة الزوجية



أسطورة الانسجام التام !

علمنا مما تقدم فى الفصـــول السالفة ان الزوج له شخصيته التى تميزه عن سواه ، وكذلك الزوجة ، وانه لا يوجد اثنان فى الوجود ، حتى التوائم الشقيقة ، يتفقان فى كافة الصفات والسمات البدنية والعقلية والوجدانية. وعلمنا أيضا ان الزواج يفترض فيه ادماج شخصيتين ، لتتحدا وتكونا « شخصا » واحدا . وفى هذا الفصل نريد أن نبين ان هذا الادماج لا يمكن أن يؤدى الغرض المقصود منه ، ما لم تصحبه صفة أخرى بالغة الاهمية ، الا وهى الانسجام . وهيهات أن يتم هذا الانسجام ، ما لم يحاول كل من الزوجين منذ بدء الحياة الزوجية ، أن يغير ما فى نفسه فىحدود المعقول والمستطاع ، حتى تصبح شخصيته ملائمة للآخر

واذا تأملنا مليا فى التقليد المعروف باسم « شـــهر العسل » ، أدركنا ان الحـــكمة منه محاولة بلوغ هـــذا الهدف . وهو الفرصة السانحة الاولى التى يبذل كل من العروسين فيها قصارى جهده فى تكييف ذاته تكييفا يلائم طبيعة الآخر ، رغبة منه فى اسعاده واشـعاره بما يرجوانه فى المستقبل من التوافق والانسجام ، وسرعان ما يشعر أحـــدهما بأن الآخر يحاول تغيير ما فى نفس شريكه ، دون أن يغير ما فى نفسـه فى الوقت ذاته ، حتى يأخذ « شهر العسل » فى الافول . ويبدو هذا واضحا عندما تقول الزوجة (مثلا) لزوجها فى صراحة : « أخشى

انك تريد منى أن أتنازل لك عن بعض شخصيتى ، دون أن تتنازل أنت عن بعض شخصيتك »

ولا ريب أن تغيير ما فى النفس ، أو التنازل عن بعض الشخصية ، توصلا الى ذلك الاندماج الذى يسوده الانسجام ، ليس بالامر الهين .. اذ لا بد من تضارب المصالح أحيانا ، وتصادم الرغبات والميول ، ولكن الرغبة الصادقة فى الوصول الى التوافق تدريجيا ، تشجع على التوفيق بين المصالح المختلفة والميول المتناقضة . فاذا لم تتوافر هذه الرغبة ، وبقيت المشاكل المتبادلة بغير حلول ، أصبح عقد الشركة عرضة للفسخ

وكلمة انسجام فى اللغات الاوربية (harmony) ، فى الاصل تعبير موسيقى ، يقصد به توافق الالحان ، وتلازم القوافى والاوزان ، وحسن الايقاع الخالى من النشاز . بيد ان الانسجام التام ، مثل أعلى لا يمكن بلوغه . ويتضح هذا المبدأ فى الالحان الموسيقية ، كما ينطبق على الشركة الزوجية .. فكما ان توافق الالحان فى الموسيقى لا يمكن أن يكون مطلقا ، والقليل من النشاز يختفى ويذوب وينصهر فى نغمات الآلات ، وجمال الاصوات ، كذلك القليل من التنافر فى ميول الزوجين ، تغطيها أواصر المودة والحب وحسن النية المتبادلة بينهما

الاحتفاظ بالشخصية

من الخطأ — بل من المستحيل — أن يحاول الزوجان ادماج شخصيتيهما ، الواحدة فى الاخرى ، ادماجا يفقد فيها أحدهما شخصيته التى ينفرد بها وتميزه عن سواه . وتتوقف درجة الاندماج ، علاوة على نية الزوجين ، على تكوين كل من الزوج والزوجة ومرونة طبيعته ، وقابليتها

للتغير والتكيف . والنجاح فى هذه العملية ، معناه ايجاد توازن بين الفردية التى يردد فيها أحدهما كلمة « أنا » والاندماج الذى يردد فيه كل منهما كلمة « نحن »

ولنضرب مثلا من علم الكيمياء ، لعله يلقى ضوءا على هذه النقطة ، وان كان وجه الشبه بعيدا بين الحالتين.. ذلك أن الماء كما نعلم مركب من عنصرين : هما الاوكسيجين والهيدروجين ، كل منهما غاز يختلف عن الآخر ، اذا كانا مفترقين . فاذا امتزجا بنسبة جزيئين للهيدروجين وجزىء للاوكسيجين ، كونا السائل الذى نسميه ماء . فنرى فى هذه العملية تغييرا كيميائيا ، بمعنى ان لكل من العنصرين فى حالة الافتراق خواص معينة تختلف فى كل منها اختلافا تاما ، فاذا ما امتزجا أصبح للمزيج خصائص لم تكن فى اى واحد من العنصرين .. كما نرى أيضا ان واحدا من هذين العنصرين لم يفقد خواصه ، اذ فى وسع الكيميائى أن يحلل الماء ، فيعود كل من جزئيه غازا تعود معه خصائصه . اى ان ما نستخلصه من هذا التشبيه ، أن التغيير الذى يحدث فى كل من الزوجين بسبب الزواج ، لا يفقده شخصيته . وكل محاولة من أحدهما يراد بها أن يخلق من الآخر شخصا على صورته هو ، انما يسرع فى هدم عش الزوجية

عوامل السعادة والشقاء

تدل الدراسة على أن الزوجة السعيدة تتصف بحسن معاملة الآخرين ، ولا تثير الحوادث غضبها بسهولة، ولا يهمها رأى الناس فيها ، ولا تحاول أن تظهر أمامهم تفاوتا فى الافراد ، وثمة حالات استثنائية لا تقع تحت

بمظهر تمتدح لاجله ، ولا تنظر الى علاقاتها الاجتماعية مع الغير نظرة المنافس . ومن صفاتها التعاون ، ولا يضيرها أن تكون مرءوسة للغير ، أو أن تتقبل النصيحة منهم . ويهمها أن تكون نواحي نشاطها مدعاة لسرور الآخرين ، ومساعدة الضعفاء والمحتاجين . ومن صفاتها حب الاتقان والنظام والدقة والترتيب ، وعدم التبذير ، أما فيما يتعلق بالسياسة والخلق والدين ، فانها تميل أن تكون محافظة مع حرصها على العرف والتقاليد . وهى بوجه عام واثقة بنفسها ، مطمئنة ، ولكن بغير جلبة أو ادعاء . وهى أميل للتفاؤل والنظر الى الحياة نظرة الامل والرجاء

أما الزوجة التى تفتقر للسعادة فى حياتها ، فتتصف بتوتر الاعصاب والانفعال ، وتقلب الطباع وتغير الامزجة ، والشعور بالنقص مع التعويض عنه بالخشونة والعنف بدلا من الجبن . وتميل أن تكون سريعة الغضب ، تحاول فرض ارادتها الدكتاتورية على الغير . واذا كانت موظفة أو عاملة ، كان دأبها سوء المعاملة ، وفى علاقاتها الاجتماعية يساورها القلق وعدم الارتياح

ومن صفاتها أن تبذل أقصى جهدها فى توسيع دائرة معارفها ، ولكنها فى ذلك تسعى لاظهار أهميتها بدلا من أن يكون مسلكها داعيا لتقريب الناس منها وتحببهم اليها . وهى فى أكثر الاحيان أنانية ، تركز اهتمامها فى نفسها ، ولا يهمها مساعدة الآخرين أو المساهمة فى الاعمال الخيرية ، الا اذا كان لها فى ذلك مصلحة شخصية

ومن نواحى النشاط التى تنغمس فيها عادة ، ما فيه خيال وخبرة « رومانتيك » وفى معاملتها للرجال شىء من الكياسة والذوق ، أما فى معاملتها للنساء فالكثير من الجفاء وعدم الذوق . وفى عملها يبدو عليها الملل والضجر والقلق ، وتمقت كل من يحرص على النظام والترتيب والدقة

والجهد ، وتكره الاعمال التى تتطلب هـذه الصفات ،
اما فى السياسة والدين والاخلاق ، فهى اميل للتطرف

***

هذا عن الزوجة السعيدة .. أما الزوج السعيد فيميل أن يكون متزنا فى عواطفه ، معتدلا . وأبرز صفاته فيما يختص بعلاقاته بالغير ، حب التعاون . وتبدو هـذه الصفة واضحة فى علاقته برؤسائه ومرءوسيه فى العمل ، وفى نظرته الى المرأة نظرة الند للند ، وفى معاملته لمن هم أقل منه حظا من الثقافة أو المركز الاجتماعى معاملة النظير للنظير . ويغلب عليه اذا وجد فى مجتمع من المجتمعات أو بين مجموعة من الناس أن يكون واثقا من نفسه ، خاليا من كل ما يشتم منه الحياء أو الخجل أو الانطواء . وعلى النقيض من الازواج الـذين يفتقرون الى السعادة فى حياتهم الزوجية ، يميل الى تحمل المسئولية والمبادءة فى كل ما تمتد اليه يداه ، والرغبة فى العناية بالصغيرة قبل الكبيرة ، والاهتمام بالتفاصيل ، امعانا فى الدقة ، فى أعماله اليومية . ومن صفاته حب النظام ، وحب كل من يلتزم فى عمله النظام . وفيما يختص بالمسائل المالية ، يميل الى الاقتصاد والحرص على ما كسبت يداه . وينظر الى الدين عادة بعين الاحترام ، ويحـرص على الآداب والاخلاق الجنسية ، ومراعاة التقاليد الاجتماعية

ويتصف الزوج الذى تنقصه السعادة فى حيـاته الزوجية ، بعدم الثبات والاتزان وتقلب الامزجة ، وتوتر الاعصاب . ويميل للشعور بالنقص الاجتماعى ، ويكره الظهور فى المجتمعات ، ويتأثر بشـدة بآراء الغير فيه ونظرتهم اليه . وهذا ما يعزى اليه الشعور بعدم الامن والاطمئنان ، والتعويض عنه باظهار السيادة على الغير فى المواضع التى يشعر فيها انه أعلى درجة من سواه . ويليه

له كثيرا أن يصدر أوامره ، ويفرض سلطته على مرءوسيه وعلى من دونه فى الوظيفة ، وعلى الاخص الاناث ، فى حين انه يتهرب من المواضع التى ينتظر فيها أن ينافس من هم أعلى منه درجة ، أو يقوم بدور ثانوى معهم . وكثيرا ما يعوض عن هذا التهرب والتخلى عن المسئولية بالانغماس فى أحلام اليقظة ، والتخيلات التى يصور فيها نفسه بطلا مغمورا . وعلى النقيض من الازواج السعداء ، يميل الى عدم النظام والترتيب فى عاداته وتصرفاته ، ولا يعنى بالدقائق والتفاصيل ، ولا ينظر الى الاشياء نظرة جدية ، وانما يعالجها كما اتفق ، ويكره الاقتصاد فى النقود ، ويحب المضاربة والمقامرة والرهان . وهو عادة لا دينى فى عقائده ، وينزع للتطرف فى السياسة والاداب الجنسية

أزواج تنقصهم أسباب السعادة

يغلب على هؤلاء أن يكونوا شديدى الحساسية ، سريعى الغضب ، كثيرى التذمر والشكوى ، يسهل اثارتهم وحملهم على الانفعال والحصول على رغباتهم بالعنف والقتال . ويميلون على الدوام الى توجيه عبارات النقد الى الآخرين ، غير مبالين بشعورهم ، ولا يهمهم أن يكون فى نقدهم ما يجرح كرامتهم . ويعبثون بالمبادىء والقوانين ويتنكرون لها ، ويتمردون اذا ما طلب منهم المحافظة على النظام . ويتأثرون بشدة بالمديح والذم على حد سواء . وتنقصهم الثقة بالنفس . ويميلون للتحكم وحب السيطرة فى علاقاتهم مع الجنس اللطيف ، استضعافا لهن ، ولا يهمهم أمر الاطفال وتربيتهم ، أو العجائز ورعايتهم ، أو المساهمة فى عمل الخير . ويغلب عليهم اغفال التقاليد المرعية فيما يتعلق بالخمر والدين والآداب الجنسية ، وكثيرا ما يتعبون أنفسهم بآراء سخيفة عديمة النفع ،

ويهتاجون لاتفه الاسباب ، وينتقلون من حالة النشوة الى حالة الكآبة ، أو السعادة والشقاء ، بغير سبب

***

ويستنتج من قائمة الشكاوى الصادرة من كل من الزوج والزوجة الحقائق الآتية :

– ان شكاوى الازواج لا تختلف كثيرا عن شكاوى الزوجات ، فكل من الفريقين يتهم الآخر بأنه يختلق أسباب النكد ، وأن أقاربه مصدر المتاعب الزوجية ، وانه يفسد الاطفال بالامعان فى تدليلهم ، وبأنه رث الهندام والمنظر ، وبأنه أكبر سنا أو أصغر بكثير ، وبأنه خائن وكذاب ويكثر من السب والشتم ، ويتصف بالكسل وسوء التصرف فى المال ، وضيق الفكر والثرثرة ، وحدة الطبع ..الخ .. الخ

التغلب على العقبات الحائلة دون الانسجام

من طبيعة الانسان انه يحاول تغيير البيئة ، حتى تلائم حالته الخاصة وهذه الطبيعة مظهر من مظاهر حب البقاء . والبيئة هذه لاتقتصر على الاشياء وحسب ، وانما تشمل الاشخاص . فمن المشاهد ان أحدنا اذا ما اضطر أن يشارك انسانا فى عمل ما ، يحاول أن يقرب آراءه وميوله واتجاهاته منه حتى لا تحول شدة الفوارق بينهما دون نجاح الشركة . فاذا كانت هذه طبيعة الانسان فلماذا نرى الزوج بعد مدة معينة ، ينسى هذا الاتجاه ولا يحاول معاملة الزوجة معاملة الشريك ؟ .. الجواب على هذا ، انه فى بدء الحياة الزوجية تكون عاطفة الحب بالغة أشدها ، فيؤله الزوجة وتكون فى نظره مثلا أعلى ، فيغمض عينيه عما يجده فيها من فوارق أو عيوب . وسرعان ما تخفت

هــذه العاطفة بمرور الزمن ، حتى يرى الزوجــة على حقيقتها ، فتتجسم أمام عينيه عيوبها ، ويأخذ فى تحليل تلك العيوب وتوجيه أشد أنواع النقد اليها ..

وليس من ينكر أن أهم أسبــاب الفوارق بين الزوج والزوجة ، فيما يتعلق بتكوينهما ، ان أحـــدهما ذكر والآخر أنثى . ومعنى ان يكيف أحدهما نفسه تكييفا يلائم الآخر ، ويوفق بين هذه الفوارق ، لا يقصد به أن يغير الزوج زوجته تغيرا يجعل من شخصيتها شخصية رجل، أو أن تغير الزوجة زوجها تغيرا تصــبح به شخصيــته شخصية امرأة . ونظرا لعقيدة بعض المثقفين فى الحضارة الحديثة ، ان الفوارق السيكولوجية بين الذكر والانثى تعزى الى الاجيال الطويلة التى عاشت فيها المرأة عبدة للرجل ، وانها لم تحرر الا حديثا تحريرا ناقصا حتى فى أشد البلدان مدنية .. لهذا السبب يزعم بعضهم ان هذا التغيير فى كل من الرجل والمرأة ممكن

غير ان هذا الزعم باطل . أولا ، لان ما تثبته الاجيال الطوال من الصفات التى تكون شخصيته ، يصبح جزءا لا يتجزأ منه ، ومن العسير انتزاعه ، لانه يكاد يكون عضوا من أعضاء جسمه . يضاف الى هذا ان لــكل من الرجل والمرأة دورا اجتماعيا يقوم به على مسرح الحيـــاة ، ويرتاح اليه ، ويفخر بتأديته . فاذا حدث ان رجلا نظر اليه المجتمع نظرته الى الانثى ، أو ان امرأة اعتبــرت فى تصرفاتها وسلوكها رجلا ، كان هذا كارثة قلما كان فى وسع أحدهما احتمالها . ومن الاقاصيص التى تروى عن فرنسى انه سمع أحد العلماء يقول : ان الفرق بين الرجل والمرأة ليس كبيرا ، فصاح قائلا : « ليحى الفرق «Vive la différence»

وهناك اعتبار على جانب عظيم من الاهمية ، جــدير

بالنظر فى التكيف بين الزوجين ، الا وهو أن يحترم الواحد شخصية الآخر التى ينفرد بها وتميزه عن سواه ، بدلا من أن يحاول تغييرها تغييرا تاما . قبل أن يحاول أحدهما القيام بأى تعديل فى شخصية الآخر ، ينبغى الاعتراف بانفراد كل منهما بشخصيته ، وبأن الفوارق الفردية من قوانين الطبيعة الانسانية . وقد برهن لنا العلماء رياضيا ومكروسكوبيا ، ان كل ذرة فى ندفات الثلج الدقيقة تختلف كل الاختلاف عن الذرة التى تلاصقها أو تبتعد عنها . ولن تجد حيوانا أو نباتا يشبه مثيله كل الشبه. ولن تجد شجرتين من أشجار النخل متشابهتين تماما . وليس ذلك وحسب ، بل انك لن تجد السعف على أحد فروعها مشابها تماما لمثله على فرع آخر . وكلما علت الكائنات فى سلم السلالات ، ظهرت هذه الفروق واضحة

وقد سبق القول انه لا يوجد اثنان من بنى البشر لا يختلفان من بعض الوجوه بعضهما عن بعض ، ولو كانا توأمين شقيقين ، بالرغم من ان كلا منهما مكون من عظام ، وعضل ، وجلد ، وشعر ، ومعدة ، وأمعاء ، وسائر الاعضاء الداخلية . فاذا كان التكوين فيما يختص بهذه الاعضاء واحدا ، فما الذى يسبب الفروق اذن ؟.. الجواب : ان كلا من هذه الاعضاء يختلف من كائن الى كائن ، ومن فرد الى فرد . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان التفاعل بينهما يختلف من كائن أو شخص الى آخر

والشخصيات مكونة من وحدات لا حصر لعددها ، وهذه الوحدات وان كانت فى أساسها متشابهة ، الا ان الفوارق بينها كثيرة . ولهذه الفوارق يعزى اختلاف الشخصيات . ويبدو هذا جليا فى العادات ، فعادة أحدنا فيما يتعلق بالاكل والشرب والقيام والقعود والضحك والبكاء وكل شيء آخر ، تختلف عن عادة الآخر

فيها ، ولما كانت كل من الوراثة والبيئة اللتين تكونان الشخصية لا يمكن أن تكون متماثلة تماثلا تاما ، كانت النتيجة ان كل شخصية فريدة من نوعها . فاذا كانت هذه هى الحقيقة ، أليس من السخف اذن أن يتوقع شاب أن يجد فتاة تشابه ميولها ورغباتها وطباعها ، ميوله ، ورغباته ، وطباعه تماما ؟.. أو أن يتوقع أن يكون فى وسعه تغيير شخصيتها تغييرا يجعلها نسخة أخرى منه ؟

والحل الوحيد اذن ، هو التكييف .. تكيف الواحد تكيفا يلائم الآخر فيما يختص بالذكاء ، والطباع ، والاتجاهات ، وفاسفة الحياة ، وأهم العادات . ومتى سلمنا بمبدأ التكييف بقى علينا أن نعرف وسائله

التسوية والتعاون

ان التعاون بالطرق السلمية ، رغم الفوارق ، ليس بالامر العسير . فكثيرا ما تتصادم المصالح الشخصية بين شريكين فى مؤسسة أو مصنع ، وقد تكون هناك آراء متضاربة بينهما عن الارباح وتوزيعها ، والخامات واستيرادها ، وغيرها من الشئون . ومع ذلك ، تجرى الامور فى أعنتها ، طالما كانت نية التعاون السلمى موجودة . وينطبق هذا القول على العلاقة بين العمال وأصحاب الاعمال ..

وهناك مثل آخر فى هذا الشأن يتفق ومقتضى الحال ، ونعنى به وجود حزبين فى بلد واحد ، أحدهما محافظ ، والآخر معارض ، فكثيرا ما نرى التعاون يكاد يكون تاما بينهما فى حين ان أحدهما يمينى والآخر يسارى . والتعايش السلمى الذى يتحدثون عنه فى هذه الايام ، يكون أسطورة لاظل لها من الحقيقة ، اذا لم نسلم باحتمال نجاحه ، رغم الخلافات الجسيمة بين الكتلة الشرقية ، والكتلة الغربية

كذلك الحال بين الزوج والزوجة .. قد تتسع بينهما الهوة فيما يختص بالسياسة ، والدين ، والتقاليد ، وغير ذلك . ومع ذلك يمكن التوفيق ، طالما كان هناك نية التعاون . ومما يسهل ذلك ، تأكيد النقط المتفق عليها والاقلال من أهمية النقط المختلف فيها ، أو تفاديها كلما كان ذلك مستطاعا . فاما أن تنجح هذه الوسائل ، وينتج عنها التسامح أو التساهل ، واعتناق الواحد مبادىء الآخر وعاداته ــ وسنقول كلمة عن كل منهما فى الفقرات التالية ــ أو تصاب بالفشل ، فتؤدى الى العداء والقضاء على الوحدة

التسامح

ومعنى التسامح تقبل الفوارق بين الزوج والزوجة تقبلا صادقا خارجا من الاعماق . ولا يعنى هذا أن احدهما يعد نفسه أوسع من الآخر افقا ، أو أشد منه ذكاء ، أو أقوى شخصية ، وأكثر نضوجا ... ليس هذا أو ذاك . التسامح الحقيقى ما كان أساسه احترام الواحد شخصية الآخر ، واعتبار ان من حق كل فرد فى الوجود ان يكون تكوينه هذا . والواقع أن التسامح من علامات النضوج .

اعتناق الواحد مبادىء الآخر

لعل هذا التعبير مجازيا ، وينبغى ألا يؤخذ بحرفيته . ان كل ما يراد به أن يتبنى كل من الزوجين بقدر المستطاع ، مبادىء الآخر ومستوياته الحضارية : تقاليد ، وعادات ، ومثل عليا ، أو بعبارة أخرى ادماجها فى حياته الخاصة حتى تصبح قيم الحياة عند الواحد مماثلة أو قريبة على الاقل منها عند الآخر . بذلك يصبح ما يحب الواحد ، وما يعطف عليه ، وما يعجب به ، جزءاً من حياة

الآخر ، فيقلده ، ويحبه ويعطف عليه ويعجب به . وقد يصبح هذا وذاك فى نفس صاحبه ، اما على مستوى الشعور أو العقل الواعى ، أو على مستوى اللاشعور أو العقل الباطن

وهذه الوسيلة من أنجع وسائل التكيف للأسباب الآتية :

أولا ـ ينتج عنها احترام الواحد للآخر ، اذ تبرهن لاحدهما أن فى شخصيته من الصفات ماهو جدير بأن يتبناها الآخر

ثانيا ـ تقوى من شخصية الآخر باضافة صفات الى شخصيته قد يكون مفتقرا اليها

ثالثا ـ تقضى على بعض أسباب التصادم أو تقلل منها ، وتضاعف من أسباب المودة المتبادلة بينهما

عقبات طارئة
وعقبات أصيلة

اذا نظرنا نظرة فاحصة الى العقبات التى تحول دون الانسجام ، وتقف عثرة فى سبيل السعادة الزوجية ، تبين لنا انها نوعان أحدهما وقتى طارىء ، والثانى أصيل عميق الجذور . أى ان أساس العقبات الطارئة أحوال مؤقتة تعرض لها صاحبها ، وأساس الثانية تكوين الانسان الطبيعى الذى ولد به

وينتج عن النوع الاول من العقبات تصرفات أحد الزوجين التى يشكو منها الآخر كالتى ذكرنا الكثير منها فى القائمة السالفة ، ومن أمثالها :

انه (أو انها) يتدخل فى شئونى الخاصة ، ينتقدنى لا تعجبه هواياتى ، يتدخل فى طريقتى فى تربية الاطفال ، لا يأخذ رأيى ، يتأخر عن مواعيد الطعام ، يهمل الاطفال ،

يكثر من القيل والقال ، لا يصحبنى معه فى نزهته ، يلجأ للسباب والشتم

وقد ترجع هذه الى أساس أعمق مما يبدو فى الظاهر ، الا انها فى أغلب الاحيان تعزى الى الجهـــل ، أو نقص المعلومات ، أو عدم الرغبة فى التفكير والتفاهم ، أو الى مزاج متقلب عرضى

أما النوع الثانى من العقبات الذى يرجع الى جـذور عميقة فى « الذات » أو الشخصية ، فينتج عنه شكاوى من نوع آخر ، ومن أمثالها :

انها (أو انه) مرهفة الحس فى كل ما يتعلق بكرامتها ، لا تميل بتاتا للأطفال أو انجاب الذرية ، الظهور حتى أمام الغرباء رثة الهندام مهملة المنظر ، حادة الطبع ، تعـامل الناس بعنف وقســوة ، مقترة فوق ما يحتمل ، تدمن الشراب ، شديدة الغيرة -

وليست جميع العناصر التى تكون الشخصية كلهـا أساسية ، ومع أن كلا من هذه العناصر له صلة بغيره ، فان بعضها سطحى ، وبعضها رئيسى أو مركزى متصــل بجوهر الشخصية وصميمها ، وتزداد هذه العناصر تعقدا فى تركيبها ، كلما اقتربت خبرات صاحبها من « الذات » أو مركز الشخصية . وكلما اقترب العنصر من المركز ، زادت الصعوبة فى تعديلها تعديلا يلائم شخصيــة الطرف الآخر . وقد ذكر أحد العلماء الاسباب التى تنتج عنهـا المقاومة فى هذا التعديل ، مرتبة حسب درجاتها ، ابتداء من الضعيف الى القوى ، وهى :

١ ـ اتجاهات الشخص وميوله المكتسبة فيما يختص بالاشياء البعيدة عن « الذات »

٢ ـ الآراء المبنية على أساس الجهل وسوء الفهم

٣ ـ الخرافات والخزعبلات

٤ ــ التحيز لآراء ومبادىء معينة

٥ ــ الآراء الراسخة فى النفس وأساليب التربية ونشأتها منذ الطفولة

٦ ــ اعتقاد الفرد فى شخصه ورأيه فى ذاته

***

وليس من السهل اجراء تعديل أو تغيير فى شخصية أخرى لاسيما اذا كانت عقبات الانسجام من النوع الاصيل، سالف الذكر . بيد أن الزوج الذى يعجز عن التغلب عليها بمفرده أو بالاستعانة بزوجته ، فى وسعه أن يلجأ الى استشارة أحد الاخصائيين الاجتماعيين الذى خبر المشاكل الزوجية ، اذا كان ذلك ممكنا

ولاشك أن كل سلوك يثير الخلاف والشكوى، يمكن أن يعزى الى باعث أو عدة بواعث. ولنضرب مثلا للباعث على اكثار انسان من القال والقيل .. ما الذى يحمله عليه ؟

قد يكون السبب أن البيئة ، أو الجماعة التى يعيش فيها ، دأبت على الثرثرة ونشر أخبار الناس والتشدق بسيرهم ، ومن الصعوبة أن يكون انسان احد أفراد هذه الجماعة وينحرف عنهم وينفرد بسلوك لا يتفق وسلوكهم . وقد يكون سبب الاكثار من القيل والقال مجرد الانتقام من شخص بسبب كراهية أو حقد أو ضغينة . وقد يكون السبب الحسد .. فبالقال والقيل يحاول الحسود أن ينال من غريمه ويحط من قدره ، حتى يعلو هو بذلك فى نظر السامعين . وكثيرا ما يشبع القال والقيل رغبة خفية فى نفس صاحبها ، وفى هذه الحالة يكون القال والقيل مرآة لنفس صاحبها أكثر منه لنفس الطرف الآخر .. فقد يكون فى نيته القيام بعمل لا يتفق والعادات أو الاداب العامة ، فينسبه الى سواه ليرى تأثيره فى سامعيه . وقد يكون

الباعث على القال والقيل الظهور بمظهر الرجل ذى الحيثية، الذى تأتيه الاخبار من كل صوب

وكثيرا ما يكون الوقوف على الباعث الذى يحمل الشخص على سلوك معين ، هو الخطوة الاولى فى سبيل الكف عنه .. فمن الناس من يكف عن الانغماس فى نشر سيرة الغير ، اذا ما أدركوا الاسباب التى تحملهم على ذلك

وتدل قائمة الاسباب التى عليها بنيت شكاوى الازواج، ان أكثرها طارىء ومكتسب بحكم العادة . لذلك كان من واجب الزوج المشكو منه أن يكف عن العادة ، أو يحدث فيها ــ على الاقل ــ تغييرا جوهريا . وتتوقف المقدرة على ذلك على نوع العادة ودرجة تأصلها فى صاحبها . وفيما يلى بعض المقترحات التى تفيد فى هذا الصدد :

١ ــ لتكن الجهود التى تبذلها فى الكف عن العادة مصدرا لفخرك ، حتى اذا ما تهاونت أو اهملت فى هذه الجهود شعرت بأنك تعمل على الحط من كرامتك

٢ ــ فكر فى السبب الحقيقى الذى يحملك على الكف عن العادة أو تعديلها . وقد وجد أن التركيز فى سبب واحد خير من الانتقال من سبب الى آخر ، والرجوع من هذا الآخر الى ماقبله . مثال ذلك اذا أردت ابطال التدخين، فكر فى أن الباعث على ذلك صحى .. فمواصلة التفكير فى هذا الباعث الصحى خير من الاتجاه الى غيره من البواعث كتوفير المال مثلا

٣ ــ رتب الاشياء ترتيبا يجعل ممارسة العادة مدعاة لنتائج لا ترتاح لها النفس : آلام بدنية ، فضيحة ، الحط من الكرامة

٥ ــ حاول ان تأتى العمل اللاارادى اراديا .. مثال ذلك حالة التلعثم أو التهتهة ، فقد وجد بالاختبار أن الشخص اذا حاول أن يتهته من تلقاء ذاته أى اراديا ،

ساعده ذلك على التحكم فى الجهاز الصوتى والتغلب على التهتهة اللاارادية

٦ ــ أذكر لاثنين أو ثلاثة أو أكثر من أصـــــدقائك أنك عقدت النية على الكف عن العادة ، وخشية منك أن يعيرك اصدقاؤك اذا لم تبر بوعدك وتنفذ ما صممت عليه قد تضاعف الجهد فى التغلب على العادة



الفصل الثانى عشر

الزواج وتنظيم النسل



ضرورة تنظيم النسل

يتناول بحث هذا الموضوع شقين ، أحدهما عام يهم علماء الاقتصاد الذين يدرسون مشكلات السكان ، وما يتصل به من المجاعات التى يعانيها العالم ، والتى تزداد شدة عاما بعد عام . وثانيهما خاص ويهم الافراد قبل كل شيء ، وان كان للعلماء فى كل فرع من فروع الفكر الانسانى ، نصيب يذكر من الاهتمام به

ومع أهمية الشق الاول ، فان حديثنا فى هذا الفصل سيقتصر على الشق الثانى ، لأنه وثيق الاتصال بالزواج والثقافة الزوجية . فمن المعلوم أن الشاب الذى يقدم على الزواج فى هذا العصر الذى تشتد فيه المنافسة على كسب الرزق ، وتكثر فيه المطالب ، لا يفكر مرة فى البحث عن شريكة الحياة ، بغير أن يفكر مليا وجديا فى المسئوليات التى تترتب على هذه الشركة ، وفى مقدمتها الاطفال . ولسنا نبالغ اذا قلنا ان نسبة كبيرة من العزاب يترددون فى الزواج ويحجمون عنه ، خوفا من الالتزامات التى لابد من القيام بها نحو الذرية

والناس فى العالم المتمدين اليوم فريقان ، أحدهما يدعو لتنظيم النسل ، والاخر يعترض على ذلك لاسباب بعضها دينية وبعضها فيزيولوجية وبعضها اجتماعية .. غير أن الاحصاءات تدلنا على أن الكفة الراجحة فى صالح التنظيم . وتزداد الكفة رجحانا عاما بعد عام ، بفضل

التقدم العلمى من جهة ، والتفاقم مشكلة السكان من جهة أخرى

والسؤال الذى يواجهه كل زوج اليوم هو : هل أترك مسألة النسل للصدفة والاقدار ، أم أضع لها نظاما خاصا وتصميما ، كما أضع نظاما لميزانية الدخل ؟ وللاجابة عن هذا السؤال ، لابد لنا أن نضع أمام أعيننا ما لدينا من المعلومات فى هذا الموضوع ، مستقاة من مصادر يوثق بها . وعلى ضوئها نترك القارىء حرية الاجابة عن السؤال بما يستنتجه منها

تنظيم النسل فى العالم المتمدين

بانتشار الوسائل المختلفة لمنع الحمل ، هبطت نسبة المواليد فى البلدان والجماعات التى أخذت بهذه الوسائل ، ويغلب أن يكون سكانها من الطبقات الاجتماعية ذات الدخل المرتفع ، ومن ذوى المهن الراقية ، وممن فازوا بنصيب وافر من التربية والثقافة ..

واذا أخذنا احدى مدن ولايات أمريكا المتحدة قياسا ، وجدنا فى مدينة انديانوبوليس « عاصمة ولاية انديانا » ، أن ٩٠ ٪ من سكانها المتزوجين يلجأون الى تلك الوسائل بعد الحمل الاول ، وأن كل طلبة الجامعات والكليات يلمون الماما تاما بهذه الوسائل . ومما حدا الى شدة الاقبال على تنظيم النسل مااتضح أخيرا من أن هناك فترة مقدارها خمسة أو ستة أيام فى منتصف الفترة بين دورتى الحيض ، يمكن الامتناع فيها عن الاتصال الجنسى بين الزوجين ، اذا شاءا عدم الحمل ، لان فيها تكون بويضة المرأة مستعدة للتلقيح . وفيما عداها لا يحتاج الازواج الى الاستعانة بتلك الوسائل . ويقول الاخصائيون أن الازواج الاذكياء الذين فى وسعهم ضبط هذه المواعيد ، يمكنهم تفادى الحمل فى ٩٠٪ الى ١٠٠٪ من الحالات

ومما يدل على انتشار صناعة العقاقير والوسائل الميكانيكية لمنع الحمل فى امريكا انها انفقت فى سنة ١٩٥٢ نحو ٢٥٠ مليون دولار « ٨٨ مليون جنيه » ثمنا لهذه الأشياء

وبغض النظر عن الفوائد الاجتماعية التى تنجم عن تنظيم النسل ، لاسيما فيما يتعلق بمشكلة السكان العالمية ، فان فوائدها للفرد لاحصر لها . فمن ذلك أنه يرفع مستوى المعيشة فى الحياة الزوجية ، ويوفر أسباب الصحة ، وبواسطته يمكن مد الفترة بين الحمل والحمل فيكبر الطفل وتزداد العناية به ، وبه يتفادى الزوجان انجاب الاطفال المصابين بعاهات وراثية ، وبفضله تكون العلاقة الجنسية أدعى لارتياح الزوجين . أما من حيث الاطفال ، فان تنظيم النسل يفيدهم صحيا ، بسبب تباعد فترات الحمل كما قلنا ، ويوفر لهم الكثير من رعاية الاب والام ، فضلا عن توفير المال للانفاق عليهم ، وفوق هذا كله يتاح لهم نصيب وافر من الامن وطمأنينة الوجدان

العقبات

بيد أن الوسائل المانعة للحمل ـ سواء أكانت من العقاقير أم الوسائل الميكانيكية ـ ليست من السهولة بمكان ، فهى أولا ـ تحتاج للانفاق عليها باستمرار ، والطبقات الفقيرة التى هى أحوج الطبقات الى تنظيم النسل ، لا تستطيع كلها توفير المال (١) اللازم له . وثانيا ـ هذه الوسائل مضمونة ١٠٠٪ ، لذلك لابد من الالتجاء الى اكثر من وسيلة فى الوقت ذاته ، وهذا يزيد

(١) أصدرت بريطانيا أخيرا قانونا بموجبه تصرف مصلحة الصحة العمومية لكل زوجة الحبوب المانعة للحمل مجانا ، بعد استخراجها شهادة من طبيب

العقدة المالية شدة . وثالثا — تحتاج المسألة الى نصيب ليس بقليل من التربية والثقافة ، خصوصا فيما يتعلق بفترة الاخصاب التى سبق الكلام عنها ، لان ضبط مواعيدها لا يتسنى للجهلاء أو أنصاف المتعلمين . ورابعا — ان الجشع الجنسى تلتمس بسببه الاعذار ، فيزعم أصحابه أن بعض الوسائل الميكانيكية تحول دون المتعة الجنسية . وخامسا — البلدان المتخلفة وانصاف المتحضرة ، ليست بها هيئات خاصة لتدريب الزوجات على تنظيم النسل ، على غرار الهيئات التى تعج بها مدن أوروبا وأمريكا

اختلاف الميول

تختلف الميول الطبيعية نحو انجاب الذرية بين الازواج ، فمنهم من يريدها كثرة ، ومنهم من يريدها قلة ، ومنهم من لا يريدها بتاتا . والان وقد أنعم العلم الحديث على الناس بالقدرة على تنظيم النسل أو تحديده ، فقد أصبحت هذه النعمة فى خدمة هذه الميول المختلفة . ولا يدخل فى بحثنا هذا المرأة العزباء التى تحن الى الامومة وترغب فى الذرية رغبتها فى الطعام والشراب . انما يشمل كلامنا الازواج الذين يرغبون فى طفل بشرط أن يكون ذكرا ، ذهبى الشعر ، متقد الذكاء ، أو بعبارة أشمل ، أولئك الذين يميلون الى الذرية بشروط ليس فى وسعهم التحكم فيها . ويمكن أن يقال ان هناك ميولا سلبية وميولا ايجابية . ومن ذوى الميول الايجابية من يلتمسون العلاج الطبى فيتكبدون فى سبيله الكثير من المال والآلام والمتاعب ، أو يلجأون الى التلقيح الصناعى ، أو تبنى أطفال الغير أو سرقتهم ، كما أن من ذوى الميول السلبية من يلجأون الى الاجهاض أو التعقيم أو قتل المواليد . وفى الفقرات

التالية سنتحدث عن الاغراض التى لاجلها يرغب النـــاس فى الذرية

لمـــاذا يرغب الناس فى الذرية ؟

من البواعث التى حببت الناس فى انجاب الاطفال منذ فجر آلتاريخ والى يومنا هذا ، أنهم يساهمون فى كسب الرزق ، ويرفعون مســتوى المعيشـــة . ففى المنـــاطق الزراعية ، لايقتصر هم صغار الفلاحين على تربية الماشية ، وانما يطيب لهم كذلك الاكثار من الايدى العاملة . وقلما ينتظر سكان المدن التى بلغ فيهـــا التصـــنيع ذروته ، أن ينتفعوا اقتصاديا من أولادهم ، اللهم الا من حيث كونهم ضمانا لهم فى مرحلة الشيخوخة

وهناك الباعث الاجتماعى ، فقد جرت العادة أن تكون الاسرة مكونة من الزوج والزوجة والاطفـــال ، والنـــاس بطبيعتهم مقلدون ، ولا يرضـــيهم أن يكون للجـــار بنون وبنات ، يملأون الدار ضجيجا ومرحا صغارا ، ويتقلدون المناصب كبارا ، وهم فى بيت خلو من هذا وذاك

ومن العقـــائد الدينية ما يجعـــل الذرية فرضـــا على الزوجين ، كما هى الحال فى طائفة « المورمون » التى يعتقد أفرادها أن أبناءهم وبناتهم مستودع لارواحهم . وكمـــا هى الحال عند بعض المذاهب اليهودية التى يعتقد الذكور فيها أن الرجل الذى لا خلف له فى الطائفة ، والذى لايوجد له من يبكيه فى مماته ، عضو أشل فى مجتمع ، لاخير فيه

وفى مقدمة البواعث ، تثبيت الاوامر الزوجية . وهذا الباعث يكاد يكون عاما تشترك فيه جميع الامم .. فقددل الاختبار على أن أعلى نسب الطلاق فى الزيجات الخالية من الاطفال ، وأنه كلما زاد عدد المواليد ، قلت هذه النسبة

وهناك أسر عريقة تفاخر باجدادها ، وتبذل قصارى

جهدها فى تخليد تاريخها ، وحمل أفرادها على الاكثار من الذرية ، لتفوق الاسر الاخرى التى تنافسها فى هذا التقليد . وكثيرا ما يكون وراء الباعث فى هذه الحالة عنصر اقتصادى ، أى الرغبة فى أن تؤول الأموال بعد موت رب الاسرة الى أحد أولاده أو كلهم . ومن الناس من يريد أن ينشأ فى الاسرة محام أو مهندس أو طبيب ، لأن تقاليد العائلة دعت الى هذا منذ أجيال مضت

ونسبة تذكر من الناس ترغب فى الأطفال بدافع غريزة الأبوة والامومة ولعل هذه الغريزة أشد ظهورا فى المرأة منها فى الرجل . غير ان المرأة كثيراما ترغب فى الأطفال لا تلبية لهذه الغريزة ، وانما لاثبات أنوثتها واعلان مقدرتها على الانجاب للملأ ،خصوصا اذا كان لهامنافس من قريباتها أو جاراتها

وقد برهن التحليل النفسانى على أن الحب قد يكون الباعث الاول على انجاب الذرية ، فالمرأة التى يشتد غرامها بزوجها ترغب فى ان يكون لها منه عنوان لهذا الحب ، وكثيرا ما ترغب فى عدد كثير من الأطفال ، نتيجة هذا الحب وفى خلال الحروب تبدو هذه الظاهرة واضحة ، اذ ان كثيرا من الزوجات اللاتى لا اطفال لهن يبذلن كل مرتخص وغال فى سبيل الحمل ، خشية ان يسقط الزوج فى حومة القتال قبل ان يخلف لها لحما من لحمه ودما من دمه

وكثيرا مايكون الاطفال موضعا لخلاف مستحكم بين الزوجين ، اذا لم يوفقا بين رغباتهما . ولعل أشد وجوه الخلاف ما كان متعلقا بتنظيم النسل . فقد لا تريدالزوجة أطفالا ، اما لان غريزة الامومة عندها ليست بالقوة التى تثيرها هذه الرغبة ، أو لانها تخشى الحمل لاسباب صحية، أو لان ظروف المعيشة لا تشجع على وجود الاطفال ، أو

غير ذلك من الاسباب . وقد ترغب فى طفلين أو ثلاثة أو اكثر ، فى حين أن زوجها لا يقبل الا واحدا . وقد يكون وجه الخلاف مقصورا على الزمن الذى يتم فيه الحمل . هل يكون فى أقرب مدة ممكنة بعد الزواج ؟ أم يحسن قضاء سنوات ثلاث أو أربع بدون حمل وولادة ؟ ولعل أسباب الخلاف التى لامبرر لها ، أن الزوجين يرغبان فى الحد من عدد الاطفال ، غير أن الزوج لايروقه الالتجاء الى الوسائل الممكنة لمنع الحمل ، لانها تحول دون اشباع رغباته الجنسية . حقيقة ان طبيعة البعض قد يكون فيها ما لا يلام عليه الزوج ، الا أن عدم ملاءمة هذه الوسائل فى أغلب الحالات مجرد أوهام لا أساس لها

ومهما يكن من شيء ، فان على الازواج الذين لايستطيعون حل هذه المشاكل وحدهم ، أن يستشيروا طبيب العائلة اذا لم يكن هناك اخصائيون فى المشاكل الزوجية

ولسنا نريد أن نقف عند هذا الحد فى هذا الفصل قبل أن ننقل لقراء هذا الكتاب بعض أقوال الدكتورة مرجريت سنجر فى موضوع تنظيم النسل .

ان هذه السيدة التى طبقت شهرتها الآفاق ، بطلة من بطلات التاريخ التى ذاقت مرارة السجن والتعذيب والاهانة فى العقد الثالث من هذا القرن ، لدفاعها المجيد عن المرأة التى ترغب فى منع الحمل لاسباب شرعية ، اقتصادية أو صحية ، ودعايتها الواسعة النطاق لانشاء العيادات الطبية والنفسية لهذا الغرض ، ومؤلفاتها ومقالاتها ومحاضراتها التى لا تحصى . ولسنا نعدو الحقيقة ان كل نجاح فى هذا المضمار فى شتى انحاء العالم يعزى اليها ، حتى فى أشد البلدان تحفظا ومراعاة للتقاليد . ففى الهند مثلا ، وسكانها نيف و ٤٠٠ مليون نفس ، حركة لا هوادة فيها فى سبيل انقاذ الامة من « تخمة » السكان عن طريق تنظيم النسل ،

والاستعانة بالخبراء الاجانب لتحقيق هذا الهدف بأسهل الوسائل واقل النفقات

مصيدة الامومة (1)

هناك صنف من الامهات يمكن تسمية الواحــدة منهن « الام الولود » ، وهبتها الطبيعة قدرة عجيبة على القيام بوظيفة الامومة . فهى قبل كل شىء شديدة المراس ،صلبة العود ، قوية التكوين ، سليمة البنية. وتمتاز عن الكثيرات من بنات جنسها باستعداد طبيعى وراثى للحمل بمجرد الاتصال بزوجها . واذا ما تحدثت اليها ، اسرت اليك على الفور أن كلا من امها وجدتها ، وربما أم جدتها ، وجدة جدتها ، قد حملت ووضعت ١٠ ، أو ١٢ ، أو ١٥ مولودا او أكثر فى حياتها

ويغلب على كل من أمثال هؤلاء الامهات ، ان الطبيعة قد أغلقت عليها « مصيدة الامومة » فى سن مبكرة — قلما تجاوزت الرابعة عشرة او دونها — واكرهتها على الحمل رغم أنفها ، وقبل أن تعرف القليل أو الكثير عن واجبات الامومة والتزاماتها

وسنضع أمام القارىء قصصا واقعية لعدد من الامهات اللاتى عانين الامرين فى ســبيل الحمل والوضع ، لا على سبيل الحصر ، وانما على سبيل المثال ، فاننا اذا ما أحصينا عدد الامهات اللاتى تنطبق عليهن هــذه القصص فى عام واحد فى أمة واحدة ، لانفطرت قلوبنا حزنا على ما لاقينه من المتاعب وقاسينه من الاهوال فى حياتهن

واذا كانت البطولة الصحيحة يندر وجودها بكثرة فى شعب من الشعوب ، فان أمثال هؤلاء الأمهات جديرات بهذه الصفة . ذلك أن اكثرهن لم يدخرن جهدا أو تضحية

(1) عن كتاب Motherhood in Bondage لمرجريت سنجر

الا بذلنها فى العناية بذريتهن ، والكدح والعمل آناء الليل وأطراف النهار فى توفير الطعام واللباس والتربية لجيش جرار من البنين والبنات . والقليل منهن ندب سوء حظه ، أو تردد فى عمل كل مافى وسعه لاسعاد ذريته على حساب راحته . وينطبق هذا القول على المرأة العاملة فى المصنع ، وأختها التى تحلب البقرة وتعزق الأرض وتروى التربة فى الحقل ، علاوة على القيام بوظيفة الأمومة وتحمل مشاقها

وفى كل من هذه الحالات ، لاتكاد الأم تنتهى من عمل حتى تشرع فى آخر . وسرعان ماتفطم مولودا ، حتى تتهيأ لارضاع غيره . ولاشك أن هذه الوظيفة المزدوجة الشاقة تستنفد كل طاقتها ، وتنهك قواها فى وقت هى فى أشد الحاجة الى تربية زمرة من الاطفال ، فى مرحلة من العمر هم فى أشد الحاجة فيها الى العناية الجسدية والغـذائية والوجدانية . والأم الولود كما لايخفى لابد لها من اختزان الطاقة البدنية والنفسية والعصبية اللازمة للحمل ،وتهيئة العش الذى لابد للطائر الصغير أن يجد فيه الدفء والراحة والبعد عن كل مايعرضه للخطر

والواقع ان المرأة الولود أمة قبل ان تكون أما ، لأنهـا تتحمل ثلاثة أعباء ، كل منها أشد خطورة من الاخـــر . أولها : تصدع صحتها وانهيار بنيتها ، وثانيا : اعتـــلال صغارها لحرمانهم من عطف الأم الكافى وعنايتها لاشتغالها بزمرة منهم ، وثالثا : تعريض الجنين القادم للعلل والاخطار التى تقضى على حياته فى السنة الاولى من عمره ، أو تتركه عليلا بدنيا أو عقليا أو كليهما اذا ماكتب له أن يعيش

وسنجد فى الوثائق التالية اعترافات اليمة لأمهات بين الثلاثين والأربعين من أعمارهن ، قاسين من مشقات الحمل والولادة طوال السنين بلا انقطاع أو هوادة ، مايفوق طاقة البشر ، وتحاول كل منهن مطالبة المجتمع بايجاد حل لمـا

يصادفنه من مشاكل . وأكثر هؤلاء نشأن فى بيوت لاقت فيها أمهاتهن من عذاب الأمومة مالاقين ، وقد تزوجن فى سن مبكرة كما تزوجت أمهاتهن وجداتهن من قبل

ومع كل هذه العبودية وذلك الاسترقاق ، وما أبدينه من البطولة الصامتة والتضحية البالغة ، والسير قدما فى طريق الفناء ، فان المجتمع لم يعترف بجميلهن ، ولم يقدم لهن ماهن جديرات به من المعروف والجزاء . فأكثرهن تعضهن أنياب الفقر ، وكل حمل جديد ينذر بمزيد من البؤس وفيض من الشقاء ، فهل نعجب اذا شعرن جميعا بأن الموت خير من الحياة ؟

يؤكد لنا الثقاة من الاخصائيين فى شئون الحمل والولادة ان المرأة ، بلغ تكوينها البدنى من الصحة وقوة الشكيمة مابلغ ، يلزم ان تمتنع عن الحمل سنتين على الأقل بعد كل ولادة ، ويحسن ان تمتد هذه الفترة الى ثلاث سنوات . وتشمل الفائدة التى تترتب على راحة الأم فى هذه المدة ، الطفل المولود ، والأم ، والطفل الذى سيجىء بعد ذلك

اعترافات (١)

(١)

عمرى ٣٥ سنة ، وفى خلال الاعوام السبعة عشر فى حياتى الزوجية أنجبت ثمانية أطفال أحياء وثلاثة أموات. وقد عاونت زوجى فى مزرعتنا الصغيرة .. فعكفنا على تربية الدواجن وبيعها ، وحلب الابقار ، وبيع اللبن والزبدة والبيض . واقتصدنا من أثمانها بشق الأنفس ما أمكننا من الانفاق على أفراد هذه العائلة الكبيرة . وبين الاطفال ستة فى المدارس واثنان فى البيت . ومن الصباح الباكر الى

---

(١) من رسائل موجهة الى الدكتورة مرجريت سنجر

منتصف الليل انتقل من تهيئة الاطفال للذهـــاب الى مدارسهم ، لارضاع أصغرهم واطعام الذى يكبره ، الى حلب ست بقرات واعداد الطعام فى مواعيده ، وغســـل الثياب والاوانى ، وتفليح الأرض ، اذا سمح الوقت . وقد حدث مرة أننى فرغت من عملى فى الساعة السادســة صباحا ووضعت طفلا فى التاسعة ، اى بعد ذلك بثلاث ساعات . وهذا الطفل فى الشهر التاسع من عمره ، وانا انتفض خوفا من مجىء مابعده . فهل لك ياسيدتى أن تدلينى على وسيلة أضـــع بها حدا لهذا العـــدد من الاطفال ؟

(٢)

تزوجت منذ ١٧ سنة حينما كنت فى الخامسة عشرة من عمرى . ووضعت ثمانية أطفال ، وانتظـــر مولودى التاسع بعد شهرين . وبالرغم من اننا نعيش مع جـــد أولادى عن أبيهم ، فان مرتب زوجى ومـــرتبى لايكفيان حاجاتنا الا بالجهد وشدة التقتير . ومما يزيد الطينة بلة ، أن حماى مصاب بالشلل ، ولابد لى من العناية به عنايتى بأطفالى الثمانية . ومع كل ما أعانيه من الارهاق فى العمل الذى اكسب منه رزقى ، والواجبات المنزلية وتربيةالاطفال فاننى أحمد الله أن أولادى جميعا يتمتعون بوافر الصحة ، وان ابنى الاكبر فى الخامسة عشرة من عمــره ، وستتاح له الفرصة قريبا لمساعدتنا ماليا . على أن ما أخشاه ، أن المولود التاسع سيليه العاشر والحادى عشر الخ الخ . ولست أريد أن أتذكر اخر عدد وصلت اليه أمى من الذرية وقد جربت كافة الوسائل التى نصحنى بها جيرانى لمنـــع الحمل فلم أفلح

(٣)

اذا كان الشباب يقاس بعدد السنوات ، فأنا لا أزال فى

عنفوان الشباب والصبا . ولكنى فيما يختص بوجدانى وحالتى النفسية والصحية ، على أبواب الشيخوخة .
لقد انجبت عشرة أطفال ، أصغرهم فى الشهر الخامس من عمره ، وقد أنذرنى الطبيب ، وأمن على أقواله آخر ، اننى لن أصلح الا لخمسة مواليد أو ستة على الاكثر بعد ذلك ، اذا قدر لى ان أعيش . وقد أصبت بذات الرئة خمس مرات ، علاوة على وجود حصى فى الكلى ... ومن الغريب ان لى ست شقيقات مثلى ، وكلهن يعانين أشـد الآلام من كثرة الذرية وقد حاولت عبثا ان أستشير طبيبا لمنع الحمل ، ولكن زوجى يحول دون ذلك فى كل مرة ، لأنه يعتقد أن ذلك محرم ، ومثله كمثل قتـل المولود . وابنى الاصغر مريض منذ ولادته ، وزوجى ضعيف البنية وليس فى مقدوره مساعدتى على تربية هذا الجيش من الاطفال
ونظرا لقلة دخلنا ، فاننا نعيش فى فقـر مدقع .
وكثيرا ما أفكر فى الانتحار ، ولكنى أعود فأذكر نفسى ان فى عنقى تربية هؤلاء الابرياء الذين جنيت انا عليهم ولم يجنوا على أحد . والان وقد نفذ صبرى وانهك العمـل قواى ، فقد استمعت لنصيحة أصدقائى ، ولجأت الى منع الحمل . غير اننى أخشى ان يدرك زوجى ذلك ، بعد ان يمر أكثر من عام بغير ان تبدو على اثار الحمل كعادتى ومع ذلك فسأخفى عنه كل شيء
ولعل ما يعزينى أن جاراتى كلهن مثلى ــ أمهات لثمانية أو عشرة أطفال ــ ويقتلهن الفقر الذى يقتلنى . غير ان علتى اننى لست كجاراتى ، لان ذراعى لا تكادان تخلوان من حمل طفل حتى يجيء الثانى . والان أمامى الثلاثة الصغار ، وقلما استطيع أن اغفل عنهم لحظة واحدة
كم اشفق على احدى شقيقاتى !! انها فى الاربعين من عمرها ، ومع ذلك لها ١٢ طفلا ، ولا تزال فى طريقها الى

الثالث عشر ، ولا يعلم الا الله متى تقف عند حــــد . أخشى ان تكون المسألة وراثية ، فقد أنجبت أمنا ١٥طفلا، وأنجبت جدتى مثل هذا العدد

(٤)

انني واحدة من أولئك البؤساء اللواتى كتبت عليهن الاقدار أن ينجبوا الذرية بغير حساب . ان عمرى ٢٨ سنة لا غير ، ومع ذلك أنتظر مولودى التاسع فى غضون ثلاثة أسابيع . لقد تزوجت فى ديسمبر سنة ١٩١٢ من رجل يمثل الزوج الذى تحبه كل أمرأة ، ومع كل مايبذله من جهد لمساعدتى على تربية أولادى ، فانى عاجزة كل العجز عن ايفائهم حقهم من العنايةوحسن التربية . لاننى فضلا عن اعتلال صحتى بسبب توالى الحمل والولادة ، فان وقتى لا يتسع للقيام بعملى لكسب الرزق من جهة ، وتأدية واجباتى المنزلية ورعاية الاطفال من الجهةالاخرى

(٥)

انني أم لتسعة عشر طفلا ، أصغرهم فى الشهر العشرين من عمره ، ولم أتم بعد الثالثة والاربعين من عمــرى ، لذلك أفضل ان أموت عن ان اضع مولودى العشرين . وبالرغم من ان الاحياء من مواليدى خمسة ذكور وسبعة اناث فقط ، فانهم عبء ثقيل على ، اذ ان جميعهم حتى الكبار يعتمدون على . ومما يزيد أعبائى ثقلا أن احدى بناتى تزوجت وانجبت خمسة أطفال ، ولحقتهــــا التى تصغرها فأنجبت سبع بنات . ولم أجد من الطبيب الذى يعالجنى مايساعدنى على منع الحمل ، اذ كل مايوصينى به أن أكون حريصة فى علاقتى الجنسية مع زوجى . فهل لك من نصيحة لى باسم الرحمة والانسانية ؟

(٦)

أكتب لك هذا راجيا امدادى بمعلومات تنتشلنى من هذه الورطة التى عجزت عن الخروج منها . لقد تزوجت فى الرابعة عشرة من عمرى ، وأنجبت من الذرية ١٦ طفلا ، مات منهم أثنان ولا يزال الاربعة عشر على قيد الحياة . وليس هذا وحسب ، بل اننى انتظر حادثا « سعيدا » بعد ثلاثة اشهر ، رغم اننى ملازمة الفراش لمرضى منـذ شهرين . وقد انذرنى الطبيب باننى سأقضى حيـاتى اذا وضعت مولودا آخر ، ولكن ما العمل وانا احمل الجنـين السابع عشر ؟ اما عمرى فأقل بقليل عن ٣٩ سنة ، وقد استنزف الاجهاد كل قواى . أفليس لدى المجتمع من حل ؟

(٧)

اننى فى شديد الحاجة الى وسيلة ناجعة لمنع الحمـل فورا ، فقد اظلمت الحياة فى وجهى ، وضاق صـدرى وكدت افقد صوابى . لقد تزوجت منذ ١٧ سنة ، انجبت فى خلالها الى اليوم تسعة أطفال ، واجهضت خمس مرات . وبين مواليدى توأمان ماتا فى الشهر التاسع من عمرهما ، كما توفيت بنت فى الرابعة من عمرها . اما اصغر اولادى فعمره ١٨ شهرا . ومن اولادى ، بنت عمرها ١٣ سنة وآخر ١٧ سنة . والكل ملحقون بمدارس مختلفة عـدا اثنين . ومات لى طفل فى الشهر السابع من عمره ، وفى الوقت عينه كنت حاملا فى الشهر العاشر . وقد وضعت ٣ مرات فى ١٦ شهرا ، ذقت فيها أشد المتاعب والآلام ، من اغماء وغثيان وانهيار عصبى . وفوق ذلك كله ، فان زوجى عاطل عن العمل ، وما لدينا من المال لا يكفى لاطعام ثمانية أنفس

(٨)

لقد بدأت أكد لكسب رزقي في الحادية عشرة من عمري، وتزوجت في الخامسة عشرة ، ومنذ ذلك الحين وانا اخدم في المنازل واغسل الثياب واخيط الملابس ، لأعين زوجي على تكاليف الحياة . ومع ذلك فنحن احياء ولكنا لا نعيش. وكيف يتوافر لنا العيش ، وانا أم لعشرة اطفال . فضلا عن ان ثلاثة آخرين قد فارقوا الحياة ؟ وهل تصدقين يا سيدتي ان عمري ٣٩ سنة لا غير ؟

(٩)

لقد بذلت كل ما في وسعي لمنع الحمل ، فلم أفلح ، وهأنذا أحمل جنيني الخامس عشر بعد أن أنجبت ١٤! طفلا . يخيل الي يا سيدتي ان هذا العدد فوق طاقة البشر . ان اصغر اولادي لا يكاد يبين ، ومع ذلك فانني سأكون اما بعد شهور . ولست أدري متى اكف عن الاتيان بذرية لا سبيل الى توفير الغذاء والكساء لها ، لا سيما وأن اباهم مصاب بداء السرطان . أليس من العدالة أن اجد في عالم الطب وسيلة لوضع حد لهذه المأساة ؟

(١٠)

انني أم لاثني عشر طفلا ، وعمري ٣٤ سنة ، ومع ذلك انتظر مولودي الثالث عشر في خلال ثمانية أسابيع . ان احد أولادي قد بدأ يتعلم المشي ، في حين أن أخاه — وعمره ١٥ شهرا — عاجز كسيح . انني أحب الاطفال ، ويشاركني زوجي في ذلك ولكن ما العمل وليس لدينا من المال والصحة ما يجعل هذا الحب مثمرا ؟ كم اخشى ياسيدتي أن يستمر هذا الرقم في الزيادة ، الى أن أبلغ سن اليأس ! ! !

(١١)

لقد قرأت كثيرا عن تنظيم النسل ، ولكنى لم أهتد الى الان الى الوسيلة الفعالة . لقد مضى على زواجى ١٣ عاما ، حملت فى خلالها كل صيف ، باستثناء صيف واحد . ويبلغ الأحياء من اولادى اليوم اربعة فقط ، ولكنى أنتظر الخامس فى خلال أسبوعين . لقد جربت كل من جاراتى وسيلة واحدة لمنع الحمل ونجحت ، اما انا فجربت وسيلتين فى كل مرة ، فلم افلح . اننى لا اجد حلا لمشكلتى سوى الاجهاض ، ولكنى أخشى مايحف به من الاخطار ، فضلا عن انه عبث بالقوانين

(١٢)

اننى فى الاربعين من عمرى وقد أنجبت ١١ طفلا ، يبلغ أكبرهم الآن الثالثة والعشرين من عمره ، ولكنه مصاب بضعف العقل . وقد مات منهم سبعة ، غير أن الكبير يحتاج من العناية والجهد أكثر من الثلاثة الباقين مجتمعين وقد أنذرنى الطبيب بأن حياتى معرضة للخطر اذا حملت مرة أخرى ، ولكنه أبى أن يكتب لى ما أتقى به ذلك الخطر ، كما أن البيئة التى أعيش فيها تحرم التدخل فى الارادة الالهية وطبيعة الامومة .

***

وبالرغم من أن هذه الحالات استثنائية ، اذا قيست بالسواد الاعظم من الامهات اللاتى لا يزيد عدد ذريتهن عن أربعة أو خمسة أطفال ، فانها تدل على ما تتعرض له الام الولود من الاعياء والشقاء ، بدنيا ونفسيا ، اذا لم تنتفع بالمزايا الطبية الحديثة ، التى بوساطتها تستطيع أن ترسم خطة واضحة للانجاب وفق مقتضيات الاحوال ، كما ترسم ميزانية الاسرة وفقا لمقدار الدخل . وتشمل هذه الخطة عدد الاطفال الذين تمكنها حالتها الصحية وامكانياتها المالية

من الهيمنة على شئونهم ، كما تشمل فترات الراحة التى تلتزم بها بين كل حمل والذى يليه

ونظرا لاهمية هذا الموضوع ، سنخصص له فى الصفحات التالية شذرات من الحقائق العلمية الجديرة بكل فتاة على أعتاب الحياة الزوجية أن تكون على معرفة بها : (١)

الصحة وتنظيم النسل

لما كانت سعادة الحياة الزوجية تتوقف على ما يتمتع به أفراد الاسرة من الصحة والعافية ، ولما كانت الصحة لا تتوافر الا بتحديد عدد المواليد تحديدا يتفق وكافة الظروف التى تكتنف الاسرة ، فان أول ما ينبغى التحدث عنه ، المرأة المريضة التى يضطرها المرض أن تمتنع عن الحمل والولادة . فمن المسلم به أن الزوجة التى تشكو من علة بدنية أو نفسية ، تعرض ذاتها للخطر اذا لم تتوافر لديها الوسائل المانعة للحمل ، ولم تكن على بصيرة بمدى نجاح هذه الوسائل أو فشلها

وينطبق هذا القول على المرأة السليمة التى لا تشكو من مثل هذه العلل ، اذ أن من واجبها كذلك أن تلم بالاسباب التى لأجلها تتفادى الحمل غير المرغوب فيه ، فيما يتعلق بزمن حدوثه ، ومكانه ، أو ما شابه ذلك ، مما يجعلها هدفا للاضطرابات الصحية والعقلية فى المستقبل . فمما لاريب فيه ، أن الحياة فى هذا العصر لا تبيح للمرأة أن تواصل انجاب الذرية طوال فترة الاخصاب التى تمتد من سن النضوج الى ما فوق الخمسين من العمر ، اللهم الا على حساب سعادتها وسعادة أسرتها

---

(١) وقد آثرنا أن نقتبس هذه الحقائق من طبيبين شهيرين ، تخصصا فى شئون الزواج ، ونشرا الكثير من آرائهم فى المجلات والكتب وعلى الاخص المرجع الاتى :

Hanna Stone and Abraham Stone, «A Marriage Manual»,

يضاف الى هذا ان حياة هـذا العصر الذى تبلغ فيه المطالب أقصاها والسرعة أشدها ، لا تبيح للاطفـال أن يولدوا الواحد تلو الآخر ، فيحرم هذا من المدة الكافية لعناية الابوين ، قبل مجيء ذاك ، كما لاتبيح لهم أن يكثروا فيكونوا عبئا ثقيلا على والديهم وعلى أنفسهم . وقد شوهد بالاختبار ، أن الحمل اذا جاء على غير انتظار وبدون سابق تصميم ، كان مدعاة لقلق الزوجين واستيائهما وتعكير صفوهما ، فضلا أن المولود سيجيء غير مرغوب فيه

أمراض مانعة للحمل

من الامراض التي لأجلها يجب تجنب الحمل ، اصابة القلب أو الكلى بعلة خطرة ، أو الشكوى من السل ، أو البول السكرى ، أو اضطرابات الغدد الصماء ، أو العلل النفسية والعقلية والعصبية ، ومن الخطأ الفادح أن تقدم الزوجة على الحمل فى هـذه الظروف قبـل أن تستشير طبيبها الاخصائى . كذلك يجب الامتناع اذا كان هنـاك ما يشتم منه نقل مرض وراثى الى الجنين ، سواء من الزوج أو الزوجة . فى كل هذه الاحوال ، لابد من الالتجاء الى الوسائل المانعة للحمل ، وابقاء على الحيـاة الزوجية السعيدة ، وصحة افراد الاسرة ، ومنعا لمجيء أطفـال مصابين بعاهات بدنية أو عقلية .

فترات الراحة

ان التزام الراحة سنتين أو ثلاث سـنوات أو اكثر ، بين مولود ومولود ، جم الفائدة لكل من الأم والذرية . فقد دلت الاحصاءات على وجود ارتباط وثيق بين نسبة وفيات المواليد ، وفترات الراحة . ومن هذه الاحصاءات ما قامت به مؤسسة رعاية الاطفال فى واشـنطن ، التى تبين منها أن المواليد الذين تباعدت المسافات بينهم بنحو

ثلاث سنوات ، بلغت بينهم الوفيات ٨٦ فى كل ألف ، مقابل ٩٩ فى الالف لمن تباعدت المسافات بينهم بنحو سنتين ، و ١٤٧ فى الالف اذا بلغت المدة سنة واحدة

ويتضح من هذا أن خير وسيلة يلجأ اليها الزوج والزوجة قبل الزواج ، أو على أبوابه ، أن يلما الماما تاما بما يقوله الطب فى الحمل والولادة حتى لا يعتمدا على أقوال الجيران والمعارف ، أو يستعملا وسائل لمنع الحمل قد تعود عليهم بالضرر فضلا عن عجزها عن القيام بهذه الوظيفة

تنظيم النسل والمبادىء الخلقية

يزعم الكثيرون أن منع الحمل فيه خداع للقوانين الطبيعية ، وخروج على مبادىء الاخلاق . والرد على هذا الزعم ، فى عرف الاكثرية من الاطباء وعلماء الاجتماع ، أن الخطوات السريعة التى قطعها بنو البشر فى تحقيق وسائل الحضارة ، قامت على ما توصل اليه العقل البشرى من المعلومات والمعارف التى تمكن بها من التغلب على قوى الطبيعة. فقد غزا البر والبحر والجو ، وقرب المسافات، وأسمعنا أصوات افريقا فى أميركا ، وأوربا فى استراليا ، ورسم لنا على الشاشة البيضاء فى بيوتنا ما يجرى فى ساحة اللعب فى نادى الرياضة . ولم يقل أحد أن فى استخدام المخدرات لتخيف ألم الوضع خداعا للطبيعة . وعلى هذا القياس تكون الوسائل الطبية لمنع الحمل ، قوة أخرى اكتسبها الانسان لقهر الطبيعة والتغلب على قوانينها

ويزعم الغلاة فى العقائد الدينية أن التدخل فى أمر الحمل بأية طريقة من الطرق مخالف للدين ، أيا كانت الاسباب الداعية اليه . وتبلغ هذه المغالاه فى بعض الاوساط اتخاذ طريق يناقض قوانين الطبيعة من زاوية أخرى . ونشير هنا الى ما سبق الكلام عنه فى موضع آخر من هذا

الكتاب ، الا وهو قولهم أن كل اتصال جنسي لغير غرض الحمل عمل بهيمي مخالف للمبادىء الدينية . وبين من يحرم تنظيم النسل من يجيزه فى فترة الدورة الشهرية للمرأة ، التى يحتمل فيها الاخصاب ، بالامتناع عن الاتصال الجنسى . هذا وان نسبة تذكر من رجال الدين الذين يحرمون منع الحمل كمبدأ عام ، يجيزونه فى الاحوال التى تتعرض لها المرأة الى خطر عليها أو على المولود

وسائل تنظيم النسل

عرف الناس الوسائل الخاصة بتنظيم النسل منذ فجر التاريخ الانسانى ، وتحايلوا على الطبيعة بطرق بدائية وحشية ، منها قتل المواليد عقب ولادتهم مباشرة ، أو وأد الاناث والابقاء على الذكور منهم . ومنها الاجهاض الذى لايزال منتشرا فى جميع الامم البدائية منها وأشدها مدنية على السواء . هذا فضلا عن الالتجاء الى وسائل ساذجة فجة ، كأنواع شتى من الشراب القذر ، والمزيج المركب من شتى العقاقير السحرية ، والاحجبة والتمائم ، والكثير من الطرق الآلية التى تعرض حياة المرأة للخطر

أما الوسائل العلمية لتنظيم النسل فترجع الى العقد الثانى من القرن العشرين . هذا اذا استثنينا عصور النور عند قدماء المصريين . فقد ذكر لنا علماء الآثار المصرية أنهم اكتشفوا وصفة طبية لمنع الحمل على أوراق البردى يرجع تاريخها الى اكثر من أربعة آلاف سنة مضت . ويذكر القراء قصة الراهب العالم النمساوى مالثوس الذى نشر كتابه الشهير عن السكان سنة ١٧٩٨ ، وقد كان ناقوس الخطر الذى نبه الضمير العالمى الى هذا الفصل ، وظهر بعد ذلك كتاب آخر للطبيب الاميركى دكتور نولتون سنة ١٨٣٢ ، موضوعه « ثمار الفلسفة »

كان له أثر كبير فى انهاض الهمم للتفكير فى هذا الموضوع ، على أن المسألة لم تأخذ دورا جديا الا منـــذ الحملة التى قامت بها كل من الدكتورة مارى ستوب فى انجلترا سنة ١٩٢١ ، وهى السنة التى أنشأت فيها عيادة لمنــع الحمل وتحديد النســـل . وتلاها فى أميركا الدكتــورة مرجريت سنجر وقد سبق الكلام عليهــا . ومن المعلوم أن الراهب مالثوس لم تكن مساهمته فى موضوع هذا البحث الا عن طريق غير مباشر ، اذ أن همه كان اجتماعيا محضا ، أى أنه كان يعنى بتحديد النسل انقاذ العالم من خطر الجوع بسبب تكاثر السكان . وهو الخطر الذى لا يزال علمــاء الاجتماع والمؤسسات العلمية والثقافية ، وفى مقدمتهــا هيئة اليونسكو ، يدقون ناقوس هذا الخطر

بين حمل وحمل

تتوقف فترة الانتظار بين حمل وآخر على عدة عوامل شخصية ، منها صحةالأم ، ومقدار تحملها للحمل والمخاض والولادة . غير أن أطباء الامراض النســـائية قد أجمعــوا على أن المراة السليمة القوية البنية لا تستثنى من مراعاة فترات الراحة والانتظار هذه حتى تستعيد نشاطها وتجدد قواها ، لاسيما فيما يتعلق بغددها ـ وعلى الاخص الغدة الدرقية والغدة النخامية ـ وتتراوح هذه المدة بين سنتين وثلاث سنوات على الاقل

أما اذا تركت المسألة للطبيعة ، فان من النســــاء من لاتحمل الا بعد سنة أو أكثر بعد نهاية الحمل الذى سبقه ، فى حين أن البعض الاخر لا يمكث الا بضعة شهور . ومن المعلوم أن مبيض المراة يكف عن افراز البويضات فى فترة الحمل ، ولكنه يستأنف وظيفته بعد الولادة بقليل ، وبذا يصبح الحمل التالى محتملا . ومن المعلوم ايضا أن الحيض

ينقطع بعد الولادة مدة تتراوح بين شهرين وستة أشهر ، وتطول هذه المدة وتقصر تبعا لمدة الرضاع ، وعودة الحيض دليل على استعداد المرأة للحمل ، وان كان هذا الدليل لا يعول عليه تماما . فمن النساء من تحمل قبل استقرار الدورة الشهرية ، ومنهن من لا تكون مستعدة للحمل بالرغم من استقرارها سنة أو سنوات . كذلك لا يعول تماما على الاعتقاد السائد منذ قديم الزمان ، من أن الحمل لا يتم فى فترة الرضاعة . ولعل هذا الاعتقاد يرجع الى تحريم الاتصال الجنسى بين الزوجين فى هذه الفترة عند بعض الامم البدائية

الامتناع وسيلة فعالة

الامتناع عن الاتصال الجنسى أنجع الوسائل واضمنها لمنع الحمل ، ولكنه غير عملى .. وان كان ممكنا لبعض الازواج . وفى سجلات الاطباء حالات كثيرة لازواج درجوا على اتباع هذه الوسيلة ، ووطدوا العزم على ضبط النفس وكبح شهواتها . ومع وجود أمثال هؤلاء ، فان الاطباء وغيرهم من الاخصائيين فى المسائل الزوجية ، لا يحبذ هذا الاجراء لاسباب عدة أهمها اثنان :

أولا ــ الامتناع أو العفة التامة وضبط النفس عن ارضاء الغريزة الجنسية أمر لايمكن تحقيقه فى الحياة الزوجية السليمة ، طالما كان الزوجان فى صحة بدنية وعقلية لا غبار عليها ، وطالما كانت علاقاتهما الجسدية والروحية لا شذوذ فيها ولا انحراف . ويستثنى من ذلك طبعا أفراد قلائل ، لهم قدرة خارقة العادة على ضبط النفس ، وأولئك الذين هبطت طاقتهم الجنسية الى حد يقرب من العدم ، اما لانهم ولدوا كذلك ، أو لاسباب عارضة . وكل هؤلاء فى وسعهم أن يلتزموا العفة والامتناع كلية فترة طويلة من الزمن ، ان لم يكن طيلة السنوات الباقية لهم من الحياة .

ومثال ذلك الزعيم الهندى الزاهد مهاتما غاندى

ثانيا ــ الامتناع فى الحيـــاة الزوجية ، غير مرغوب فيه لاسباب فيزولوجية وسيكولوجية . ويدلنا الاختبار على أن رجلا وزوجته ، يعيشان معـــا تحت سقف واحـــد ، ويتبادلان حبا صادقا ، ويضمران الواحـــد للاخر شـــتى أنواع العطف والود ، ثم يحاولان رغم ذلك تجنب العلاقات الجنسية ، لابد أن يؤدى هذا التبـــاعد الصـــناعى الذى يناهض غريزة من أقوى الغـــرائز ، الى أزمات جســـدية خطيرة ، وتوتر فى الاعصاب . وتنافر فى الميول . فاذا ما امتد هذا التبـــاعد الجنسى زمنـــا طويلا ، أصيب كل من الزوجين أو أحدهما باضرار نفسية جنسية ، قد تنتهى بقصور جنسى ، أى عنة مستديمة فى الرجل ، وبرود فى المرأة ، فضلا عن احتمال تدهور فى الصـــحة بوجه عام .

ومما يجدر بالازواج عـــدم اغفـــاله ، أن العلاقة الزوجية السليمة ، والحياة الســـعيدة ، والانســـجام ، والتوافق والرضا . . كل هذه لا يمكن توافرها ما لم تكن مصحوبة باستجابة الواحد للآخر استجابة جنســـية كاملة سليمة أما الزيجـــات التى تعيش مع العفـــة والحـــرمان وكبت الغريزة ، فنادرة الوجود

منطقة الامان

يظن الـــكثيرون خطأ أن « منطقة الامان » كما يسمونها اكتشاف علمى حديث . ويقصدون بها الفترة التى تتخلل الدورة الشهرية للمرأة ، التى يحتمل أن يتم فيها الحمل . الواقع أن هـــذا الكشف يرجع الى أكثـــر من ألفى سنة مضت ، حينما ذكر علماء الطب فى الهند أن هنـــاك أياما معدودة فى كل شهر لا يكون الاخصاب فيها ممكنـــا ، أى أن بويضة المرأة لاتنضج فى خلالها ولا تفرز ، واذا فلا يكون هنـــاك مجالا للتلقيح . ومن المعلوم أن الشريعة اليهودية

حرمت على الزوج الاقتراب من زوجته فى فترة الحيض والايام القلائل التى تليه . ولعـل الحكمة فى ذلك ، انهـا فترة لا يحتمل فيها الحمل ، أو أن اليهـود منذ القـدم كانوا على الم بأيام الشهر التى لا يمكن فيها الاخصاب .
كذلك يروى لنا التاريخ عن الطبيب الاغريقى سورانس ــ وقد كان يمارس مهنة الطب فى روما فى القرن الثـانى للميلاد ــ انه كان ينصح المرأة التى لا ترغب فى الحمل أن تمتنع عن الجماع فى أيام معينة من الشـهر . وفى سـنة ١٨٨٣ نشر « كابلمان » كتابا حدد فيه الايام التى ينبغى للمرأة فيها الامتناع عن العملية الجنسية اذا لم تكن راغبة فى الحمل . ومع ذلك فان الايام التى حددوها بالذات فى المحاولات السابقة لم تكن موضعا للثقة ، لافتقـارها الى الدقة

غير أن التقدم الباهر الذى احرزه العلم فى فيزيولوجيا الجنس ، فى الاربعين سنة الماضية ، قد حفز الاطباء الى بذل قصارى الجهد فى دراسة هذا الموضوع . وفى مقدمة هؤلاء الدكتور كناوس النمساوى واجينو اليابانى . فقد وضع كل منهما ، على أسـاس ما قاما به من الدراسـة العلمية ، جدولا بأيام الدورة الشهـرية التى تسـتجيب للاخصاب . والايام التى يكون فيهـا العقم . وقد لاقت النتائج التى توصلا اليها ترحيبا من كافة الاوساط ، ومنها الجاليات الكاثوليكية ، التى أعلنت انها الوسيلة الوحيدة التى لاتحرمها الكنيسة ، لأن كل ماتتطلبه امتناع الرجل عن التقرب من زوجته فى الفترة التى يحتمل فيها التلقيح

والاسـاس الذى عليه بنيت نظـرية هـذه الفترة من الدورة الشـهرية ، عـدة افتراضات فيزولوجية .. فمن الحقائق المتفق عليها أن بويضة واحدة تنضج شهريا (الا فى حالة التوائم الشقيقة) وتفرز من مبيض المرأة ، وتحتفظ

بحيويتها ، اى قابليتها للتلقيح فترة وجيزة لا تتجاوز على الراجح ٤٨ ســاعة أو أقل . وعلى ذلك ، اذا لم تلقح فى خلال هذه الساعات ، سرعان ما تتلف ويصبح الحمل مستحيلا ، الى ان تفرز بويضة أخرى بعد مرور شهر . كذلك دلت الابحاث على أن الحيوانات المنوية بعد بلوغها الرحم أو قناة فالوب لا تعيش طويلا ، بل تفقد قدرتها على التلقيح بعد ٤٨ ســاعة أو ما يقرب من ذلك . وبعبــارة أخرى ، يتم الحمل فقط فى الساعات التى تعيش فيهــا البويضة

كيف تحدد فترة العقم ؟

ينبغى أولا الاحتفاظ بسجل للدورة الشهرية للمرأة فى خلال ستة شهور أو ســـنة للوقوف على نظام العــادة بالضبط ، الا اذا كانت الدورة منتظمة أى تسير على وتيرة واحدة لا تتغير ، أو بمعنى آخر يجىء الحيض مرة كل ٢٨ يوما . وليس ثمة طريقة يعرف بها اليوم الذى تفرز فيه البويضـــة ، ولكنه بوجه عام يكــون فى منتصف الــدورة الشهرية ، اى بين اليوم الحــادى عشر والسادس عشر ، ابتداء من اليــوم الاول للحيض . ففى أى يوم فى هــذه الفترة يحتمل الحمل . واذا أرادت المراة أن تكون أشــد حرصا ، فيستحسن الا يقربها زوجها قبــل هــذه المدة بيومين « أى اللذين يعيش فيهما الحيــوان المنــوى » ، وبعدها بيوم أو اثنين «أى اللذين تعيش فيهما البويضة» ، ومعنى هذا أن الفترة التى نخشى فيها من الحمل ، تمتد من اليوم التاسع الى الثامن عشر من الدورة الشهرية

أما فى حالة الدورة غير المنتظمة ، فمن العسير تحديد فترة مأمونة الجانب . ولما كانت نســبة النســاء اللاتى تنطبق عليهن هذه الحالة كبيرة ، فان عدد من ينتفع بهذه الوسيلة قليل . وكل ما يمكن قوله بايجــاز لهذه الطائفة

من النساء ، ان الفترة التى يؤمن جانبها هى العشرة أيام الاخيرة من الشهر ، اى السابقة لليوم الاول من مجىء الحيض التالى

وبالرغم من أن الاطباء الاخصائيين تزداد ثقتهم بهذه النظرية عاما بعد عام ، على ضوء تجاربهم ، فان منهم من تساوره بعض الشكوك فى نقط لم تدرس بعد درسا دقيقا، أو درست ولم يتوصل فيها الباحثون الى نتائج . ومن هذه الشكوك خشية البعض من أن الجماع قد يعجل افراز البويضة ، أو أن الافراز يحتمل فى بعض الاحوال أن يحدث مرتين فى الشهر بدلا من مرة واحدة

ويستخلص مما سبق انه يمكن الاعتماد على « منطقة الامان » فى الحالات العادية . أما اذا كان الحمل يعرض المراة للخطر ، فلابد من الالتجاء الى وسيلة أخرى أكثر ضمانا للنجاح

الزواج المختلط

توسع بعض علماء الاجتماع فى تعريف الزواج المختلط، فقالوا انه زواج تتباعد فيه مسافة الخلف بين الزوج والزوجة تباعدا غير مألوف ، فيما يتعلق بالسلالة ، أو العقيدة ، أو الجنسية ، أو اللون . واضاف البعض الاخر على هذه الفوارق ، الذكاء والتربية ، والسن ، والمركز الاجتماعى الاقتصادى ، وحجم الجسم ، حتى بلغت هذه الفوارق حدا يجعل العلاقة بين الزوجين غير معقولة

واساس هذا التعريف افتراض نظرى مؤداه انعدام الوفاق بين الزوجين ، اذا اختلفت الاوصاف البدنية أو النفسية أو الاقتصادية أو الثقافية او العقائدية اختلافا يدعو للنشاز وعدم الانسجام . هذا من الوجهة النظرية البحتة ، على أن الواقع يدل على أن هذا الفرض لا يعول عليه تماما ، اذ لدينا من الاحصاءات مايثبت خلاف ذلك

فى نسبة تذكر من الحالات التى كان الزواج المختلط فيها واضحا . وسيرى القارىء فى الفقرات التالية آراء متناقضة ، ولكنها مقياس لا بأس به للاتجاه العام فيما يتعلق بهذا الموضوع

اختلاف العقيدة

ففيما يختص بالتربية ، وجد كل من « ترمان » و « هاملتون » فى دراساته ، أن الرجال الذين تزوجوا من نساء أكثر منهم ثقافة ، أسعد من سواهم ، كما وجدا من دراسة ٣٧٩٦ زواجا ، اختلف فيه الزوجان اختلافا بينا فى مستوى الثقافة ، ان أقل نسبة فى الطلاق كانت بين الزيجات التى كانت فيها الزوجة أكبر سنا من الزوج

ومن المشاهد ان كلا من الكاثوليك والبروتستانت واليهود ، لايحبذونالزواج المختلطبينهم . ويبنىاعتراضهم على أساس أن العقيدة متى اختلفت بين الزوجين ، أدت الى تصادم فى الحياة الزوجية . غير أن أبناء هذا الجيل وبناته فى الاوساط المتعلمة ، قلما تعنى بالحياة المذهبية ، عنايتها بالحياة الواقعية . ومقياس النجاح فى هذه الحياة ، فى نظرهم ، ما يتخللها من السعادة وراحة البال . وقد أمن على هذا الرأى عدة الاف من طلبة الجامعات فى أميركا ، الذين أجابوا على استفتاء أحد الاساتذة .. على أنهم ذكروا فى اجاباتهم انه يجدر بمن لا يوافق على الزواج المختلط فيما يختص بالعقيدة ، الا يوثق علاقته بأحد أفراد الجنس الآخر ، ممن يخالفه فى العقيدة . ومن الغريب أن الدراسة التى قام بها أحد أساتذة جامعة سنت لويز فى أميركا ، دلت على أن ٢٥ ٪ من الكاثوليك يتزوجون من بروتستانت أو غيرهم من أفراد المذاهب الاخرى ، بالرغم من أن الكاثوليك اشد المذاهب المسيحية كراهية للزواج المختلط العقيدة

وتبين من دراسة مماثلة أن مشاكل الزواج المختلط العقيدة يتضاعف اذا كان للزوجين أطفال ، ويكاد ينعدم اذا لم ينجبا ذرية

اختلاف السلالة واللون

لعل ولايات أمريكا المتحدة ، وهى البوتقة التى ينصهر فيها اكبر عدد من السلالات والجنسيات والامم ، خير بلد يمكن فيه دراسة هذا الموضوع . ولسنا نريد أن نرهق القارىء العربى بالكثير من الاحصاءات التى قتلت الآراء المختلفة فى هذه الدراسة بحثا . وحسبنا أن نذكر هنا الحقائق الاتية :

١ ـ قلما يبلغ الاختلاف بين الزيجات التى يكون فيها كل من الزوجين من أصل أوروبى ، درجة تدعو لعدم التوافق ، طالما اتفقا فى العقيدة والتكافؤ الاجتماعى والتربية وغيرها . ولا يستثنى من ذلك سوى الحالات التى يكون فيها أحد الزوجين من الامم الشمالية والاخر من البلدان الجنوبية ، كأن يكون الزوج من صقلية مثلا أو جنوبى ايطاليا والزوجة من أسوج أو النرويج أو الدانيمرك

٢ ـ ان أكثر المشاكل الزوجية تثيرها الزيجات التى يكون فيها أحد الزوجين من الجنس الابيض والآخر من الجنس الاسود أو الاصفر (أو الاسمر) ، ويغلب أن يكون الزوج من الجنس الاسود أو الاصفر ، والزوجةمن الجنس الابيض . والجنس الاصفر عادة يكون أفراده من الصين أو اليابان أو الفلبين . أما الجنس الاسود فمن عدة بلدان أخرى

٣ ـ تدل الاحصاءات على أن نسبة النجاح فى هذا الزواج قليلة ، وأن ذرية هذه الزيجات تتعرض للكثير من المتاعب هناك ، لاسباب لا تحتاج الى بيان

٤ ـ اذا كان الاختلاف فى الجنسية فقط ، وكانت السلالات متقاربة فقلما تثار مشاكل ذات بال . مثل ذلك أن يتزوج انجليزى من ألمانية أو سويدية أو هولندية ، أو يتزوج ايطالى من أسبانية أو فرنسية

٥ ـ قد يكون الزواج المختلط بين اثنين ، اتفقا فى السلالة ، ولكنهما اختلفا فى الوضع الاجتماعى ، كأن يكون احدهما مثقفا والاخر قليل الحظ من الثقافة ، أو أن يكون الواحد فظا خشنا ، والآخر مهذبا مصقولا

٦ ـ الاعتراض على الزواج المختلط أيا كانت أنواعه ، يعزى الى أسباب بيولوجية . فليس هناك دليل على أن الزواج بين سلالتين مختلفتين ـ وان تكن بين زنجى وبيضاء ـ يضعف النسل مثلا من الناحية البدنية أو العقلية . حقيقة أن المشاهد فى بعض الانحاء أن ذرية بعض الزيجات المختلطة لا تثير الاعجاب . على أن سبب هذا فى الغالب أن أحد الزوجين (أو كليهما) وضيع الارومة من طبيعته لا لانه ينتسب الى سلالة زنجية أو منغولية أو غير ذلك . كما اتضح انه طالما كان الزوجان من أرومة رفيعة ، أيا كانت السلالة التى ينتميان اليها ، كانت ذريتهما كذلك رفيعة المستوى بدنيا وعقليا . وينطبق هذا القول على الزيجات التى عقدت بين آسيويين وأوربيين ، وبين أسيويين وأمريكيين

وذهب بعض علماء الانثروبولوجيا (الاجناس البشرية) وتحسين النسل الى أن الزواج المختلط من حيث السلالة يقوى الذرية

٧ ـ الاعتراض الخطير الذى يوجه الى جميع أنواع الزواج المختلط ، (ولاسيما ما يختص بالسلالة واللون) ، أساسه سيكولوجى بحت . وقلما يفطن الزوجان الى خطورته الا بعد فوات الاوان . فاذا ما اختلف الزوجان فى

اللون أو السلالة أو العقيدة أو الحالة الاجتماعية اختلافا واضحا ، عاش أحدهما فى بيئة وعاش الآخر فى أخرى . تتفق ميولهما ، وتنسجم نفساهماانسجاماروحيا ، وهوأول الواحد مايكره الاخر ، ويفضل هذا ما ينبذ ذاك ، وعلى هذا بنى نظرته للحياة وفلسفته بوجه عام على أسس تغاير مابنى عليه شريكه ، واتخذ له أساليب فى حل مشاكل الحياة ، مغايرة لاساليب الطرف الآخر

ومن العسير أن تتلاقى عقليتان من هذا الطراز ، وأن تتفق ميولهما ، وتنسجم نفساهما انسجاماروحيا،وهوأول ماتقتضيه الشركة الزوجية . وفوق هذا فان الولاء للجماعة التى ينتمى اليها الفرد من طبيعة كل انسان ، وليس من طبيعة الاشياء أن يكون هذا الولاء مشاعا بين الزوجين ، طالما كان كل منهما ينتمى لجماعة لا تمت بصلة للجماعة التى ينتمى اليها الآخر . وقد يحاول كل من الزوجين فى بادىء الامر اخفاء المشاعر التى تنجم عن هذه الفوارق ، ولكن على ممر السنين تتضخم المتاعب وتتراكم العقبات وتصبح الحياة بؤسا وشقاء

ومما ينبغى معرفته أن الزواج ليس مجرد علاقة بين زوج وزوجة ، وانما هناك عاملان من الاهمية بمكان عظيم أولهما أسرتا الزوجين ، وثانيهما الاطفال . فمن جهة الاسرتين ، قد لا تتصادمان بسبب هذا الزواج ، بيد أن احداهما أوكليهما يدفعان ثمنا غاليا. فالاسرة التىتعترض على الزواج ، ولا يعير الزوج هذا الاعتراض أهمية تجرح كرامتها ، فيجد الاب الابن خارجا على ارادته ، وتجد الام فيه ولدا عاقا . ويغلب أن يكون هذا الشعور مضاعفا فى حالة البنت التىتتزوج مناجنبى رغم اعتراضابيها وامها. وليس من ريب أن الابن أو البنت قد يعتقد أن سعادته فوق سعادة والديه ، غير ان الاختبار علمنا ان قطع العلاقة

بين الابن أو البنت بأسرتها ، يفقده هذه السعادة ، وفى كثير من الاحايين يعزل الزوج أو الزوجة عن المجتمع الذى تنتمى اليه اسرة والديهما . وهناك أوقات ومناسبات يكون فيها الشاب فى شديد الحاجة الى والديه ، وهناك حالات من الامراض والاحزان والازمات التى فيها تكون الزوجة الشابة فى شديد الحاجة الى أمها وسائر أفراد أسرتها ، واذا جاز لنا أن نحذر البنين والبنات من قطع علاقاتهم بوالديهم وأفراد أسرتهم بسبب الزواج ، فانا كذلك نهيب بالوالدين ألا يقطعا العلاقة بأبنائهم وبناتهم اذا ما تزوجوا فعلا من أجانب رغم ارادتهم

أما من حيث الاطفال فان الفوارق الجسيمة بين الابوين فيها من الاحراج لهم فى شتى النواحى ، ما يسبب لهم الكثير من العقد النفسية . فقد تبين مثلا أن الاختلاف البين فى العقيدة بين الزوجين ، يجعل الحديث فى المبادىء الدينية فى كثير من الاحوال مستحيلا — أمام الاطفال — فاما أن يشبوا لادينيين ، أو ينشأ فيهم شعور باطنى بأن هناك ما يوجب الريبة والخوف والغموض فى كل ما يتعلق بالمسائل الدينية . هذا فضلا عما يترتب على اختلاف العقيدة من النزاع وعدم الاتفاق فى الاساليب التى يراد اتباعها فى تربية الاطفال . ولعل أخطر احراج للاطفال ما كان سببه اختلاف الزوجين فى السلالة واللون

الخلاصة

١ — الزواج الذى تتباعد فيه السلالة واللون بين الزوجين ، زواج غير مرغوب فيه من الناحية الاجتماعية عامة ، وينصح اخصائيو الزواج بتجنبه

٢ — الزواج الذى تتباعد فيه عقيدتا الزوجين لا يصادف عادة مقاومة من المجتمع تبلغ شدتها ما يصادفه الزواج

الذى تتباعد فيه السلالة واللون ، اللهم الا فى حالة تشريع معين يمنع هذا الزواج

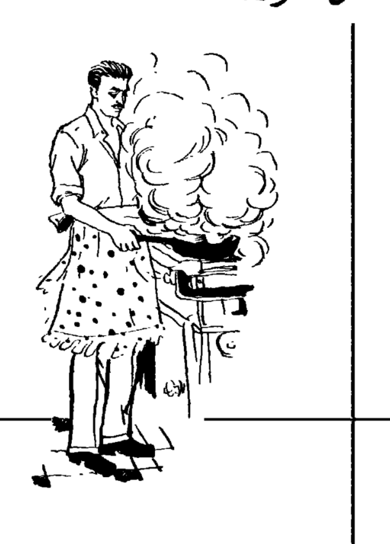
٣ ــ كل ما عدا ذلك من الزيجات التى يختلف فيها الزوجان فيما يتعلق بالتربية والثقافة والتكافؤ الاجتماعى والجنسية (مع تماثل السلالة واللون) الخ ، تهبط درجة المقاومة الاجتماعية فيها عما سبق ذكره من أنواع الزيجات

٥ ــ قد يكون الوفاق تاما بين الزوجين مهما تباينت السلالات والالوان والعقائد والثقافة والتكافؤ الاجتماعى وسائر العوامل التى تكون أساسا للفوارق ، أى أن حب الزوجين لبعضهما بعضا ، والتوفيق بين هذه الفوارق ، يتغلبان على كل شىء آخر ، وبالرغم من هذا ، فان أكثر هذه الفوارق تلاقى مقاومة من المجتمع والوالدين ، وتسبب للزوجين والاطفال وأسرتى الزوجين متاعب ومواقف محرجة لا طائل تحتها



الفصل الثالث عشر

مشاكل العزوبة



الزواج والتكيف الاجتماعى

الزواج تقليد اجتماعى ، توصل اليه البشر بعد خبرة طويلة قد تبلغ ملايين السنين . وهناك مايحمل على الاعتقاد أن بنى الانسان قد أنشأوا «مؤسسة» الزواج هذه قبل أن يدركوا ما تتضمنه العلاقات فيها من مسائل قانونيه وبيولوجية ، والتزامات مادية وروحية ، بعشرات القرون . والزواج بمعناه الضيق « اختراع » اجتماعى ، كان الغرض منه فى بادىء الامر تنظيم السلوك الجنسى . نقول هذا لأن الانسان قد ظل أجيالا لا يعرف العلاقة بين الاتصال الجنسى وانجاب الذرية . وذكر العالم الانثروبولوجى مالونسكى أن سكان بعض جزر المحيط الهادى ، ومنها جزيرة تروبريانر ، لا يزالون الى يومنا هذا ، لا يصدقون هذه العلاقة ، ويعزون المواليد الى القوى الطبيعية التى تقع تحت أنظارهم ، كالاشجار والرياح والزلازل والبراكين

هذا عن المعنى الضيق . أما الزواج بمعناه الاوسع ، فتكيف اجتماعى ، أى أنه علاوة على أنه وسيلة لتنظيم العلاقات الجنسية بين الناس ، اختيار لنموذج معين من نماذج الحياة ، يخالف تماما ذلك الذى نسميه نموذج العزوبة

وسرعان ما ادرك البشر اهمية الزواج بوصفه الطابع الوحيد للحياة الكاملة ، بفضل اندماج ذكر وأنثى فى شخص واحد ، حتى ظهرت مشاكل العزوبة جلية واضحة ، وأصبحت حياتها تختلف فى اكثر الوجوه اختلافا كليا عن

الحياة الزوجية ، ويميل الناس عادة الى النظر الى العزوبة نظرة سلبية محضة ، واعتبارها تنصلا من مزايا الزواج ، وفرارا من مسئولياته ، بيد أن هذه النظرة لاتتفق والواقع تماما ، وان كان فيها شيء من الصحة . وسبب ذلك أن الرجل أو المرأة ، الذى يؤثر العزوبة على الزواج طوال عمره ، انما قد اختار تكيفا اجتماعيا من نوع آخر ، خلاف التكيف الاجتماعى الزواجى . وليس من ينكر أن كل خطة يرسمها الانسان لنفسه من خطط الحياة ، لابد أن تتضمن مسئوليات كما تشمل اشباع رغبات ترتاح لها النفوس . واذا فلا يمكن أن تكون سلبية ، وبعبارة أخرى أن كلا من الزواج والعزوبة وسيلة للتكيف فى مجرى الحياة

فمن هذه الوجهة تكون مشكلة العازب ، أن يوفق بين اختياره حياة العزوبة ونجاحه فى هذا الاختيار ، بما قد يكون فيه من مصاعب ومنغصات . على أن المسألة أكثر تعقدا مما يدل عليه ظاهرها ، وسبب ذلك أن نسبة كبيرة من العزاب لم يختاروا هذه الطريق من تلقاء ذواتهم ، وانما انقادوا اليها رغم أنوفهم . وحتى أولئك الذين اختاروا حياة العزوبة بسبب تكوينهم الطبيعى ، فوجدوا فيها السعادة التى تلائم طبيعتهم .. حتى أولئك قد يتضح لهم فى النهاية أن المجتمع غير راض عنهم ، وأن وضعهم الاجتماعى الذى اختاروه لا يدعو للارتياح . ومعنى هذا أن العزاب لا يصادفون مشاكل وحسب ، وانما قد تبلغ من الشدة والعنف ما لايصادفه المتزوجون

وكثيرا ما يكون النظام الاجتماعى بالذات عاملا هاما فى خلق جيش جرار من العزاب رغم أنوفهم ، لا سيما فيما يختص بالاناث . فمن المعلوم أن البلدان المتحضرة لاتعمل الا بنظام الزواج بواحد او واحدة . وبسبب الحروب وأسباب أخرى بيولوجية واجتماعية واقتصادية ، يزيد

عدد النساء عن عدد الرجال فى الدولة الواحدة ببضعة ملايين ، وينتج من ذلك أن قصر الزواج على واحـــدة ، يترك عددا كبيرا من النساء فى كل دولة بغير زواج ، بالرغم من ارادتهن . وفى بعض البلدان التى تكثر فيها الهجرة ، قلما يهاجر النساء ، مما يترتب عليه تفوق عدد الذكور على الاناث ، وبذلك يتضاعف عدد العزاب من الذكور عاما بعد عام . فلا عجب اذا كان هناك نقاد ينادون بزواج اثنين أو أكثر ، كما ينادى البعض الاخر بوجوب السماح بزواج المراة بأكثر من رجل فى الاماكن التى يزيد فيها أفـــراد احد الجنسين عن الاخر زيادة واضحة

وحلا لهذا المشكل حاول المجتمع فى أزمنة وأماكن مختلفة اباحة تعدد الازواج ، غير ان الحضارة والمدنية والثقافة قامت حائلا دون ذلك لسبب على جانب عظيم من الخطورة الا وهو أن المطالب والالتزامات التى تترتب على مثل هذا الزواج يصعب القيام بها من الناحيتين المادية والروحية ، ومن الغريب أن ما يحتمه الزواج بواحدة « أو واحد » من جعل العاطفة والمودة والحب والوجـــدان وقفا على شخص واحد ، كان من أهم العوامل التى منعت الكثيرين من الاقدام على الزواج كما اجتذبت الكثيرين على التماس الزواج احتكارا لحب شريك الحياة وعطفه ومودته

ومن أهم واجبـات الباحثين فى شـئون الزواج ، أن يرسموا صورة واضحة للحياة الزوجية ، حتى يكون كل شاب وفتاة على بصيرة مما يترتب عليهـا ، حتى يختـــار الطريق التى تروق له ، فاما الزواج او العزوبة

الفوارق الفردية —

من الحقائق التى لا مفر من الاعتراف بها ، أن الافراد فى كل زمان ومكان صـــنفان ، أحدهما قدرت له حيـاة

الزواج ، والاخر كتبت عليه حياة العزوبة ، سواء أكان هذا وفقا لرغبته ، أم رغم أنفه . وكما سبق القول ، ان الكثيرين من الذين يأبون الزواج وينفرون منه فى الظاهر انما هم أرغموا على ذلك بحكم الظروف لاسباب خفية أو شعورية ، كعدم توافر الفرص للاندماج فى المجتمع والشعور بالنقص ، والقصور الجنسى ، والعسر المالى ، سواء كانت هذه بعضها أو كلها حقيقية أو من نسج الوهم والخيال

والنجاح فى التكيف الاجتماعى يتوقف على اكتشاف احدى الطريقين التى يجب أن يسلكها الفرد ، اما طريق الزواج أو طريق العزوبة ، وذلك بعد بحث ما لكل من مزايا وعيوب ، وترجيح كفة على كفة ، وبعبارة أخرى تتوقف سعادةالانسان على حسن‌الاختيار . ومما يؤسف له أن الكثير من الشبان والفتيات يغفل أمر الوقوف على هذه المزايا والعيوب ، فيندفع نحو طابع من السلوك من شأنه أن يلقى به فى طريق الزواج ، وهو فى الواقع لايصلح للزواج ، ولو انه ألم بمطالب كل من العزوبة والزواج والتزاماتهما وحاجاتهما ، لما تردد لحظة فى اختيار العزوبة

ولما كان الزواج والعزوبة طريقى التكيف الاجتماعى ، فان الناس ينقسمون الى ثلاثة أقسام . أفراد القسم الاول منهم يجدون السعادة والنجاح ، سواء اختاروا طريق الزواج أو طريق العزوبة . أما أفراد القسم الثانى فيجدون‌السعادة فى طريق‌واحدة ، اما الزواج أو العزوبة، فاذا أخطأوا فى اختيار الطريق‌التى تلائم طبيعتهم أخفقوا، واذا ما أصابوا كان النجاح حليفهم . وهناك أفراد القسم الثالث الذين بطبيعتهم لا يجدون فى الحياة لذة أو سعادة أو متعة ، سواء تزوجوا أو آثروا حياة العزوبة . ومهما أتيحت لهم الفرص الملائمة ، فانهم ينحدرون الى الهاوية

وكل ما يمكن عمله معهم حملهم على اختيار أهون الشرين

واذا أمعنا النظر فى حالة هذه الفئة الاخيرة ، واتخذنا المنطق مرشدا ، خيل الينا لاول وهلة ، ان طريق العزوبة خير لهم . على أن السلوك فى هذه الطريق يؤدى بهم اما الى كبت الغريزة الجنسية أو اشباعها بطرق غير مشروعة، وهذه كما لا يخفى تزيد شخصياتهم اضطرابا . واذا ما نظرنا الى المسألة من وجهة الرجل أو المرأة الذى يتزوج من أحد أفراد هذه الفئة ، اتضح لنا أن مثل هذا الزواج من الناحية الاجتماعية غير مرغوب فيه ، ونفترض طبعا ان افراد هذه الفئة لا يحق لهم الزواج بتاتا ، لما يترتب عليه من الاضرار التى تلحق بالشخص الذى يتزوج منه ، وبالذرية أيضا

والصعوبة التى يلاقيها افراد هذه الفئة ليست نتيجة سوء الحظ أو الظروف التى تعرضوا لها ، وانما تعزى فى غالب الاحوال الى عيوب فى شخصياتهم . ومن العبث تحويل الواحد منهم الى طريق الزواج بعد فشله فى طريق العزوبة ، ما لم تعالج تلك العيوب وينجح فيها العلاج على يد طبيب اخصائى

متاعب الاعزب

مما يؤسف له ان الكتاب والمفكرين والمصلحين يقتلون مسائل الزواج بحثا ، ولكنهم قلما يتحدثون بكلمة عن مسائل العزوبة ، والغريب أن الكثيرين من علماء الاجتماع لا يخلون من هذا العيب . ولعل من أسباب ذلك ، أن الاخفاق فى الحياة الزوجية ، وما يتأتى عنه من بؤس ونزاع وخصومات وفرقة وطلاق .. كل هذه تولد الشكوك فى أذهان الباحثين وعامة الناس فيما يختص بمؤسسة الزواج وصلاحيتها . ويميل الجميع أن ينسبوا كافة المآسى التى تتعرض لها الاسر فى الحياة الزوجية ، الى

هذه المؤسسة الاجتماعية التى مضى على انشائها مئات الالوف من السنين . وقد نسى هؤلاء أن حياة العزاب والمطلقين لا تقل بؤسا وشقاء فى أكثر الاحايين عن حياة المتزوجين ، اذا ما فشلوا فى التكيف الاجتماعى الذى تحدثنا عنه . والواقع أن البؤس فى الحياة الزوجية يلقى من الكتاب دعاية واسعة النطاق ، وحالات الطلاق والمنازعات والقضايا بين الأزواج ، تلقى من المشتغلين بالاحصاء عناية جمة ، فى حين أن المشاكل التى تقض مضاجع العزاب ، لا تسترعى أنظار احد من هؤلاء ، اللهم الا المقربين الى العزاب أو أطباء الامراض النفسية الذين — بحكم أعمالهم — يدركون مدى الآلام التى يعانيها الكثيرون منهم

واذا رجعنا الى سجلات هؤلاء الاطباء وأمثالهم من المشتغلين بهذه الشئون ، اتضح لنا أن نسبة تذكر من العزاب الذين يلمسون النصح والارشاد من الغير ، يجدون حياة العزوبة عبئا ثقيلا ، ويجدون العيش بغير شريك لا خير فيه ، وفى الوقت ذاته يقطعون الامل فى الزواج ، لان الطريق اليه فى نظرهم محفوفة بالاشواك

ومما يزيد الطينة بلة ، أن الخيار بين حياة العزوبة والحياة الزوجية لا يخلو من التعقيد . ولهذا يتزوج الكثيرون تحت ضغط الرأى العام من أقربائهم وأصدقائهم ، وليس بدافع ارادى فيهم . ومنهم من يختار طريق الزواج حتى يكون كأنداده وأقرانه . والمرأة التى تقبل أول من يطلب يدها ، كما يحدث فى كثير من الاحايين ، تفعل ذلك خوفا من أن تتخلف عن ادراك القطار ، ورغبة منها فى المحافظة على كرامتها اسوة ببنات عمها أو بنات جيرانها ، وحتى لا يقال عنها انها دميمة لا يرغب فيها الرجال

ويعتقد بعض علماء الاجتماع أن الانسان كلما تقدم فى

معارج الحضارة ، فقدت مؤسسة الزواج جاذبيتها المصطنعة ، وأدرك الافراد أن الانسان يستطيع أن يعيش سعيدا فى حالة العزوبة ، اذا لم يكن صالحا للزواج ، وأن المجتمع يوما ما سيعترف بمؤسسة العزوبة اعترافه بمؤسسة الزواج ، ولا ينظر الى الرجل الاعزب أو المرأة العزباء ، كأنه مارق خارج على التقاليد او منبوذ من الجنس الاخر ، كما يعتقد البعض اليوم فى كثير من الاحوال . وموجز القول أن العزوبة ستصبح تقليدا وعرفا مألوفا أسوة بالزواج ، وسيجد المجتمع وسيلة للتوفيق بين الحياة فيها وما تتطلبه الآداب العامة

واذا رجعنا قليلا الى الماضى ، تبين لنا أن الزواج الذى لم يكن يتميز بانجاب ذرية تكمل الاسرة ، كان ينظر اليه بعين العطف ، ان لم يكن بعين الاحتقار وعدم الرضا ، وكانت الزوجة العاقر عارا على أهلها ، وتؤثر الموت على حياة جدباء بغير أطفال . أما الان ، فلم تكتف المدنية بالقضاء على هذا التقليد قضاء تاما تقريبا ، وانما خيرت الناس بين انجاب العدد من الاطفال الذين يرغبون فيه ، أو الاستغناء عنهم بتاتا ، وهذا ما سيحدث تماما فى المستقبل فيما يتعلق بالعزوبة الى حد محدود . ونقول الى حد محدود ، لانه بالرغم من بلوغ المجتمع هذا المستوى ، فان فئة قليلة من العزاب ستشعر بأنها تختلف عن بقية الناس ، وأنها كانت تتمنى لو أن فى وسعها اختيار طريق الزواج . بيد أن الاغلبية الساحقة منها ستنظر الى « مؤسسة » العزوبة نظرة طبيعية ، لا نظرة سلبية ، كما هى الحال اليوم فى بعض الاوساط

ولا مناص من أن تتطور المعايير الاجتماعية والمقاييس الاخلاقية بتطور الحضارة . وهل هذا التطور سيغير من نظرة المرأة التى تتخذ العزوبة طريقها فى الحياة ؟ فمن

الواضح انه كلما اتيحت لها فرص الحرية والاستقلال ، لاسيما الاستقلال الاقتصادى ، زادت ثقتها بنفسها ، ولن يضيرها ان تعيش عانسا ، بل على النقيض من ذلك تنظر الى العزوبة نظرة ايجابية تخلو من كل شعور بالنقص

العرف يفترض الزواج

ومهما يكن من شىء ، فان العـــرف فى العصر الذى نعيش فيه يفترض أن الزواج فى الحياة المعاصرة هـــو القاعدة ، والعزوبة هى الاستثناء . الزواج هــو العيش السوى ، والعزوبة خروج عليه . وعلى أســاس هــذا الافتراض شــيدت دعائم النظم الاجتماعيــة فى كافة بلدان العالم ، فيما يختص بالعلاقة بين الذكور والاناث . وقد رسخت هذه النظم فى الاذهان منذ العصور الخالية، ولا تزال قوية البنيان ، حتى أصبحت التقاليد فيهاقضايا مسلما بها ، يحرص على العمل بها المتزوجون والعزاب على السواء . وقد صدق « كلر (١) » فى قوله ان أولئك الذين فاتهم قطار الزواج ، قد اســـتوعبوا قوانينه ، وتشبعوا تماما بتقاليده ، حتى أصبحوا دعامة فى بنيانه. وقد دفعتهم الظروف الى هذا دفعا ، ان لم يكن بارادتهم، لان الخروج على هذه التقاليد يحرمهم الـــكثير من عزة النفس والــكرامة ، ويغلق فى وجوههم أبواب الحيـــاة الاجتمــاعية

حيرة المرأة العزباء

من أهم الفوارق بين الذكور والاناث فيمـــا يتعلق بالزواج ، أن الرجل قلما يجد صـــعوبة فى العثور على شريكة الحياة ، فمهما كانت حالته البدنية أو العقلية أو

---

(1) Keller: The Science of Society, P. 2056

الاجتماعية ، ومهما بلغت عيوبه الخلقية ، فلا بد أن يجد المرأة التي تقبل الزواج منه . أما المرأة فعلى عكس ذلك، تحول التقاليد دون تقربها من الرجل أو ابداء أية اشارة يشتم منها أنها تريده زوجا ، وذلك لان هذه الميزات قد منحها المجتمع للرجل وحرمها على المرأة .

وليس فى مقدورها أن تتخلص من التوتر الجنسي بالطريقة التي يبيحها المجتمع ضمنا ــ ان لم يكن صراحة ــ للرجل ، لان مقاييس الاخلاق ليست على الدوام واحدة للذكور والاناث . وكل علاقة غير مشروعة أو غير مرغوب فيها من جانب المرأة ، تعرض سلعتها فى سوق الزواج للبوار ، فى حين أن هذه الحالة لاتنطبق على الرجل . وليست هذه الفوارق بين الرجل والمرأة مقصورة على العزاب ، وانما تتناول كذلك الاوامل والمطلقين . فمن السهل أن يجد الرجل المطلق او الارمل زوجته ، بل قلما يوجد فرق فى هذه الحالة بين الاعزب الذى لم يتزوج أبدا وبين المطلق أو الارمل ، فى حين أن الارملة أو المطلقة ، تهبط سلعتها اذا عثرت على زوج ، وقد تترمل أو تطلق وهى فى عنفوان صباها ، ومع ذلك تبقى كذلك البقية الباقية من حياتها .

ومن العوامل التى تقف حائلا فى سبيل المرأة ، فيما يتعلق باختيار الزوج الملائم ، أن حالتها الاقتصادية لاتدعو للاطمئنان ، وانها فى أكثر الاحايين لابد لهـا من رجل يعولها . ومعنى هذا انها احوج الى الزواج من الرجل . واذا كان للرجل عيوب تمنعه من اختيار الزوجة التي تتكافأ مع حالته الاجتماعية ، فانه لن يجد صعوبة فى العثور على زوجة من طبقة دون طبقته . وكلما هبطت المرأة فى السلم الاجتماعى ، كانت اقل اطمئنانا على

مستقبلها ، وأشد رغبة فى الزواج ، وقد تقبل أول يد تتقدم اليها .

ولعل الفتاة العزباء المثقفة الطموحة أشد بنات جنسها حيرة فيما يتعلق بحل المشاكل التى تقف حائلا دون زواجها .. انها لاتنافس زميلاتها الفتيات ــ سواء فى الجامعة أو فى دور العمل ــ وحسب ، انما زملاءهامن الشبان كذلك . عليها أن تتفوق على كل منهما فى دراستها وكسب رزقها . وعليها أن تنافس زميلاتها فى الفوز بشريك الحياة . وهى فى منافسة زملائها لاتخلو من الشعور بالنقص ، لانها لم تتحرر تماما من عبودية الرجل للمرأة مدى العصور السالفة . انها تحاول الجمع بين صفات الرجولة التى بها تنافس اندادها من الذكور ، وصفات الانوثة التى بها تنافس زميلاتها من الفتيات فى سباق الزواج . وبين هذه المحاولة وتلك يساورها الخوف ، فاذا بذلت قصارى جهدها فى التفوق على أقرانها فى الدراسة والعمل ، خشيت أن يحول ذلك دون العناية بهندامها ومنظرها وابراز أنوثتها ، وجذب طلاب الزواج اليها . واذا عنيت بأنوثتها وابرازمحاسنها، خشيت أن يكون ذلك مدعاة لاهمالها دراستها أواضعاف قدرتها على كسب العمل ، فتعرض مستقبلها للخطر ، لثقتها بأن فرصة الزواج قد تفوتها بالرغم مما تبذله فى سبيل زينتها وتبرجها واظهار جمالها البدنى والخلقى

ومن الواضح أن الشاب الاعزب لا يواجه شيئا من هذا ، سوى منافسة زملائه ، اى انه مهما بذل من الجهد فى سبيل التفوق فى دراساته او النجاح فى العمل الذى يكسب منه رزقه ، فانه يستطيع فى لمح البصر أن يعثر على شريكة الحياة ، متى شاء ذلك .

ويلاحظ أن الطالبة الطموحة التى تشتد رغبتها فى

مواصلة الدراسة النهائية ، تميل الى ارجاء التفكير فى الزواج أو العناية بأنوثتها ، الى أن تنال أعلى الدرجات العلمية ، فتفوز بدرجة بعد درجة ، ودبلوم بعد دبلوم ، وتنغمس فى تخصص بعد تخصص . وهى فى كل ذلك تعرض ذاتها للبوار ، اذ تتجاوز السن التى يرغب فيهـا طلاب الزواج . وفضلا عن هذا ، فان الشابة التى تبلغ هذه الدرجة من الثقافة التى تعدها للمهن الراقية ، وتولى المناصب العالية فى دور الاعمال قلما ترضى بالزواج الذى لا يتكافأ معها . ومعنى هذا ، أنها كلما تقدمت فى السن ، وارتفعت منزلتها الاجتماعية ، قل عدد طلاب الزواج الذين يصلحون لها

***

وفى حين أن الرجل ، كلما نجح فى الحياة العملية وعلا نجمه فى سماء الحياة الإجتماعية ، اشتدت رغبة طالبات الزواج فيه ، وسهلت مهمته فى اختيار فتاة أحلامه ، فان المرأة بخلاف ذلك ، كلما علت فى السلم الثقافى أو المهنى أو الاجتماعى ، تضاعفت العراقيل فى سبيل زواجها ، لازدياد الحواجز بينها وبين الرجل الذى يصلح لها ، وتردد الكثيرون من طلاب الزواج فى طلب يد امرأة فى مثل هذه المنزلة

وهذه نقطة حساسة قد لا تخطر على بال ، ولكنها من الناحية السيكولوجية حقيقة واقعة . وقد حدث منذ عهد قريب أن ممثلا شهيرا رفع دعوى الطلاق على زوجته الممثلة ، ولما سأله القاضى عن سبب ذلك ، صرح فى غير حياء أو تردد ، بأن زوجته قد فازت من الشهرة الذائعة فى فنها التمثيلى ، ماغطى على شهرته ، وأضر ضررا بالغا بمستقبله فى عالم السينما

لم لا يتزوجون ؟

اذا سألنا الالوف الذين اختاروا طريق العزوبة عن سر اختيارهم لهذا الطريق ، كانت أكثر اجاباتهم مجرد تبرير للموقف .. فمنهم من يزعم انه لم يجد الشريك الذى يلائم طباعه وميوله . ومنهم من يتخذ امكانياته الاقتصادية ذريعة لاحجامه ، ومن المنافقين — وهم كثيرون — من يتهم الجيل الجديد بالزيغ والفساد ، وعدم صلاحيته للزواج. ومن الطفيليين من الرجال من يريد زوجة يعيش على متاعها، لأنه كسول خامل اعتاد أن يكون عالة على غيره . ومن النساء من تزعم أنها بطبيعتها تكره الرجال. وهكذا دواليك

ومهما يكن من شيء ، فان أسباب الاحجام عن الزواج يمكن تقسيمها الى قسمين يختلف الواحد منهما عن الآخر. القسم الاول ، أسباب يتعمد فيها الرجل أو المرأة عدم الزواج من تلقاء ذاته . والقسم الثانى أسباب غير مباشرة تضطر صاحبها فى النهاية الى تجنب الزواج

وأولئك الذين يشملهم القسم الاول ، يعتقدون أنهم لم يخلقوا بطبيعتهم لأن يكونوا أزواجا ، لانهم لا يرتاحون الا لحياة العزلة والانفرادية ، أوأن طبيعة العمل الذى يكسبون منه الرزق لا تؤهلهم للزواج . وهؤلاء يؤمنون بما يقولون حقيقة ، غير أن المحلل النفسانى اذا ما سمع منهم هذه الاسباب ، لا يأخذها على علاتها ، انما يميل الى التعمق فى البحث عن أصولها . واذا ما أتيحت له الفرصة ، كان فى وسعه فى الغالب الوصول الى الاعماق ، والعثور فيها على البواعث الحقيقية الدفينة فى اللاشعور (العقل الباطن) فقد يكون الباعث وراثة بيولوجية — من أب أو جد أعلى — غير سليمة لاتبشر بسلامة الذرية ، وقد تكون هناك أمراض مزمنة أو عيوب بدنية أو عقلية لا تدعو للارتياح

وهؤلاء يعقدون النية على مواصلة حياة العزوبة ،

ولا ينثنون عنها . ولهذا نرى أن بعض البلدان التى تتخذ اجراءات مشددة للحد من عنادهم ، كفرض ضريبة فادحة عليهم ، لا تنجح فى حملهم على الزواج . والوسيلةالوحيدة التى بها يمكن ان يغيروا آراءهم ، هى التحليل النفسانى ، اذا ما التجأوا اليه من تلقاء ذواتهم . ونقول من تلقــاء ذواتهم، وعن رغبة أكيدة منهم، لان أمثالهم قلمايريدون ذلك

أما أولئك الذين يشملهم القســم الثــانى ، فهم فرائس الاسباب غير المباشرة التى تضطر أصحابها بحكم طبيعتها الى حياة العزوبة اضطرارا ، وتدفعهم اليها ، بغيرأن يكون لهم نية من قبل فى اختيارها . ومن أمثلة ذلك الفتاة التى تواصل دراساتها الثانوية والجامعية الى النهاية وتحصل على أعلى درجاتها ، ثم يطلب اليها أن تتولى التدريس فى احدى الكليات ، وتتدرج فيها من معيدة ، الى مدرسة ، ثم الى أستاذ مساعد والى أستاذ من أصحاب الكراسى . وفى هذه الغمرة من النجاح المطرد ، تكون قد اعتزلت الحياة الاجتماعية التى تتعرف فيها على طلاب الزواج ، وانغمست فى المادة التى تخصصت فيها ، فوضعت المؤلفات ، وقامت بالتجارب العلمية ، وبذلك أصبح موضوع الزواج عندها حديثا قديما

من الحياة الزوجية الى العزوبة

واذا كان العزاب يلاقون فى حيــاة العزوبة مصاعب ومشاكل تقض من مضاجعهم أحيانا ، فان هذه المصاعب والمشاكل تزداد شدة وتتضاعف ، فى حالة أولئك الذين تزوجوا والفوا الحياةالزوجية ، وبعد طرفة عين وانتباهتها وجدوا ذواتهم يعودون الى حياة العزوبة . ومن أولئك ، الذين فقدواشريك الحياة بالموت ، لا سيما اذا حدث ذلك فى فترة بلغ فيها حب الزوجين المتبادل أوجه ، وكان ذلك فى عنفوان الشباب ، وكانت العــلاقة الجسدية والروحية

بينهما مشحونة بأشد ما يكون من العواطف ، وأرق مايكون من الاحاسيس

ومع ما يلاقيه هؤلاء من خيبة الامل ، وشدة الحزن ، وتوتر الاعصاب فانهم يعمدون غالبا فى النهاية الى تجربة زواج آخر ، بما فى ذلك من مخاطرة ، اذا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، لأن الزواج فى هذه الحالة يغدو السبيل الوحيد الذى به يفوزون بشىء من النجاح فى تكييف أنفسهم اجتماعيا

وما قيل عن المترملين والمترملات ، ينطبق على المطلقين والمطلقات .. والفرق بين هؤلاء وأولئك ، ان الترمل يصحبه الاسى والحزن ، أما الطلاق فتصحبه الكراهية والمرارة والشعور بالاخفاق وخيبة الامل . وفى كل من الترمل والطلاق يحمل الرجل أو المراة معه الى الزواج الثانى ذكريات أليمة ، قد يكون أثرها فيه سيئا ، بل قد يعرضه للخطر . ويلاحظ ان المراة التى تترمل أو تطلق أو تنفصل عن زوجها بغير ذرية ، يكون مجال الزواج عندها أوسع ، بعكس التى يكون لها ولد أو اكثر ، فان الاقبال عليها بطبيعة الحال عسيرا ولا يختلف الحال اذا كان المترمل او المطلق رجلا ، سوى أن العقبة التى يلاقيها فى طريق الزواج الثانى تكون أخف وطأة

العزوبة لا تحول دون السعادة !

لم يدع لنا التاريخ والمجتمع مجالا للشك بأن الزواج للذكور والاناث — على السواء — خير من العزوبة ، فمنذ أن خلق الانسان قرأنا عن آدم وحواء ، وأن سنة الخلق فرضت على الناس أن يتزاوجوا ويتناسلوا ابقاء على الحياة . هذا من الناحية الاجتماعية .. غير أن هناك ناحية أخرى لا سبيل الى اغفالها ، الا وهى سعادة الفرد بغض النظر عن علاقته بالمجموع . وقد وجد بالاختبار مدى العصور ،

ان الفرد فى حاجة الى زمالة ، وشركة ، وحب ، وود ، وتعاطف ، وهذه لا تتحقق بأكمل معانيها الا بارتباط وثيق بين رجل وامرأة ، لأن كلا منهما مكمل للآخر ، ولان الغريزة التى تخلد النسل وتتطلب الذكر والانثى ، هى بعينها التى بها تبلغ العاطفة والزمالة والود والحب والشركة ذروتها . ولعل الانسان فى غابر الزمان كان كبعض الحيوانات لا يقرب الانثى الا لانجاب الذرية . ونرى هذه الظاهرة لا تزال باقية عند بعض الافراد والجماعات القليلة فى البلدان الشمالية ، وعلى ممر السنين أصبح للغريزة أحكام فلم تعد وسيلة آلية لانجاب الذرية وتخليد النسل وحسب ، وانما أصبحت باعثا من أقوى البواعث على توفير تلك الزمالة الباقية والحب الصادق ، وحافزا لأن يسعى الرجل وراء المرأة . وقد دلت الشواهد على أن الحياة الرتيبة المطردة القياسية ، هى حياة الطيور فى أعشاشها ، الحياة الزوجية ، وأن العزوبة هى الاستثناء من القانون المعمول به . وقد شاءت الطبيعة على ما يبدو ان يكون المتزوجون أطول أعمارا من العزاب ، كما تدل على ذلك الارقام الاحصائية

ولكن ، بالرغم من هذا كله ، فان لحياة العزوبة ــ سواء لم يتزوج صاحبها أبدا أو تزوج وانهدم عش الزوجية ــ مكانها فى هذه الدنيا ، وأن صاحبها يستطيع أن يعوض ما فاته من مزايا الزواج بفرص ومزايا أخرى قد لا تتاح للمتزوجين . أن السعادة ، أيا كانت الظروف والاحوال ، رهينة القدرة على تسخير الميول والهوايات وشرارة الذكاء ــ أيا كان مقدارها ــ تخيرا يلائم مقتضيات الاحوال . وسواء أكان الانسان متزوجا أم أعزب ، فان سبب شقائه يعزى فى غالب الاحوال الى عجزه عن انتهاز الفرص التى فيها يجد أبواب السعادة مفتوحة . وسنختم هذا الفصل

بقصة امرأة قضت عليها الاقدار أن تتخذ العزوبة طريقها في الحياة ، ومع ذلك لاقت فيها مايتمنى كل إنسان أن يلاقيه من السعادة والرفاهية . ولنترك صاحبة القصة تتحدث عن نفسها :

« لم يتطرق الى نفسي الاسى أو الاسف يوما لأنني لم أتزوج .. على أن الهم كان يساورني ويشغل بالي ويستولي على تفكيري ، كلما كانت النفس تسول لي أن أتزوج في سن متأخرة وانجب ذرية تعكر صفو الحياة . ولم يكن الزواج بالذات من الاشياء التي كنت أتمناها ، على أنني كنت أتمنى زواجا عن حب صادق . ولما لم يتحقق لي ذلك ، لم أشعر بأسف أو مايشتم منه الاسف عندما اخترت طريق العزوبة ، كما أنني لم أشعر يوما بالنقص كما يزعم البعض لايثاري هذا النوع من الحياة .

« وعندما كنت أدعى الى مجالس فيه تفرض النساء المتزوجات ، كنت أعجب كيف أن أكثرهن لا يعني بشيء في الحياة سوى الزواج والبيت والاطفال ، وكأن الدنيا قد خلت من كل متعة أخرى ، وكنت لا أعبأ بما يظهرن له أمامي من الشعور بالعظمة والاستعلاء ، لكونهن متزوجات وأنا عانس عزباء . وكثيرا ما كانت العجائز من أفراد أهلي وأقاربي تواصلن لومي وتقريعي لاختياري طريق العزوبة ، وكأني قد اقترفت ذنبا لا يغتفر . ومع ذلك كنت أحسب ذلك منهن جهلا بالطبيعة البشرية وقصر نظر ، ولا أعيره أقل اهتمام

وقلما احسست في حياتي بحاجة الجسد التي يزعمون أن كل امرأة تتوق اليها ، ولم تكن هذه الحاجة عندي يوما ذات بال ، أو سببت لي أزمة أو ضائقة نفسية ، شوقتني الى زوج تمنيت أن يكون بجانبي .ويخيل الى أن حاجة الجسد لا علاقة لها عندي بحاجة النفس الى عاطفة الحب .

لقد اتيحت لى فرص عديدة فى عملى للتعرف على رجال أحببتهم حبا صادقا ، على أن هذا الحب لم يثر فى جوارحى حاجة من حاجات الجسد . ولعل هذا ما اصطلحوا على تسميته الحب العذرى . وليس معنى هـذا اننى كنت امرأة عديمة الانوثة ، عاطلة من كل ميـل جنسى . ولكن الغريب فى هذه الناحية . ان الكتب الجنسية التى كنت اقرأها والافلام الغرامية التى كنت اشاهدها تثير ميـولا لاتثيرها أحاديثى مع الرجال زملائى ، أو صحبتى اياهم فى الرحلات والحفـلات . وكثيرا ما كنت انغمس فى قراءة الكتب الجنسية الغرامية ، لا لسبب آخر سوى أن ابرهن لنفسى ، بأننى بالرغم من حياة العزوبة الطويلة ، لا أزال محتفظة بأنوثتى ، أشعر بما تشعر به الانثى اذا ما أثيرت غير اننى كعادتى كنت اسخر ارادتى القوية فى كبح جماح هذا الشعور ، وقد روضت ارادتى أن تكون رهينة اشارتى

ولم أجد فى العزوبة عائقا يقف فى سـبيل تعرفى على الرجال ، او التقرب منهم ، بتصنع الحياء الكاذب الذى تتصنع به عادة المرأة العزباء ، لاننى كنت اشعر اننى وهم على قدم المساواة . وبذلك اكتسبت ثقتهم كما اكتسبت صداقتهم . ولو انه أتيح لى ان أتبادل الحياة مع امرأة متزوجة ، اى ان اتزوج من زوجها ، وتعيش هى عزباء ، لما فعلت ذلك . ولطالما استمعت الى ما تشكو منه صديقاتى المتزوجات من هموم ومتاعب ، فكنت أعطف عليهن وأحمد الله الذى وفر على عناء تلك الهمـوم . وكنت الاحظ أن صديقاتى المتزوجات اللواتى لم ينجبن اطفالا ، أسـعد من زميلاتهن اللاتى أصبحن بعد سنوات قليلة امهـات لخمسة أو ستة أطفـال ومع ذلك فانى احسب نفسى أسعد من هؤلاء وأولئك . ان التحرر من المسـئولية البيتية ، ومسئولية الاطفال والزوج ، والفرص العديدة

التي اجد فيها المتعة كلما شئت وحيثما شئت ، زادتنى يقينا أن حيــاة العزوبة اذا ما وجهت التوجيه الصحيح السليم من التبذل والاستهتار ، خير من الحياة الزوجية المثقلة بالهموم !

ومن حسن الحظ أن لى أختين شـــقيقتين ، وقـد تزوجت كل منهما ولم تنجب اطفالا .. احداهما تكادتكون بائسة لانها تريد أن تكون أما ولم تحقق رغباتها ، والثانية تحمد العناية الالهية لانها وفرت عليهـا تحمل هــذه المسئولية ، ولست أدرى ، لم تحاول المرأة ان تزيد مشكلة السكان تعقيدا .

انني شخصيا أرى فى الاشجار ، والزهور ، والاطيــار والحيونات، والاطفال ، والناس كبارا وصغارا ، وذكورا واناثا ، متعة لا تدانيها متعة ، ولذة لا توازيها لذة . وقد اتاحت لى حياة العزوبة مجالا واسعا للتوغل فى البيئة التى أعيش فيها ، واتخير مما فيها من انسان وحيوان ونبات وجماد ، ما يعوض على ما قد يكون فاتنى من سوق الزواج ! »



مراجع الكتاب

1) Evalyn Millis Duvall & Al, «When You Marry», D.C. Heath & Co., N.Y., 1953
2) Francis Merril, «Courtship & Marriage», N.Y., 1944.
3) Stuart Queen, «The Family in Various Cultures», Philadelphia, Lippincot, 1952.
4) Amram Sheinfeld, «The New You & Heredity», Philadelphia, Lippincot, 1950.
5) Fishbein & Kennedy, «Modern Marriage & Family Living», Oxford University Press, 1957.
6) Hirning, J. L. et al, «Marriage Adjustment», American Co., N.Y., 1956.
7) Bowman, Henry A., «Marriage for Moderns», 3rd ed., McGraw Hill Book Co., 1954.
8) Landis, Judson & Mary Landis, «Building A Successful Marriage», 2nd Ed Prentice Hall, N.Y., 1953
9) Baber, Ray E., «Marriage & The Family», 2nd ed., McGraw Hill Book Co., N.Y., 1953.
10) Stone, Hannah M. & Abraham Stone, «A Marriage Manual», rev. ed., N.Y., Simon & Schuster, 1952.
11) Sanger, Margaret, «Motherhood in Bondage», Brenton's Publisher, N.Y., 1928.
12) Stone, Hannah & Abraham, «A Marriage Manual», Victor Collancz, London, 1942.
13) Ernest Groves, «Marriage», Henry Holt & Co., 1941.
14) Goldstein, Sidney, «World of Marriage», McGraw Hill, N.Y., 1945.

فهرس

صفحة

مقدمة ٩

الجزء الاول ... مقدمات الزواج

الفصل الاول ... الاستعداد للحياة الزوجية ١٥

الفصل الثانى ... موعد فلقاء ٣٣

الفصل الثالث ... الخطبة ٤٥

الفصل الرابع ... الزواج وحقائق الحياة ٦٣

الفصل الخامس ... لماذا تتزوج ؟ ٧٩

الجزء الثانى ... بعد الزواج مباشرة

الفصل السادس ... شهر العسل ٩٣

الفصل السابع ... الشئون المالية فى الزواج ١٠١

الفصل الثامن ... خصومات زوجية شائعة ١١١

الفصل التاسع ... بناء الأسرة ١٢١

الفصل العاشر .. التوافق الجنسى فى الحياة الزوجية١٤٣

الفصل الحادى عشر ... الانسجام والعلاقة الزوجية١٥٩

الفصل الثانى عشر ... الزواج وتنظيم النسل ١٧٧

الفصل الثالث عشر ... مشاكل العزوبة ٢١١

مراجع الكتاب ٢٣٠

الفلسفة القرآنية

بقلم

عباس محمود العقاد

هذا الكتاب

الزواج علم وفن .. علم لأن الحياة الزوجية تتزاحم فيها المسائل وتتشابك فتشمل الكثير من المشاكل البيولوجية والسيكولوجية والاقتصادية والصحية .. وفن لأنه كسائر الفنون يتوقف النجاح فيه على شخصية صاحبه ..

ومؤلف هذا الكتاب عالم فنان .. اشتغل بالعلوم النفسية وقام بتدريسها نحو نصف قرن ، لمس خلاله مدى الجهل بالحقائق الأساسية والموضوعات النفسية المعقدة المتصلة بالزواج ، فألف هذا الكتاب القيم الذى يتناول الكثير مما يتعلق بالزواج ، من مشاكل ، ويمهد الطريق الى حياة سعيدة هانئة ..